موسوعة شرح أسماء الله الحسنى



الجزء الثاني

تأليف:

أ.د. نوال بنت عبدالعزيز العيد

شارك في الإعداد والإخراج فريق علمي بإدارة:

أ. وفاء بنت محسن التركي

ح شركة إثراء المعرفة، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العيد، نوال بنت عبدالعزيز

موسوعة شرح أسماء الله الحسنى./ نوال بنت عبدالعزيز العيد.

- الرياض، ١٤٤١هـ

٣مج.

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٣-٣٨٩٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الأسماء والصفات أ. العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٤١/٨١٩٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨١٩٠

ردمك: ٩-٣٨٩٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٣-٣٨٩٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ



العظيمُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عظم الشيء عظمًا: كبر، فهو عظيم، والعُظَام بالضم مثله، وعظم الشيء: أكثره ومعظمه»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عظم) العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم، تقول: عظم يعظم عظمًا، وعظمته أنا، فإذا عظم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومعظم الشيء: أكثره»[2].

ورود اسم الله (العظيمِ) في القرآن الكريم:

ورد اسم (العظيمِ) تسع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ: ٤].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٢٨٩).

ورود اسم الله (العظيمِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العظيمِ) في السنة النبوية، ومن وروده مايلي:

١- عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ . فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَىٰ . فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ! فَمَضَىٰ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا ! ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا. يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**...»(١).

٢- وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عند الكرب، يقول: **لا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(٢).

٣- وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ**»(٣).

معنى اسم الله (العظيمِ) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالوا: فقوله (العظيم) معناه: المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه.... وقال آخرون: بل تأويل قوله: (العظيم) هو أن له عظمة هي له صفة، وقالوا: لا نصف عظمته بكيفية، ولكنا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات،... وقال آخرون: بل قوله: إنه (العظيم) وصف منه نفسه

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٦).

بالعظم، وقالوا: كل ما دونه من خلقه فبمعنىٰ الصغر؛ لصغرهم عن عظمته»[1].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم): ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم هو ذو العظمة والجلال، ومعنىٰ العظم في هذا منصرف إلىٰ عظم الشأن، وجلالة القدر»[3].

❁ **قال الأصبهاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظمة صفة من صفات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا يقوم لها خلق، والله تَعَالَىٰ خلق بين الخلق عظمةً يعظم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يعظَّم لمال، ومنهم من يعظَّم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظَّم بمعنىٰ دون معنىٰ، والله عَزَّوَجَلَّ يعظَّم في الأحوال كلها»[4].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم) هو الذي جاوز قدره تَعَالَىٰ حدود العقول، حتىٰ لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته»[5].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العظيم) الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة؛ فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»[6].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص: ١١١- ١١٢).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٦٤).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤١).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٩).

(٦) الحق الواضح المبين (ص: ٢٧- ٢٨).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُــوَ العَظِيــمُ بِــكُلِّ مَعْنًىٰ يُوجِــبُ التَّـ
ـعْظِيمَ لَا يُــحْصِيهِ مِــنْ إِنْسَــانِ[1]

اقتران اسم الله (العظيمِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العظيمِ) باسم الله (العليِّ):

وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وجه الاقتران:

وجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين: «أن لله عَزَّوَجَلَّ صفة كمال من اسمه (العلي)، وصفة كمال من اسمه (العظيم)، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما، فقد حاز العلو بكل أنواعه، وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عال في عظمته سُبْحَانَهُ، ولعل تقديم اسم (العلي) علىٰ (العظيم) من تقديم السبب علىٰ المسبب؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ عظم لعلوه علىٰ كل شيء»[2].

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العظيمِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

---

(١) النونية (ص: ٢٠٣).

(٢) طابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء كردي (ص: ٤٧٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العظيم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العظيم) من صفات الله تعالىٰ:

الله سُبْحَانَهُ هو العظيم في كل شيء، عظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معلقًا علىٰ آية الكرسي**: «ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع الصفات، وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه من النوم والسنة والعجز وغيرها، ثم ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلىٰ علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه.

ثم ذكر سعة كرسيه، منبهًا به علىٰ سعته سُبْحَانَهُ وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين علىٰ علو ذاته وعظمته في نفسه»[1].

وتقوم معاني التعظيم الثابتة لله وحده علىٰ نوعين، كالتالي:

«**أحدهما**: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة،

(١) صواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (٤/ ١٣٧١).

ومن عظمته: أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، كما قال ذلك ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيره.

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

وفي المسند عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

فلله تَعَالَى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما(٢).

النوع الثاني من معاني عظمته تَعَالَى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله؛ فيستحق جَلَّجَلَالُهُ من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

---

(١) خرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٤٨٣)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٠٩٠).

(٢) يأتي مزيد بيان عن عظمة الله في الأثر الثالث.

ومن تعظيمه: أن يُتقىٰ حق تُقاته؛ فيطاع فلا يُعصىٰ، ويُذكر فلا يُنسىٰ، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه: تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ومن تعظيمه: أن لا يعترض علىٰ شيء مما خلقه أو شرعه»[1].

- **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تَعَالَى عظيم، له كل وصف ومعنىٰ يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه، كما ينبغي له، ولا يحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده»[2].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (العظيم) علىٰ التوحيد:

توحيد الربوبية والألوهية:

من آمن باسم الله العظيم وحَّد ربه بألوهيته وربوبيته وعظمه، ونفي الشركاء والأنداد عنه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وكانت عبادته لله بالخشوع والخضوع لله، والاستكانة والتذلل لعظمته وجبروته ومحبته، وإفراده وحده بالعبادة؛ ولذا شرعت الصلاة التي من أولها لآخرها تعظيمًا لله تَعَالَى وخضوعًا لعظمته، وإفراده وحده بالعبادة.

ويصف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الركوع في الصلاة، فيقول: «ثم يرجع جاثيًا له ظهره خضوعًا لعظمته؛ وتذللًا لعزته؛ واستكانة لجبروته، مسبحًا له

---

(١) حق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٢٧- ٢٨).

(٢) المرجع السابق.

بذكر اسمه (العظيم)، فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوىٰ ظهره، وربه فوقه يرىٰ خضوعه وذله؛ ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال، كما قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** عَزَّوَجَلَّ»[1]»[2].

توحيد الأسماء والصفات:

إن اسم الله (العظيم) يدل باللزوم علىٰ الحياة والقيومية والسيادة والصمدية، والعزة والأحدية، وانتفاء الشبيه والمثلية، وكذلك يدل علىٰ السمع والبصر، والعلم والحكمة، والمشيئة والقدرة، وغير ذلك من صفات الكمال.

فهو سُبْحَانَهُ العظيم الواسع الكبير في ذاته وصفاته، الذي جاوز قدره حدود الإدراك والخيال والعقل؛ لجلالته وعظمته، يقول تَعَالَىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فإذا كان عرشهسُبْحَانَهُ قد وصفه بالعظمة، وخصه بالإضافة إليه والاستواء عليه، فكيف بعظمة من استوىٰ عليه وعلا فوقه سُبْحَانَهُ.

ومن نفىٰ عنه سُبْحَانَهُ صفاته أو أولها أو فوض معانيها؛ بدعوىٰ أن إثباتها يوهم تشبيهه بالمخلوقين؛ فقد ضل ضلالًا مبينًا، ولم يعظم ربه سُبْحَانَهُ.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧٩).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٦٣٠).

الأثر الثالث: تعظيم ما أمر الله بتعظيمه:

وتعظيم الله تَعَالَى يكون بتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيم كل ما أمر العظيم بتعظيمه، ومن ذلك:

١- تعظيم أسماء الله وصفاته:

وقد وردت نصوص كثيرة تدل علىٰ عظم ذات الله تَعَالَى، منها: ما ورد عند ابن حبان من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلْقَةِ**»(١).

وتعظيم أسمائه وصفاته، يكون علىٰ نحوين:

أولًا: تعظيم الله في باب الخبر- كالصفات وسائر الغيبيات-: وذلك باثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولاتكييف ولا تمثيل، يقول تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقد أمر سُبْحَانَهُ بتقديسه باسمه (العظيم)، يقول تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤].

ثانيًا: تعظيم الله في باب الأمر: وذلك بطاعته عن محبة وتعظيم، والإكثار من ذكره؛ ابتغاء مرضاته، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١- ٤٢] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران:٤١].

---

(١) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٣٦٢).

٢- تعظيم كتابه العظيم:

فإنَّ تعظيمَ كلام الله تعظيمٌ لله تَعَالَى، وقد عظم الله القرآن بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن العزيز علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته»[١].

والمعظمون لكتاب الله هم الذين يقيمون حروفه وحدوده، بالانقياد والتسليم، والتلاوة والعمل والتعليم، وحسن الاستماع والانصات له، يقول تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وللمعظمين لكتاب الله تَعَالَى قصص عظمىٰ، ومواقف تروىٰ، فقد كانوا يمتثلون أمره، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا، ومن أروع القصص في هذا مارواه جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّىٰ أُهَرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فقَالَ: كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَىٰ فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَىٰ الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَىٰ شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ، حَتَّىٰ رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ

---

(١) التبيان في آداب القرآن (ص١٦٤).

أَسْهُمٍ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ هَرَبَ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَلَا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَىٰ ؟ قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا»[1].

ومما يروىٰ عن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه** «كان ذات يوم يصلي فلسعه الزنبور سبع عشرة مرةً، فلما قضىٰ صلاته قال: انظروا أي شيء هذا الذي آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته. وقال مرة: كنت في آية فأحببت أن أتمها»[2].

٣- تعظيم نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الذي شهد له ربه بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وتعظيمه يكون بالاتباع والطاعة والنصرة له ومحبته، وذكر مناقبه والتعرف علىٰ سيرته، واعتقاد أنه لا سبيل يقرب إلىٰ الله، وتنال به مرضاته إلا السلوك خلفه، واقتفاء أثره وسنته، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨-٩].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٤٩٣٠)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٩٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح أبي داود، رقم الحديث: (١٩٨).

(٢) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إشراف: صالح بن حميد (٣/ ١٠٤٣).

وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها»[1].

ولا يؤمن أحد حتىٰ يكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين.

أما الغلو والمبالغة في التعظيم فهو مما نهىٰ عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حمايةً لجناب التوحيد، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ**»[2].

٤- تعظيم حرمات الله تعالىٰ:

فمن عظم الله تَعَالَىٰ سارع إلىٰ مرضاته، وغار علىٰ حرماته، وأدىٰ الواجبات، وأقبل في الخيرات، حتىٰ تصبح المباحات لديه طاعات وقربات، تشهد بتوحيده لله وعبوديته وتعظيمه ومحبته، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن تعظيم أوامر الله** تَعَالَىٰ **ومناهيه**: «تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر والناهي؛ فإن الله تَعَالَىٰ ذم من لا يعظم أمره ونهيه، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قالوا- في تفسيرها-: ما لكم لا تخافون لله تَعَالَىٰ عظمة... وأول مراتب تعظيم الحق

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٤٥).

عَزَّوَجَلَّ: تعظيم أمره ونهيه... وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّوَجَلَّ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تَعَالَى ونهيه دالًّا علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق؛ فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا تعظيم الآمر والناهي.

ومن علامات التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها؛ كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تُقُبِّلَت منه صلاته منفردًا؛ فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا، ولو أن رجلًا يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضِعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف، وألف ألف، وما شاء الله تَعَالَى، فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعًا، وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تَعَالَى في قلبه.

وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تَعَالَى، أو فاته الصف الأول، وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها.

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرىٰ، فتفاضل الأعمال

عند الله تَعَالَى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة، وتوابعها.

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص علىٰ التباعد من مظانها وأسبابها، وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها؛ كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي بما ارتكب منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلىٰ سخط الله تَعَالَى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تَعَالَى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وحسرةً إذا عُصي الله تَعَالَى في أرضه، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن العلامات أيضًا: أن لا يسترسل مع الرخصة إلىٰ حد يكون صاحبه جافيًا غير مستقيم علىٰ المنهج الوسط؛ مثال: ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلىٰ فوات الوقت أو مقاربة خروجه؛ فيكون مترخصًا جافيًا.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي: أن لا يعارَضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال؛ فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بسالكه.

وما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين.

كذلك من علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر علىٰ علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، بل يسلم لأمر الله تَعَالَى وحكمه، ممتثلًا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك علىٰ مزيد الانقياد والبذل والتسليم»[1].

فالمعظِّم الحقيقي لحرمات الله، لا ينظر لصغر المعصية، ولكن ينظر لعظمة من عصىٰ سُبْحَانَهُ، فإن القلب إن لم يؤمن بعظمة الله حقيقة لن يطيعه علىٰ الدوام، يقول تَعَالَى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٤].

٥- تعظيم بيوت الله:

وقد أقام الإسلام تعظيم بيوت الله، وصيانة حرمتها، وإبقاء قدسيتها علىٰ ثلاثة أركان:

١- **التقدير**، يقول تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، كذلك يسن لمن دخل المسجد ألا يجلس مباشرة، بل يركع ركعتين، وبهذا أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ في قوله: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ**»[2].

٢- **التطهير**، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

---

(١) انظر: الوابل الصيب (ص: ١٢- ٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٧١٤).

٣- **التعمير**، وقد وصف الله من يقوم بعمارة المسجد بالإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

الأثر الرابع: نماذج من تعظيم الأنبياء والصالحين لله العظيم سُبْحَانَهُ:

من تأمل في حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، رأىٰ عظم تعظيمهم لله تَعَالَى، ومن ذلك:

- تأدب الأنبياء مع العظيم سُبْحَانَهُ في ألفاظهم، ومن ذلك: خطاب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لربه في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

- يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جمعه لمواضع تشمل الأدب مع الله في اللفظ: «فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلىٰ نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وأما الخير، فأضافه إلىٰ الله تَعَالَى لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، مع أن الكل بقضاء الله وقدره»[١].

- كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يغضب لنفسه أبدًا، وإنما يغضب بشدة إذا انتهكت حدود الله، وهذا واضح في قصة المرأة المخزومية التي سرقت واستشفع أسامة لها، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»!

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٢).

ثم قام فخطب، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[1]، وشواهد السنة كثيرة في ذلك.

- موقف صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما نزل تحريم الخمر فعن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ. قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ»[2]

- قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب مر علىٰ أنفه، فقال به، وأشار بيده هكذا»[3].

- قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا»[4]، وما كان إلا توقيرًا لاسم الله تَعَالَى.

اللهم اجعلنا ممن عظمك حق تعظيمك، وتب علينا واغفر لنا.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٧٨٨) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٤) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٨٠).

(٣) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ٥٨).

(٤) طبقات الشافعيين، لابن كثير (ص: ٢٢).

الأثر الخامس: محبة الله العظيم:

إن الإيمان بعظمة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وعظيم قدرته يدفع المسلم لمحبة ربه؛ فهو العظيم في نفسه، والعظيم في أفعاله، والعظيم في جماله، والعظيم في جلاله.

وهذا الحب هو في ذاته تعظيم لله جَلَّوَعَلَا، فكلما زاد حب العبد لربه تَعَالَى، زاد تعظيمه، وتعظيم شرعه الحنيف.

الأثر السادس: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه العظيم:

وفي السنة شواهد ودلائل كثيرة علىٰ دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ربه باسمه العظيم، ومن ذلك:

- في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «لم يكن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(١).

- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو عند الكرب يقول: **لاَ إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٨٧٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٧٤)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٣٢٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود،رقم الحديث: (٥٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

- وصح من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه كان إذا دخل المسجد قال: **أَعُوذُ بِالله الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[1].



(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٦٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٦٦).

العَفُوُّ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعفوت عن ذنبه، إذا تركته ولم تعاقبه، والعفُوُّ: الكثير العفو، وعفا الماء: إذا لم يطرقه شئ يكدره»(١).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(عفو) العين والفاء والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما علىٰ ترك الشيء، والآخر علىٰ طلبه، والعفو: عفو الله تَعَالَىٰ عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم، فضلًا منه، قال الخليل: وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه»(٢).

ورود اسم الله (العفو) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العفو) في القرآن الكريم في خمس آيات، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾ [النساء:٩٩].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٨٣).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٥٦).



٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٦٠].

ورود اسم الله (العفو) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العفـو) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: **اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

٢- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ أَوَّلَ رَجُلٍ قُطِعَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ أُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا سَرَقَ، فَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَادًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْ: يَقُولُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: **وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَأَنْتُمْ أَعْوَانُ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ، وَاللهُ** عَزَّوَجَلَّ **عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ، وَلَا يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَىٰ بِحَدٍّ إِلَّا أَقَامَهُ**، ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]»[2].

معنى اسم الله (العفـو):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣]-: «إن الله لم يزل عفوًّا عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة علىٰ كثير منها ما لم

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠) واللفظ له، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٠٥٧)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٥٧٢)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٦٩٠). حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٨).

يشركوا به»[١].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العفو: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء»[٢].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣]، أي: لم يزل كائنًا يقبل العفو وهو السهل، ويغفر الذنب، أي: يستر عقوبته فلا يعاقب»[٣].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العفو: الغفور الغفار، الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفًا»[٤].

❁ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهـوَ العَفُـوُّ فَعَفْـوُهُ وَسِـعَ الـوَرَىٰ　　لَـوْلَاهُ غَـارَ الأَرْضُ بِالسُّـكَّانِ[٥]

اقتران اسم الله (العفـو) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العفـو) باسم الله (الغفور):

ورد ذلك في القرآن الكريم أربع مرات، ومن ذلك: قوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٩].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٢٦).

(٢) شأن الدعاء (ص:٩٠).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٤١).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦)

(٥) النونية (٢/ ٢٢٧).

فالله العفو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه؛ فإن الغفران ينبني عن الستر، والعفو ينبني عن المحو، والمحو أبلغ من الستر[1].

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتمثل الفرق بين العفو والغفران في أمور عديدة، أهمها:

- أن الغفران يقتضي إسقاط العقاب، ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يكون إلا في حق البارئ تَعَالَى؛ أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي نيل الثواب، ويستعمل في العبد- أيضًا-.

- العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها، أما الغفران؛ فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، ولا يوصف بالعفو إلا القادر عليه.

- في العفو إسقاط للعقاب، وفي المغفرة ستر للذنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة»[2].

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العفو) باسمه سُبْحَانَهُ (القدير):

جاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

وجه الاقتران:

«من المعلوم أن العفو الممدوح هو الذي يصدر مع القدرة علىٰ

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٩٧)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري (٢/ ٤٢١).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي (ص: ٦٣٣).

الانتقام، وكماله لا يكون إلا من الله تَعَالَى الذي عفوه ومغفرته ناشئان عن قدرته وحكمته، لا عن عجز وضعف؛ ولذا قرن الله عَزَّوَجَلَّ بين عفوه وقدرته، فهو سُبْحَانَهُ كامل في عفوه، وكامل في قدرته، وكامل في عفوه مع مقدرته»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العفو):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (العفو) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو صاحب العفو الشامل، الذي يسع ما يصدر عن العباد من الذنوب، لاسيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سُبْحَانَهُ يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن مظاهر كمال عفوه سُبْحَانَهُ مايلي:

- **العفو عن المذنب**: فمهما أسرف العبد علىٰ نفسه، ثم تاب إلىٰ ربه ورجع، غفر له ربه جميع جرمه، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، ولولا كمال عفوه وسعة حلمه سُبْحَانَهُ ما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابة تدب، ولا نفس تطرف، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١].

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (ص: ٥٢٤).

- **العفو في الأحكام الشرعية للمحتاج:** فهو سُبْحَانَهُ وإن كان أوجب الوضوء لمن أراد الصلاة، إلا أنه عفا عمن لا يجد الماء أو لم يستطيع استعماله، وأباح له التيمم مراعاة لضعفه، ولو شاء لأعنته، وألزمه بالوضوء أبدًا، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣].

- **العفو في ستر عباده في الدنيا والآخرة:** فلايفضحهم في الدنيا، ويستر علىٰ كثير منهم في الآخرة، فيعرِّفهم بعض ذنوبهم، ثم يسترهم بغفرانه لها، بل ويبدلها حسنات، فَسُبْحَانَهُ ما أكرمه! وما أعظم عفوه وغفرانه! يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

فالله سُبْحَانَهُ بهذا الشمول الإلهي في عفوه قد أقام الحجة علىٰ عباده كلهم، فحري بهم أن يحسنوا عبادة ربهم، ويخلصوا توحيده سُبْحَانَهُ.

الأثر الثاني: الثقة بعفو الله وعدم تضييع أمره ونهيه:

فإن كون الله سُبْحَانَهُ عفو كريم غفور لا يعني أن يسرف العبد في الخطايا والذنوب، ويتجرأ علىٰ معصية الله تَعَالَىٰ، بحجة أن الله عفو غفور رحيم؛ لأن المغفرة لا تكون إلا بشروطها وانتفاء موانعها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل:١١]، وهناك فرق كبير بين حسن الظن بالله والغرور.

وعن هذا المعنىٰ **يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثير من الجهال اعتمدوا علىٰ رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرد بأسُه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد علىٰ العفو مع الإصرار علىٰ الذنب فهو كالمعاند.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ... عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**، ثم تلا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]»[1].

وقال بعض السلف: «إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه، وأنت مقيم علىٰ معاصيه فاحذره؛ فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]. وقد رد سُبۡحَانَهُ علىٰ من يظن هذا الظن بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ﴾ [الفجر: ١٥-١٧] أي: ليس كل من أنعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل ابتلي هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٥٨٤)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث (٩٢٧٢)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٤٢٢٠) حكم الألباني: إسناده جيد، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: (٥٢٠١).

وفي الحديث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ**»[1]، وقال بعض السلف: رب مُستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم»[2].

الأثر الثالث: الحرص علىٰ تحصيل ثواب العفو وفضله:

للعافين عن الناس ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك مايلي:

أولًا: ثواب الدنيا، ومنه:

- **تحقيق الامتثال لأمر الله تعالىٰ**، فقد أمر بالعفو علىٰ سبيل العموم في قوله تَعَالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]

بل وأمر نبيه بالعفو مع أهل الخيانة والغدر، فكيف بالعفو!!!؟ وأخبره أنه يحب أهل الإحسان، يقول تَعَالَى عن بني إسرائيل: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣]

- **محبة الله للعفو**، ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٤٦)، ومسند البزار (٢٠٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (١٦٢٥).

(٢) ينظر: الداء والدواء، لابن القيم (ص: ٧٤- ٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٠)، حكم الألباني: صحيح، رقم الحديث: (٣٨٥٠).

- **انقلاب العدو لولي حميم**، يقول تَعَالَى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦]

- **نيل العزة**، ففي الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: **لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ**»[1]، في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا**»[2].

ثانيًا: ثواب الآخرة:

- **أجر العافين على الله**: يقول تَعَالَى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:٤٠]، ومن أحب أن يعفو الله عنه عفا عن خلقه، يقول تَعَالَى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

وقد كان سبب نزولها: ما رواه البخاري أن مِسطَح بن أُثاثة تكلم مع من تكلم في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك، فلما أنزل الله براءة عائشة، قَالَتْ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٣١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢]، يعني: أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [النور:٢٢] يعني: مسطحًا، إلىٰ قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بَلَىٰ وَاللهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لَهُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ[1].

- **نيل المغفرة والجنة**: يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

الأثر الرابع: محبة الله العَفُو:

من علم أن الله عفو غفور رحيم أثمر في قلبه محبته تَعَالَىٰ، والتوقي عن معصيته بقدر الطاقة، وإذا زلت القدم ووقع المؤمن في الذنب فإنه يتذكر أن الله عفو يحب العفو، فيسري الرجاء في قلبه، ويقطع الطريق علىٰ اليأس من رحمة الله تَعَالَىٰ، ويحسن الظن بربه الذي يعفو عن المسيئين، ويغفر الذنوب جميعًا.

الأثر الخامس: اتصاف العبد بالعفو:

العفو والتجاوز لا يقتضي الذلة والضعف، بل إنه قمة الشجاعة والامتنان وغلبة الهوىٰ، لا سيما إذا كان العفو عند المقدرة علىٰ الانتصار.

وقد بوب البخاري في صحيحه بابًا عن الانتصار من الظالم؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورىٰ:٣٩]، وذكر عن إبراهيم النخعي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٥٧).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا»[1]، قال الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لو أن رجلًا شتمني في أذني هذه، واعتذر في أذني الأخرىٰ، لقبلت عذره»[2].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: **اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[3].

وقال جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن أندم علىٰ العفو عشرين مرة، أحب إلي من أندم علىٰ العقوبة مرة واحدة»[4].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا، فقل: يا أخي، اعف عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوىٰ، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلىٰ باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره علىٰ الله، وصاحب العفو ينام علىٰ فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور؛ لأن الفتوة هي العفو عن الإخوان»[5].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٩).

(٢) الآداب الشرعية، ابن مفلح (١/ ٣١٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٠٠٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥١٦٤)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٤٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥١٦٤).

(٤) أدب المجالسة، لابن عبد البر (ص: ١١٦).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٠).

ولنا في رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أسوة حسنة**، ومن تأمل في السيرة النبوية وجدها مليئة بنماذج، يتجلىٰ فيها عفو النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بحق نفسه، ولا يغضب من أجلها، **ومن هذه النماذج**:

- عفوه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رجل قد هم بقتله، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: **اللهُ**، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي**؟ قَالَ: كُنْ **كَخَيْرِ آخِذٍ**، قَالَ: **أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ قَالَ: فَذَهَبَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»(١).

- عفوه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن امرأة يهودية، تضع سمًّا في طعامه، وعندما أصيب النبي بهذا السم نهىٰ عن قتلها، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ **مَسْمُومَةٍ** فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: لَا . فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

- عفوه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قاتل عمه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ قَتْلَىٰ أُحُدٍ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَىٰ مَنْظَرًا أَسَاءَهُ ؛ رَأَىٰ حَمْزَةَ قَدْ شُقَّ بَطْنُهُ، وَاصْطُلِمَ أَنْفُهُ، وَجُدِعَتْ أُذُنَاهُ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥١٥٩)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (١٧٧٨)، وابن حبان، رقم الحديث: (٢٨٨٣)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٢٨٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦١٧).

لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ النِّسَاءُ، أَوْ يَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ، لَأُمَثِّلَنَّ مَكَانَهُ بِسَبْعِينَ رَجُلًا . ثُمَّ دَعَا بِبُرْدِهِ فَغَطَّىٰ بِهَا وَجْهَهُ، فَخَرَجَتْ رِجْلَاهُ، فَغَطَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ، وَجَعَلَ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ جَعَلَ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ وَحَمْزَةُ مَكَانَهُ، حَتَّىٰ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاةً، وَكَانَ الْقَتْلَىٰ سَبْعِينَ، فَلَمَّا دُفِنُوا، وَفَرَغَ مِنْهُمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] إلىٰ قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] فَصَبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُمَثِّلْ بِأَحَدٍ»[١].

والمعروف أن الذي قتل حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو وحشي، فلما فتح رسول الله مكة هرب إلىٰ الطائف، فلما خرج وفد الطائف إلىٰ رسول الله ليعلنوا إسلامهم ضاقت علىٰ وحشي السبل، وبعد فترة قدم علىٰ رسول الله المدينة وكان قد أسلم، قال وحشي: فَلَمَّا رَآنِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَحْشِيٌّ**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**اجْلِسْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ كَانَ قَتْلُكَ حَمْزَةَ**» فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا فَقَالَ: «**وَيْحَكَ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ بِأَنْ لَا أَرَاكَ**» قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ كَانَ حَيًّا حَتَّىٰ قَبَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ»[٢].

---

(١) أخرجه الدارقطني، رقم الحديث:، (٤٢٠٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (٤٨٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٧٠١٧)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٩٤٧) والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٨٢٥٨)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٦٩٧٨)، وينظر: أسباب النزول، الواحدي (ص: ٥٦).

فهذا موقف يبين كيف كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكظم غيظه، فأي كظم للغيظ هذا؟ بل أي حلم وعفو هذا الذي يلقىٰ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل عمه الأثير وصديقه النصير، وشريكه في الجهاد، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادرًا علىٰ أن يثأر لعمه، بل كان كثير من الصحابة الكرام ينتظر إشارة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقتل بها وحشيًّا؛ ليشفي غيظ نبيه، لكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفىٰ عنه ابتغاء وجه الله تَعَالَى، وفي هذا بيان لأمته أن تتعلم العفو والصفح الجميل.

- عفوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو الشامل العام في فتح مكة، عندما وقف مخاطبًا أهل مكة قائلًا: «**مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ**؟ قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: **أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ**: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[1].

نماذج من تخلق السلف الصالح بخلق العفو:

- **أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان يحسن إلىٰ مسطح الذي مس ابنته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في عرضها، عندها أوقف الصديق المعونة عنه، فجاء العتاب الإلهي، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، فكان الصديق يقرأ هذه الآية ويبكي، يقول: بلىٰ، أحب أن يغفر الله لي، وعاد علىٰ مسطح بالمساعدة![2].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ٣٥٩).

(٢) سبق تخريجه.

- **أم المؤمنين صفية بنت حيي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة؛ وأما اليهود، فإن لي فيهم رحمًا، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قالت: الشيطان: قالت: فاذهبي، فأنت حرة»[1].

ومن الأمور المعينة لتربية النفس علىٰ العفو عن الناس ما يلي:

- **تنقية القلب من شوائب الحقد والحسد، أو الغل علىٰ المسلمين**، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَىٰ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قَالَ: نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّىٰ يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ . قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

---

(١) الاستيعاب علىٰ هامش الإصابة، لابن عبد البر (٤/ ٢٠٢).

لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: **يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ [٣]، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»[١].

- **استشعار الحاجة لعفو الله ورحمته ومغفرته**، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: «اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك، ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر علىٰ مجرد العفو والمسامحة حتىٰ ينعم عليك ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءاتك، جزاء وفاقًا، فانتقم بعد ذلك أو اعفُ، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يُفعل معك، فمن تصور هذا المعنىٰ وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلىٰ من أساء إليه، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكىٰ إليه قرابته وأنه يحسن

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٨٩٤)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٣)، وعبد الرزاق في المصنف، رقم الحديث: (٢٠٥٥٩)، ومسند البزار (٦٣٠٨)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦١٨١)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٧٢٨).

إليهم وهم يسيئون إليه، فقال: **(لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ)**[1]».

- **قطع طريق الشيطان في الاسترسال باستدعاء تفاصيل خطأ من ظلم**، فإن الاسترسال يؤجج نار العداوة، ويضرب القلوب بعضها ببعض؛ ولذا جاءت آية العفو مقرونة بالأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

بل يأتي الأمر الإلهي باختيار أحسن الكلام عند مخاطبة الناس؛ حتىٰ لا يترك للشيطان فرصة للإفساد، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

- **العفو عن المسيء والدعاء له**: وذلك تأسيًا برسل الله الكرام، فهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ألقاه أخوته في البئر، وقال تَعَالَىٰ عنهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧]، فكان رد يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما اقتدر ودخلوا عليه في ملكه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]، فابتدأ كلامه بنفي التعيير والتوبيخ، ثم دعا لهم.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٨).

وفي الصحيحين حكاية رسول الله عن نبي من الأنبياء، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ **فَأَدْمَوْهُ** وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: **اللهمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: «وتأمل حال النبي الذي حكىٰ عنه نبينا أنه ضربه قومه حتىٰ أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان: قابل بها إساءتهم العظيمة إليه، أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه»[2].

- **بذل الهدية والعطية**، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوا؛ فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**»[3].

- **صيام ثلاثة أيام من كل شهر**، فهي كفيلة بغسل قلب المؤمن، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٧٧) واللفظ له، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢١٣٠)، حكم الألباني: ضعيف لكن الشطر الثاني منه صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٣٠).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٥٣٩)، والطيالسي، رقم الحديث: (٤٨٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٣٨٠٤).

ومما تجدر الإشارة إليه: أن المؤمن مكلف بالعفو مع الإصلاح، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٣٩-٤٠].

ومن فضل الله وسعة كرمه: أنه لم يلزم عباده بالعفو عمن أساء إليهم، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٣٩-٤١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل وندب إليه، والظلم وحرمه، فإن قيل: فكيف مدحهم علىٰ الانتصار والعفو وهما متنافيان، قيل: لم يمدحهم علىٰ الاستيفاء والانتقام، وإنما مدحهم علىٰ الانتصار، وهو القدرة والقوة علىٰ استيفاء حقهم، فلما قدروا ندبهم إلىٰ العفو، قال بعض السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، فمدحهم علىٰ عفو بعد قدرة لا علىٰ عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سُبْحَانَهُ به نفسه في قوله تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]»[(١)].

الأثر السادس: الدعاء باسم الله العفو:

عفو الله تَعَالَى من أعظم العطاء الذي يعطيه الله لعبده، ولذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير السؤال به، وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لم يكن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: **اللهمَّ إنِّي**

---

(١) الروح (ص: ٢٤٢).

أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[1].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثُمَّ أَتَاهُ الْغَدَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ**»[2].

وفي أفضل ليالي السنة دل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة إلىٰ سؤال العفو، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قُولِي: اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[3].

فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.



---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٧).

(٣) سبق تخريجه.

الأعلى العلِيُّ المُتعَالِ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «علا في المكان يعلو علوًّا، وعلي في الشرف بالكسر يعلىٰ علاء، ويقال أيضًا: علا بالفتح يعلىٰ،... والعُلاء والعَلاء: الرفعة والشرف»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُٱللَّهُ: «العين واللام والحرف المعتل- ياءً كان أو واوًا أو ألفًا- أصل واحد يدل علىٰ السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك: العلاء والعلو، يقولون: تَعَالَى النهار، أي: ارتفع...، والعلو: العظمة والتجبر»[2].

ورود اسماء الله (العَلِيِّ -الأعلى- المُتَعَالِ) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله العلي في ثمانية مواضع من القرآن، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٨٤).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢- ١١٣).



٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

وأما (الأَعْلَىٰ) فقد ورد مرتين، وهما:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠].

وأما (المُتَعَالِ) فقد ورد مرة واحدة، وهي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

ورود اسم الله (العلي- المتعالِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العلي) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ- حِينَ يَسْتَيْقِظُ-: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ قال: اللهم اغْفِرْ لِي، أو دعا، استُجيب له، فَإِنْ تَوَضَّأَ، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»(١).

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقول- عند الكرب-: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٤١٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٨٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٤٥).

ورد اسم الله (الأعلىٰ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١] قال: **سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَىٰ**»[1].

٢- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ ثَلَاثًا، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ»**[2].

٣- عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ . فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَىٰ . فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ! فَمَضَىٰ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا ! ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا . يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ** . فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ . ثُمَّ قَالَ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ** . ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ »[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٩٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٨٨٣)، والحاكم، رقم الحديث: (٩٧٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٨٨٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٨٩٠)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٨٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٢).

ورد اسم الله (المتعالِ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] قال: **يَقُولُ** الله عَزَّوَجَلَّ **أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمُتَعَالِي- يُمَجِّدُ نَفْسَهُ-** قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ رَجَفَ بِهِ الْمِنْبَرُ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ **سَيَخِرُّ** بِهِ»[1].

معنى أسماء الله (العَلِيِ- الأعلى - المتعالِ) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسمي الله (العلي، الأعلىٰ):

هو الذي له العلو المطلق بجميع أنواع العلو الثلاثة:

١- علو الذات.

٢- علو القهر والغلبة.

٣- علو المكانة والقدر والصفات.

وحول أنواع العلو تدور أقوال العلماء، ومنها[2]:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «هو ذو العلو والارتفاع علىٰ كل شيء، والأشياء كلها دونه؛ لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته»[3].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٧١٢)، وابن خزيمة في التوحيد، رقم الحديث: (١/ ١٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات، رقم الحديث: (٥٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٦).

(٢) مزيد من التفصيل في أنواع العلو سيكون في الأثر الثاني من الآثار الإيمانية والمسلكية.

(٣) تفسير الطبري، (٢٠/ ٤٦٦).

❁ **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العالي علىٰ كل شيء»(١).

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلىٰ منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تَعَالَى وتقدس وتنزه عَزَّوَجَلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا»(٢)، وقال أيضًا: «هو العلي الذي لا أعلىٰ منه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه»(٣).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من لوازم اسم (العلي): العلو المطلق، بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات؛ فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه (العلي)»(٤).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر؛ فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهىٰ»(٥).

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٩).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٣٥٠).

(٤) التفسير القيم (ص: ٣٥).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

ثانيًا: معنى اسم الله (المتعالِ):

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتعال علىٰ كل شيء قد أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعًا وكرهًا»(١).

فالمتعال هو الذي ليس فوقه شيء في قهره وقوته، فلا غالب ولا منازع له سُبْحَانَهُ، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] فلو فرضنا وجود إلهين اثنين متنازعين متشاكسين، مختلفين ومتضادين، وأراد أحدهما شيئًا خالفه الآخر، فلا بد عند التنازع من غالب وخاسر، فالذي لا تنفذ إرادته فهو المغلوب العاجز، والذي نفذت إرادته هو المتعالي القادر، وقد أحسنت الجن لما قالت: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذَا وَثَانِيهَـا صَرِيحُ عُلُـوِّهِ ... وَلَـهُ بِحُكْـمِ صَرِيـحِهِ لَفْظَـانِ
لَفْظُ العَلِـيِّ وَلَفْظَةُ الأَعْلَـىٰ مَعْرِ ... فَـةً أَتَتْـكَ هُنَـا لِقَصْـدِ بَيَـانِ
إِنَّ العُلُـوَّ لَـهُ بِمُطْلَقِـهِ عَلَـىٰ التَّـ ... عْمِيـمِ والإِطْـلَاقِ بِالبُرْهَـانِ
وَلَـهُ العُلُـوُّ مِـنَ الوُجُـوهِ جَـمِيعِهَا ... ذَاتًـا وَقَهْـرًا مِـنْ عُلُـوِّ الشَّـانِ(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٤).

(٢) النونية (ص: ٧٣).

اقتران اسم الله (العَليِّ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الحكيمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (الحكيم).

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العَلِي) باسمه سُبْحَانَهُ (العظيمِ):

تقدم بيانه في اسم الله (العظيم).

ثالثا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العَلِيِّ) واسمه سُبْحَانَهُ (المُتَعَالِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليِّ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

ومن وروده ما يلي: يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤].

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (المُتَعَالِ) باسمه سُبْحَانَهُ (الكبيرِ):

لم يرد إلا مرة واحدة، في قوله تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

وجه الاقتران فيهما:

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو (العلي) بذاته فوق جميع المخلوقات، وقهره لهم وعلو قدره؛ لما له من الصفات العظيمة الجليلة المقدار، (الكبير) في ذاته وصفاته، ومن علوه: أن حكمه تَعَالَى يعلو وتذعن له النفوس حتى نفوس المتكبرين والمشركين»[1].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

الآثار المسلكية للإيمان باسماء الله (العَلِي- الأعلى- المتعال):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه أسماء الله (العلي، الأعلىٰ، المتعال) من الصفات:

فالله سُبْحَانَهُ هو العلي الأعلىٰ المتعال، له جميع أنواع العلو بكمالها وتمامها، ومن أنكر شيئًا منها فقد ضل ضلالًا بعيدًا، ولإثبات أنواع العلو لله شواهد وأدلة، ومنها ما يلي:

- **علوُّ الذَّاتِ**، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مستو علىٰ عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

- والله مستو علىٰ عرشه فوق عباده، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال عن عباده المؤمنين: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

- ومن عنده تتنزل الآيات، يقول تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٤].

- وإليه تعرج وتصعد الملائكة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

- وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وفي إثبات علو الذات الإلهية **يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

فَهُوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ
إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبَيَانِ
وَهوَ الَّذِي حَقًّا عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ
قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوانِ[1]

علوُّ القهرِ والغلَبِ، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، فلا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد وصف الحق نفسه بصفات كثيرة، تدل علىٰ علو القهر والغلب كالعزيز، والقوي، والقدير، والقاهر والغالب، ونحو ذلك، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

١- **علو المكانة والقدر**، فله سُبْحَانَهُ كمال الحياة والدوام، وكمال الجمال والجلال، وكمال العلم والقدرة، وكمال الجود والرحمة، وكمال الحكمة، والحلم، فلله سُبْحَانَهُ المثل الأعلىٰ والصفات العليا التي لا يستحقها غيره، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

---

(١) النونية (ص٢٠٣).

فالله سُبْحَانَهُ هو الإله الواحد الأحد، وهو المتعال عن الشريك والمثيل والند والنظير، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وفي إثبات كل أنواع العلو للعلي العظيم يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ العَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ العُلُـ ... ـوِّ لَهُ فَثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ[1]

الأثر الثاني: توحيد الله باسمائه العلي الأعلىٰ المتعال:

- دلالة أسماء الله العلي الأعلىٰ المتعال علىٰ توحيد الربوبية والألوهية:

إن من آمن أن الله سُبْحَانَهُ له كمال العلو بأنواعه وحده، علم أنه وحده العلي بذاته فوق كل خلقه، المسيطر عليهم بقهره وقوته وقدرته، المدبر لأمورهم بكمال علمه وحكمته ورحمته، وهو الذي له الأمر من قبل ومن بعد، فلا راد لأمره وقضائه، ولا تدبير إلا تدبيره، ولا يجري من الأقدار إلا ما أراده سُبْحَانَهُ، فهو الرب الخالق العلي المستحق للعبادة وحده دون سواه، يقول تَعَالَىٰ في أعظم آية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]

---

(١) النونية (ص: ٢٠٣).

ومن مقتضىٰ الإيمان بعلو الله في ذاته، وقدره، وغلبته: أن يسبح المؤمن ربه عما لا يليق به تَعَالَى من قول المشركين، وأنه ينزه عن النقص بكل وجوهه مما يصفه به الملحدون، يقول تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:١-٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

- دلالة أسماء الله العلي الأعلىٰ المتعال علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

فعقيدة المسلم إثبات العلو المطلق الكامل لله كما يليق بجلاله، دون تعطيل أو تحريف أو تأويل أو تشبيه، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من النصوص المتنوعة المحكمة الدالة علىٰ علو الله علىٰ خلقه وكونه فوق عباده، ومنها:

أحدها: التصريح بالفوقية، مقرونة بأداة (من) المعينة لفوقية الذات نحو، قال تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، نحو قوله تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثم يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٥٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٦٣٢).

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تَعَالَى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال علىٰ جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ:٤]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تَعَالَى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:٤٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩].

التاسع: التصريح بأنه سُبْحَانَهُ في السماء، وهذا عند أهل السنة علىٰ أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنىٰ «علىٰ»، وإما أن يراد بالسماء: العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حمل النص علىٰ غيره.

العاشر: التصريح بنزوله سُبْحَانَهُ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلىٰ أسفل(١).

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٢/ ٢١٥).

الأثر الثالث: تعظيم العلي الأعلىٰ المتعال سُبْحَانَهُ:

«فمن شهد مشهد علو الله علىٰ خلقه، وفوقيته لعباده، واستوائه علىٰ عرشه، كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبد بمقتضىٰ هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدىٰ الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه، معروض عليه، مع أوفىٰ خاصته وأوليائه، فيستحىٰ أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك»(١).

وبذلك يثمر الإخلاص والتعظيم في قلبه لله تَعَالَى، فلا يخشىٰ سواه ولايطلب الثواب من غيره سُبْحَانَهُ، ويكون ممن قال الله عنهم سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

ولذا فمن سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سجود الصلاة قوله: «**سبحان ربي الأعلىٰ**»، وعلل ذلك بأن السجود غاية في الخضوع والتذلل من العبد بأشرف شيء فيه لله- وهو وجهه- بأن يضعه علىٰ التراب؛ فناسب في غاية سفوله أن يصف ربه بأنه الأعلىٰ؛ فالعبد ليس له من نفسه شيء، وليس له من العظمة نصيب؛ فهو خلق من العدم.

الأثر الرابع: محبة العلي الأعلىٰ المتعال:

فمتىٰ استوطنت في نفس العبد معرفة الله تَعَالَى بأسمائه العلي الأعلىٰ المتعال سُبْحَانَهُ، فعلم كماله من كل الوجوه، وتنزهه عن النقص من كل الوجوه، وأخلص له عالمًا أنه المرجو وحده، والمخوف وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص: ٤٣).

إذ تدبير أموره وأمور كل الخلق راجع إليه، ونظر فرأىٰ كمال لطف العلي سُبْحَانَهُ ورحمته وحكمته في هذا التدبير، ورأىٰ كمال قدرته وقوته، ورأىٰ كمال عظمته وجلاله سُبْحَانَهُ، أورثه ذلك- مع الخضوع والإخبات لربه- محبة تنقدح في نفسه، وتنمو في روحه، وتزداد بازدياد معرفته بخالقه سُبْحَانَهُ؛ وذلك لأن العبد مجبول علىٰ حب من حظه من الصفات أعلاها وأتمها.

الأثر الخامس: من آمن بالأعلىٰ سُبْحَانَهُ تواضَع:

فإن الإيمان بعلوه سُبْحَانَهُ وقهره لعباده، يورث في القلب تواضعًا وحياءً، وتعظيمًا لله تَعَالَىٰ وأوامره ونواهيه، فإن أوتي العبد شيء من العلو في الدنيا فإنما هو علو نسبي، وبإعلاء الله له، فلا فضل له فيه ولا منة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، كما علم أن الله الذي رفع منزلته وأعلىٰ شأنه في الأرض قادر علىٰ أن يمحقه ويجعله من الأسفلين، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وعليه فيجب الحذر من العلو علىٰ الناس، واجتناب ظلم العباد والتكبر عليهم وقهرهم والعدوان عليهم، ولا ينجو من ذلك إلا من تذكر علو الله تَعَالَىٰ وقهره، وأن العبد مهما علا وظلم وقهر فإن الله (العلي المتعال) فوقه يراه، وسيقتص للمظلومين ممن ظلمهم، وما من جبار علا في الأرض وتجبر إلا وقصمه الله تَعَالَىٰ وأهلكه؛ ولذلك لما ذكر سُبْحَانَهُ علاج من يخاف نشوزها من الزوجات في سورة النساء ختم ذلك باسميه سُبْحَانَهُ (العلي) (الكبير)، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى

ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

يقول القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند تفسير قوله تعالىٰ:** ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٤]: «فاحذروه بتهديد الأزواج علىٰ ظلم النسوة من غير سبب؛ فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم، فالله سُبْحَانَهُ علي قاهر كبير قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغىٰ عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلىٰ يدًا منهن، وأكبر درجةً منهن؛ فإن الله أعلىٰ منكم وأقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة»[(١)].

الأثر السادس: دعاء الله باسمه العلي الأعلىٰ المتعال:

من الأدعية المأثورة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدعاء باسمه العلي، حديث عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ- حِينَ يَسْتَيْقِظُ-: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ، وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ الله، وَالْـحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ**، قال الوليد: أو قال: **دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»[(٢)].

فاللهم يا علي يا عظيم، وفقنا لما تحب وترضىٰ.



---

(١) محاسن التأويل (٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤)، واللفظ لابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٧٨).

العليمُ العالِمُ علَّامُ الغُيوب جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفته، وعالمت الرجل فعلمته، أعلمه بالضم: غلبته بالعلم... ورجل علامة، أي: عالم جدًّا، والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون به داهيةً...».(١)

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد،... والعلم: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة»(٢).

ورود اسم الله (العليم - العالم - علام الغيوب) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله العليم في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) في القرآن الكريم مائةً وسبعًا وخمسين مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٩٠).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩).

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

ثانيًا: ورود اسم الله العالم في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (العالم) في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦].

ثالثًا: ورود اسم الله علام الغيوب في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (علام الغيوب) في القرآن الكريم أربع مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ:٤٨].

ورود اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (العليم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (العليم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ**»[(١)].

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل كبر، ثم يقول: **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ- ثلاثًا-، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا- ثلاثًا- أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٣٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٨) واللفظ له، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٨)، والنسائي، رقم الحديث: (٣٤٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٦٤٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٧٧٥)، والترمذي، رقم الحديث: (الحديث: (٢٤٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٧٧٥). داود، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث: (١٣٠).

ثانيًا: ورود اسم الله (العالم) في السنة النبوية:

وورد اسم الله (العالم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «سألت عائشة أم المؤمنين، بأي شيء كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: **اللهمَّ رَبَّ جِبرِيلَ ومِيكائِيلَ وإسرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ، عَالمَ الغَيبِ والشهادَةِ، أَنتَ تَحكم بَينَ عِبَادِكَ فيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفون، اهدني لِما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تَهدي مَن تَشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُستقيم**»(١).

٢- عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «يا رسول الله، مُرني بكلمات أقولهن إذا أمسيت وإذا أصبحت. قال: **قُلْ: اللهمَّ فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيب والشَّهادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَليكَهُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أَنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِهِ، قال: قُلهَا إذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَك**»(٢).

ثالثًا: ورود اسم الله (علام الغيوب) في السنة النبوية:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (علام الغيوب) في السنة النبوية، ومن وروده ما جاء في حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال: «**كان رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يعلمنا الاستخارة**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧).

في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ - ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أو قال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»(١).

معنى اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]: «إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك»(٢)، وقال أيضًا: «إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد»(٣).

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم والعالم بمعنىً واحد...وحسن الإعادة لاختلاف معنييهما؛ لأن العليم فيه صفة زائدة علىٰ ما في العالم»(٤).

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم والعالم صفتان مشتقان من العلم،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٩٥).

(٣) المرجع السابق (١٥/ ٢٣٩).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٩).

فالعالم اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم...»[1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العليم: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣]، وجاء علىٰ بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قالسُبْحَانَهُ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]».[2]

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها العليم: لأن معناه: المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفًا بعقل أو حس، وذلك راجع إلىٰ أنه لا يعزب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء، كما يعجز عن ذلك من لا عقل له ولا حس من المخلوقين، ومعنىٰ ذلك: أنه يشبههم ولا يشبهونه.

ومنها العلام: ومعناه العلام بأصناف المعلومات علىٰ تفاوتها، فهو يعلم الموجود، ويعلم ما هو كائن، وإنه إذا كان كيف يكون، ويعلم ما ليس بكائن، وأنه لو كان كيف كان يكون»[3].

❊ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الرعد:٩] أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفىٰ عليه منه شيء»[4].

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ، للزجاجي (ص: ٥٠-٥٧).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٥٧).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيء من الأشياء»[1].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُــوَ العَلِيــمُ بِمَــا يُوَسْــوِسُ عَبْــدُهُ
فِــي نَفْسِــهِ مِــنْ غَيْــرِ نُطْــقِ لِسَــانِ

بَــلْ يَسْــتَوِي فِــي عِلْمِــهِ الدَّانِي مَــعَ الـ
قَاصِــي وَذُو الإِسْــرَارِ وَالإِعْــلَانِ

وَهُــوَ العَلِيــمُ بِمَــا يَكُــونُ غَــدًا وَمَــا
قَــدْ كَانَ والمعْلُــوم فِــي ذَا الآنِ

وَبِــكُلِّ شَــيْءٍ لَــمْ يَكُــنْ لَــوْ كَانَ كَيْـ
ـفَ يَكُــونُ مَوْجُــودًا لَــدَىٰ الأَعْيَانِ[2]

اقتران اسم الله (العليم-العالم-علام الغيوب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (الحكيم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحكيم).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٣٦).

ثانيًا: اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (العزيز):

تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الواسع):

اقترن اسم الله العليم باسم الله (الواسع) في سبع آيات من القرآن الكريم، ومن وروده ما يلي:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وذلك للدلالة علىٰ أن سعة فضله وعطائه وجوده؛ راجع إلىٰ علمه بمن يستحق ذلك من خلقه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]: «... ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنىٰ مطابقين لسياقهما، وهما: (الواسع)، (العليم)، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه؛ فإن المضاعِف واسع العطاء، واسع الغنىٰ، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق؛ فإنه عليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها؛ فإن كرمه وفضله تَعَالَىٰ لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه»[1].

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٥٤٠).

رابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (القدير):

جاء اقتران اسم الله (العليم) باسم الله (القدير) في أربعة مواضع من كتاب الله، منها: قوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل:٧٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٥٠].

وذلك للدلالة على كمال الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ «العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الإفساد والظلم والطغيان»[1].

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الفتاح):

ورد اقتران اسم الله (العليم) باسمه (الفتاح) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

(والفتاح) له معنى عام يشمل فتح كل مغلق من الأسباب كالرزق والعلم، وله معنى خاص، كما هو المراد من آية (سبأ)، وهو الفصل والحكم الحق؛ ولذا فيقال- في وجه اقتران هذين الاسمين الجليلين-: «إنه إذا حمل الفتح على عموم معناه، فشمل فتح كل مغلق من الأسباب، كالرزق والعلم كان اقتران اسم (العليم) به دالًّا على كمال الفتح، وأنه يجري على مقتضى العلم، وفي ذلك صلاح العباد واستقامة أحوالهم، بخلاف ما لو كان فتحًا بغير علم، تَعَالَى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام، لنجلاء كردي (ص: ٤٣٣).

وإذا أريد بالفتح: القضاء والحكم كان اقتران (الفتاح) بـ(العليم) دالًّا علىٰ كمال الفتح- أي: الحكم- مشيرًا إلىٰ استقامته علىٰ العدل والقسط، فلا تميل به الأهواء، ولا ينحرف به الجهل، ومثل هذا الحكم جدير بأن يرهب ويخاف»[1].

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الخلاق):

تقدم بيانه في اسم الله (الخالق الخلاق).

سابعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (السميع):

تقدم بيانه في اسم الله (السميع).

ثامنًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الشاكر):

تقدم بيانه في اسم الله (الشاكر الشكور).

تاسعًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

عاشرًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (العليم) باسمه سُبْحَانَهُ (الخبير):

تقدم بيانه في اسم الله (الخبير).

ثانيًا: اقتران اسم الله (العالم) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

لم يقترن اسم الله (العالم) بأي اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

ثالثًا: اقتران اسم الله (علام الغيوب) بأسمائه الأخرىٰ سُبْحَانَهُ:

لم يقترن اسم الله (علام الغيوب) بأي اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

(١) المرجع السابق (ص: ٦٣٨).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (العليم- العالم- علام الغيوب):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه اسماء الله (العليم- العالم- علام الغيوب) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ العليم العالم، علام الغيوب الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، ووسع ما فيه من المخلوقات علمًا، فلا يخلو عن علمه ذات ولا حال ولا مكان ولا زمان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، وقال: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١].[١]

ومن مظاهر سعة علمه سُبْحَانَهُ[٢]:

١- شمول علمه وإحاطته لكل ما في السموات السبع، والأرضين السبع من المخلوقات والكائنات الصغيرة والكبيرة، والدقيقة والجليلة، الساكنة والمتحركة، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت:٥٢].[٣]

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٣٧).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢١٦، وما بعدها).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٣٦)، وفتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٤٦)، والحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٣٧-٣٨)

- **فيعلم العليم** سُبْحَانَهُ ما في سمائه من الملائكة، علىٰ الرغم من كثرتهم، حتىٰ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله**»(١).

- **ويعلم العليم** سُبْحَانَهُ ما في الأرض من البراري والقفار، وما فيها من الحيوانات، والأشجار، ويعلم ما فيها من البحار وحيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩](٢).

٢- إحاطة علمه بأحوال خلقه في جميع مراحلهم: قبل الخلق، وبعد الخلق في الحياة، والممات، والمعاد وما يكون من الجزاء في دار القرار، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥].

- **فعلم العليم قبل أن يخلق** الخلق كل شيء كائن، علمه بكلياته وجزائيته وتفاصيله ودقائقه، وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٩١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣١٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٩٠). حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣١٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٩).

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية، لصالح آل الشيخ (ص: ٦٦).

- **وعلم العليم بعد خلقهم** جميع أمورهم، فيعلم ما في الأرحام من حمل كل إناث الحيوانات، قال تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ [الرعد:٨]، ويعلم هل هو ذكر أو أنثىٰ، حسن أو قبيح، غني أو فقير، طويل الأجل أو قصير، شقي أو سعيد.

- **ويعلم العليم بعد خروجهم** علىٰ وجه الأرض أعمالهم وأقوالهم الظاهرة والباطنة، قال تَعَالَى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النمل:٢٥].

٣- إحاطة علمه بالظواهر والبواطن، والإعلان والإسرار، بل علمه بما هو أخفىٰ منها مما تنطوي عليه الصدور وتواريه، قال تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك:١٣]، قال تَعَالَى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:٥].

- فيعلم العليم سُبۡحَانَهُ ما يظهر من الأقوال ولو صدرت في آن واحد، ويعلم الأعمال ولو صغرت، خيرها وشرها، قال تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء:٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور:٢٨][1].

- ويعلم العالم سُبۡحَانَهُ السر كعلمه بالجهر؛ فالكل سواء، والعامل في ظلمة الليل المدلهم كالعامل في وضح النهار سيان، قال تَعَالَى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه:٧].

- ويعلم سُبۡحَانَهُ ما تكنه القلوب، وتخفيه الصدور من الإيمان والكفر والنفاق، وما تخفيه من النوايا الطيبة والخبيثة، والمقاصد الحسنة والقبيحة،

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤١٤).

وما تخفيه من أعمال القلوب الصالحة والفاسدة، قال تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥].

٤- إحاطة علمه بما يصلح لخلقه من الأحكام الشرعية والقدرية، قال تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]

- فيعلم ما يصلحهم من الشرائع التي تنتهي بهم إلىٰ سعادة الدارين، والتي أرسل بها الرسل وأنزل بها الكتب، قال تَعَالَى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]، وكثير من آيات الأحكام يختمها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:٤] كما في أحكام المواريث، والنكاح، والكفارات، والحدود، وغيرها، إشارة إلىٰ أن هذه الأحكام إنما صدرت عن علم تام، وحكمة بالغة.

- ويعلم ما يصلح لهم من الأقدار غنىٰ وفقرًا، وصحة ومرضًا، وولدًا وعقمًا، ونحو ذلك؛ وبناء عليه قدَّر وقضىٰ، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٦٢]، وهذا يظهر بجلاء في قصة الخضر مع موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ قدر سُبْحَانَهُ لأصحاب السفينة واليتيمين ما فيه صلاح دنياهم، وقدر لوالدي الغلام ما فيه صلاح دينهم، وإن كان ظاهر الأمر في أوله شر وسوء[1].

٥- إحاطة علمه بالأزمان كلها؛ فيعلم ما كان من الماضي، قال تَعَالَى عن قول فرعون وجواب موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له، قال تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١- ٥٢].

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٨٥).

- ويعلم ما يكون في الحاضر، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد: ٨]، ويعلم ما سيكون في المستقبل الذي لا نهاية له؛ قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

- ويعلم سُبْحَانَهُ ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

- **ومن ذلك**: علمه بمفاتح الغيب التي طوىٰ علمها عن جميع خلقه، فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا بتعليمه إياه، قال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩][1]، وفسرها رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، ثم قرأ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]»[2].

وما سبق كله دال علىٰ عظمة علم الله عَزَّوَجَلَّ وسعته، وأن الخلق من أولهم إلىٰ آخرهم لو اجتمعوا علىٰ أن يحيطوا ببعض هذه الصفة لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب الواسع العليم، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥][3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٧٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٩).

ثم إن هذا ليس مقتصرًا علىٰ صفة العلم، بل كذا ذاته العلية وأسمائه الحسنىٰ وصفاته الأخرىٰ لا يحيط الخلق بها، ولا يعلمون منها إلا ما أعلمهم العليم وأطلعهم عن طريق رسله وكتبه، قال تَعَالَى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠][(١)].

الأثر الثاني: توحيد الله بأسمائه العليم العالم علام الغيوب:

- دلالة أسماء الله العليم، العالم، علام الغيوب، علىٰ توحيد الألوهية والربوبية:

فأسماء الله: العليم، العالم، علام الغيوب؛ تدعو العباد إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعلم الغيب؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله، قال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]»[(٢)].

فالغيب خاص بعلام الغيوب، لا يشاركه في علمه أحد من خلقه ولو كان ملكًا أو نبيًّا، يقول تَعَالَى علىٰ لسان الملائكة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، ويقول أشرف الأنبياء والمرسلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما سأله أشرف رسول ملكي وهو جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فقال: أخبرني

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠).

(٢) سبق تخريجه.

عن الساعة؟ قال: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1]، أي: كما أنه لا علم لك بها، فلا علم لي بها أيضًا[2].

ومن هنا فاختصاص الله وحده بعلم الغيب واطلاعه علىٰ كل شيء أكبر داع إلىٰ توحيد العبادة، يقول تعالَىٰ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٤-٦٥].

- دلالة أسماء الله العليم العالم علام الغيوب علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن أسماء الله العليم العالم علام الغيوب تدل علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهي تدل- أيضًا- علىٰ توحيد الأسماء والصفات، وتدل علىٰ عدد كبير منها كالبصير، والسميع، والقدير، والخبير، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الثالث: تحريم إتيان من ادعىٰ علم الغيب:

من آمن بأسماء الله العليم العالم علام الغيوب؛ أيقن أن الكهان والعرافين ونحوهم لا يعلمون شيئًا من الغيب، وإنما يخبرون بما تمليه عليهم الشياطين والجن مما استرقوه من السمع؛ ولذلك جاء النهي عن سؤالهم والتغليظ في ذلك، يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/ ١٩٤).

عَلَىٰ مُحَمَّدٍ» (١)، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»** (٢).

ولذا فمن ادعىٰ علم الغيب، أو اعتقد أن أحدًا من الخلق يشارك الله في ذلك، فإنه كافر وفعله مناقض للإسلام؛ لما فيه من مصادمة النصوص وتكذيبها، يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فالكاهن من يزعم أنه يعلم بعض المغيبات، وأكثر ما يكون ذلك ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن، كما ورد بالحديث الذي مر ذكره، ومثل هؤلاء من يخط في الرمل أو ينظر في الفنجان أو في الكف ونحو ذلك، وكذا من يفتح الكتاب؛ زعمًا منهم أنهم يعرفون بذلك علم الغيب، وهم كفار بهذا الاعتقاد؛ لأنهم بهذا الزعم يدعون مشاركة الله في صفة من صفاته الخاصة وهي علم الغيب، ولتكذيبهم بقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقوله تَعَالَىٰ لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ [الأنعام:٥٠]، ومن أتاهم وصدقهم بما يقولون من علم الغيب فهو كافر؛ لما رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البزار، رقم الحديث: (٣٥٧٨)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم (٢٦٥٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٩٠٦)، حكم الألباني: صحيح، غاية المرام، رقم الحديث: (٢٨٤).

قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[(1)][(2)].

وقد قسم الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **سؤال العراف والكاهن ونحوهما إلىٰ أقسام، فقال:**

«**القسم الأول**: أن يسأله سؤالًا مجردًا؛ فهذا حرام؛ لقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا**) ؛ فإثبات العقوبة علىٰ سؤاله يدل علىٰ تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا علىٰ فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله؛ فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله؛ فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث...

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا...»[(3)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٣٠٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٥)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٦٥٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٩٣٩).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٢/ ١٢٠).

(٣) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٥٣٣-٥٣٤).

الأثر الرابع: الرضا بأقدار العليم العالم علام الغيوب:

إن يقين العبد باسم ربه العليم العالم علام الغيوب وما فيه من العلم السابق للأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلقها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]- كله داع إلىٰ التسليم والرضا والاطمئنان لحكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولو كان مكروهًا للنفس، شديدًا عليها، لا سيما إذا ضم إليه اليقين بحكمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لم يقدِّر ما قدَّر عبثًا ولا لهوًا ولا سفاهة وطيشًا.

ولهذا المعنىٰ نجد أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ يذكرون علم الله كعزاء لهم في ما يواجههم من المصائب والآلام، فهذا نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول عند فقد أبنائه الثلاثة: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، ولما عاتب الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ سؤاله لابنه، قال معتذرًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

ونجد الله عَزَّوَجَلَّ يختم الآيات التي يذكر فيها تفاوت أرزاق الناس بعلمه سُبْحَانَهُ، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٢].

وإن من التسليم لقدر الله واختياره المبني علىٰ علم «دعاء الاستخارة»؛ إذ فيه التسليم لله وتفويض الحكم والاختيار إليه؛ لتمام علمه وخبرته وقدرته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلىٰ علم ما فيه من المصلحة، وقدره عليه وتيسره له، وليس له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم وقدرته منه، فإن لم يقدره عليه وإلا فهو عاجز، وتيسيره منه، فإن لم ييسره عليه وإلا فهو متعسر عليه بعد أقداره؛ أرشده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ محض العبودية، وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الأمور وتفاصيلها وخيرها وشرها، وطلب القدرة منه؛ فإنه إن لم يقدره وإلا فهو عاجز، وطلب فضله منه، فإن لم ييسره له ويهيئه له وإلا فهو متعذر عليه.

ثم إذا اختاره له بعلمه وأعانه عليه بقدرته ويسره له من فضله؛ فهو يحتاج إلىٰ أن يبقيه عليه ويديمه بالبركة التي يضعها فيه، والبركة تتضمن ثبوته ونموه، وهذا قدر زائد علىٰ إقداره عليه وتيسيره له، ثم إذا فعل ذلك كله فهو محتاج إلىٰ أن يرضيه به، فإنه قد يهيء له ما يكرهه؛ فيظل ساخطًا، ويكون قد فضّله الله به.

قال عبد الله بن عمران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل ليستخير الله، فيختار له، فيسخط علىٰ ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خار له...

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكرهوا النقمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك»[1].

كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] ولكن كثير من

---

(١) شفاء العليل، لابن القيم (ص: ٣٤).

الناس علىٰ خلاف هذا، فتجد الواحد منهم يستخير ثم يحدث المقدور علىٰ خلاف ما يحب ويشتهي، فيسخط علىٰ ربه، ولا يرضىٰ بحكمه، مع أن مقتضىٰ الاستخارة التي لهج بها خلاف ذلك؛ إذ هي توكيل لله العليم الخبير بالأمر؛ ومن ثم الرضىٰ بحكمه والتسليم إليه.

الأثر الخامس: التسليم لشريعة العليم العالم علام الغيوب، والرضىٰ بها:

إذا تيقن العبد اسم ربه العليم العالم علام الغيوب، وما فيه من تمام العلم بالخلق، وتمام الخبرة بما يصلح لهم من الأحكام والشرائع، كما قال تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، وختم كثير من آيات الأحكام باسمه «العليم الحيكم» كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقوله سُبْحَانَهُ بعد أن ذكر أحكام الاستئذان: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، وقوله تَعَالَى بعد أن ذكر المحرمات من النساء: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٢٤]؛ دفعه هذا إلىٰ التسليم والرضىٰ بحكم الله الشرعي، سواء كان أمرًا أو نهيًا أو خبرًا، بل ويدعوه- أيضًا- إلىٰ الفرح والاغتباط بحكمه؛ لأنه من لدن حكيم عليم.

ثم إن التسليم لحكم الله الشرعي والفرح به يقتضي الحكم به، والتحاكم إليه، وسلامة القلب من الحرج منه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، بل ويقتضي- أيضًا- رفض ما سواها من السياسات الجائرة، والأقيسة الفاسدة، والأحكام الجاهلية، والسعي بالدعوة والجهاد في سبيل الله لإقامتها حتىٰ يكون الدين كله لله، وينعم الناس بشريعة الله عَزَّوَجَلَّ المبرأة من الجهل، والظلم، والهوىٰ، والنقص؛ لأنها من لدن حكيم عليم.

الأثر السادس: الثقة بكفاية العليم العالم علام الغيوب شر الأعداء:

إذا تأمل المسلم في اسم الله العليم العالم علام الغيوب، ثم نظر إلىٰ أعداء الإسلام وتكالبهم، وعظم مكرهم وكيدهم، حتىٰ أنهم يعملون الليل والنهار، وينفقون الأموال الطوال؛ حربًا علىٰ الإسلام وأهله- بعثت هذه الأسماء الكريمة في نفسه شعورًا بالاطمئنان واستقرار القلب، وثبوت القدم، والإقدام علىٰ مواجهة الاعداء ومقارعتهم من غير مهابة ولا وجل، وإنما ذلك لعلمه بأن المسلمين وإن قصر علمهم عن كيد عدوهم ومكرهم، إلا أن ربهم العليم القوي العزيز لا يخفىٰ عليه من أمرهم خافية، وهو من ورائهم محيط وعليهم قدير، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦]، وقال تَعَالَى عن المنافقين: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦-٧٧].

فسيكفي أهل الإسلام مكر عدوهم، كما كفىٰ نبيه صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكر قومه إذ قال الأشقياء منهم: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل:٤٩]، فكانت صيحة العذاب أسرع نزولًا عليهم من تنفيذ مكرهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥٢][1].

وسيكفيهم العليم، كما كفىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكر اليهود، حينما خططوا ودبروا لقتله، بل مكر بهم سُبْحَانَهُ كما قال جل في علاه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٤- ٥٥]. [2]

وسيكفيهم كما كفىٰ عبده ورسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكر كفار قريش، حينما تشاوروا في دار الندوة فيما يصنعون به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحبس والإيثاق، أو القتل، أو الإخراج من دارهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠]، حتىٰ إذا اتفقوا علىٰ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٣٢).

قتله وترصدوا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه؛ كادهم الله وكفىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكرهم، فخرج من بين أظهرهم يذر التراب علىٰ رؤوسهم، بعد أن أعمىٰ الله أبصارهم، قال تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][1].

وكفاه مكر يهود بني النضير، حينما خرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم في نفر من أصحابه يكلمهم في إعانته بالدية، إلا أن نفوسهم الخبيثة سولت لهم قتله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحىٰ، ويصعد فيلقيها علىٰ رأسه يشدخه بها؟ فجاء الوحي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام من فوره وتوجه إلىٰ المدينة، ثم أحاط مكرهم به وذاقوا عاقبته، فأجلوا من المدينة إلىٰ الشام، ليس معهم من متاعهم إلا ما تحمله رواحلهم من غير السلاح، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ٢-٣][2].

الأثر السابع: إصلاح الباطن للعليم العالم علام الغيوب:

اسم الله العليم العالم علام الغيوب وما فيه من علم الله بالبواطن وما تخفيه الصدور، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] يدفع العبد إلىٰ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣١٩)، والرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ١٤٦-١٤٨).

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ٢٦٨-٢٧٠).

الاهتمام بباطنه وإصلاحه بالتخلية والتحلية، **فيخليه** ويخلصه من آفات القلوب التي تخفىٰ علىٰ الناس، ولكنها لا تخفىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كالرياء، والنفاق، والشبه، والشكوك، والحسد، والغل، والعجب، والكبر، و الخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية، ونحو ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قلت: فما السبيل إلىٰ حفظ الخواطر قلت: أسباب عدة، أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب سُبْحَانَهُ ونظره إلىٰ قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرىٰ مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته...»[(١)].

ثم بعد هذه التخلية يحلي قلبه بالعبادات القلبية التي شرعها الله لعباده وأمرهم بها من المحبة، والرجاء، والخوف، والخشية، والتعظيم، والمراقبة ونحوها من أعمال القلوب.

الأثر الثامن: محبة العليم والعالم وعلام الغيوب:

فإن العبد إذا تيقن علم الله الشامل لكل شيء علىٰ وجه لا نقص فيه، ولا عيب معه؛ أثمر ذلك في قلبه حبًّا للعليم العالم علام الغيوب؛ إذ النفوس

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٧٥).

جبلت علىٰ حب من له صفات الكمال، فكيف إذا كان كماله لا نقص فيه البتة، سُبْحَانَهُ.

الأثر التاسع: اتصاف العبد بطلب العلم:

إن اسم الله العليم العالم علام الغيوب يقتضي حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للعلم والعلماء، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحب الخلق إليه: من اتصف بمقتضيات صفاته،...عالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال»[1]

وهذا يدفع العبد إلىٰ طلب العلم وسلوك طريقه؛ إذ هو من أهم الواجبات علىٰ العبد، فلا يمكن أن يعبد الرب بما شرع إلا بعد معرفته، ومعرفة دينه، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه.

ومن هنا كان للعلم وأهله المكانة العظيمة والمنزلة الشريفة التي يطول ذكرها، إلا أن منها علىٰ وجه الإيجاز:

- رفعة الدرجة في الدنيا والآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌۭ﴾ [المجادلة: ١١]، وعن عامر بن واثلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن: نافع بن عبد الحارث لقي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعسفان- وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يستعمله علىٰ مكة فقال-: من استعملت علىٰ أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزىٰ، قال: ومن ابن أبزىٰ؟ قال: مولىٰ من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولىٰ؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ**

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٤).

آخَرِينَ»[(١)].

- تفضيل العالم علىٰ العابد؛ فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ذُكر لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلان؛ أحدهما: عابد، والآخر: عالم، فقال رسول الله: **فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ**، ثم قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[(٢)].

- طلب المزيد منه دون غيره، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

- تفضيل العلم علىٰ نوافل العبادات، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه إذا كان كل من العلم والعمل فرضًا، فلا بد منهما كالصوم والصلاة، فإذا كانا فضلين- وهما النفلان المتطوع بهما- ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها؛ لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه، والعبادة يختص نفعها بصاحبها، ولأن العلم تبقىٰ فائدته وعلمه بعد موته، والعبادة تنقطع عنه»[(٣)].

وإنما هذه الفضائل لمن طلب العلم فعمل به ودعا إليه، وازداد به خشية، وتواضع له وللخلق، لا من طلبه فأداه علمه للكبر والفخر والمباهاة دون العمل والخشية.

ثم إن العلم ربما حمل صاحبه علىٰ الكبر والتعالي، إلا أن مما يعين علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٧).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٨٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٩١١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦٨٥).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (ص١٢٠).

التواضع أن يتذكر العالم وطالب العلم أن علمه إنما هو بتعليم الله له، لا بحوله وقوته، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥].

ويتذكر- أيضًا- أن ما أوتيه من العلم إنما هو قطرة من بحر علم الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، وقال الخضر لموسىٰ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ عندما رأىٰ عصفورًا ينقر بمنقاره في البحر: «**يَا مُوسَىٰ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ**» (١).

فاللهم يا عليم يا عالم يا علام الغيوب، علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا.



(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٠١).

الغفورُ الغفَّارُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفر: التغطية، والغفر: الغفران، وغفرت المتاع: جعلته في الوعاء»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغين والفاء والراء، عظم بابه الستر، ثم يشذ عنه ما يذكر، فالغفر: الستر، والغفران والغفر، يقال: غفر الله ذنبه غفرًا ومغفرة وغفرانًا...»(٢).

ورود اسم الله (الغفور و الغفار) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) في القرآن الكريم في إحدىٰ وتسعين آية في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

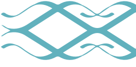
٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٣٤).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٥).



وأما اسمه سُبْحَانَهُ (الغفار) فقد ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾[ص: ٦٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾[نوح: ١٠].

ورود اسم الله (الغفور- الغفار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الغفور) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه قال- لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[1].

٢- وعن محجن بن الأدرع رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، «أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فقال: **قَدْ غُفِرَ له، قَدْ غُفِرَ لَهُ**. ثلاثًا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٣٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٩٧٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٨٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٩٨٥).

٣- عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللهمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[(١)].

وورد اسم الله (الغفار) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»[(٢)].

معنى اسم الله (الغفور- الغفار) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله الغفور الغفار- في حقه تَعَالَى- حول ستر الذنوب.

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ الغفر- في حق الله سُبْحَانَهُ-: هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره»[(٣)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفار: الستير لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنىٰ الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٦٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٢٠٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٤٩٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داد، رقم الحديث: (٣٢٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٧٦٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٠٦٦).

(٣) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٣٨).

يهتك ستره بالعقوبة التيٰ تشهره في عيونهم»[1].

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغافر: وهو الذي يستر علىٰ المذنب ولا يؤاخذه به فيشهره ويفضحه، ومنها الغفار: وهو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومنها الغفور: وهو الذي يكثر منه الستر علىٰ المذنبين من عباده، ويزيد عفوه علىٰ مؤاخذته»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العفو- الغفور- الغفار): الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلىٰ عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلىٰ رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتىٰ بأسبابها، قال تَعَالَى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ** ﴾ [طه: ٨٢]»[3].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

وَهـوَ الغَفُـورُ فَلَـوْ أَتَـىٰ بِقُرَابِـها ... مِـنْ غَيْـرِ شِـرْكٍ بَـلْ مِـنَ العِصْيَـانِ
لَأَتَـاهُ بِالغُفْـرَانِ مِـلْءَ قُرَابِـهَا ... سُـبْحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفْـرَانِ[4]

الفرق بين اسم الله الغفور، واسمه الغفار:

«أن الغفور الذي يغفر الذنوب العظيمة، والغفار الذي يغفر الذنوب الكثيرة»[5]، وقيل: «الغفار: هو المبالغ في الستر، فلا يشهر المذنب لا في الدنيا

(١) شأن الدعاء (ص: ٥٢).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٤) نونية ابن القيم (٢/ ٢٣١).

(٥) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (١/ ١٥٦).

ولا في الآخرة، والغفور: هو الذي يكثر منه الستر علىٰ المذنبين من عباده، ويزيد عفوه علىٰ مؤاخذته»[1].

اقتران اسم الله (الغفور - الغفار) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الغفور باسم الله الرحيم:

تقدم بيانه في اسم الله (الرحيم).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الغفور - الغفار) باسم الله (العزيز):

تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

ثالثًا: اقتران اسم الله (الغفور) باسم الله (العفو):

تقدم بيانه في اسم الله (العفو).

رابعًا: اقتران اسم الله (الغفور) باسم الله (الشكور):

تقدم بيانه في شرح اسم الله (الشكور).

خامسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) باسمه سُبْحَانَهُ (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

سادسًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغفور) باسمه سُبْحَانَهُ (الودود):

ومن ذلك قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢ -١٤].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناسبة هذا الاقتران: «وما ألطف اقتران اسم (الودود) بـ(الرحيم)؛ وبـ(الغفور)؛ فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تَعَالَىٰ يغفر لعبده إذا تاب إليه؛ ويرحمه ويحبه مع ذلك»[1]، وقال في موضع آخر: «إن الله تَعَالَىٰ يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه، كما قال: «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»، فالتائب حبيب الله، والود أصفىٰ الحب»[2].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغفور والغفار):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الغفور والغفار) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الغفور سُبْحَانَهُ يرخي ستره علىٰ عباده، ويغفر لهم، ويعفو عنهم، ويرحمهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وهو سُبْحَانَهُ الذي يفتح للعصاة من خلقه باب التوبة، ويدعوهم إلىٰ الولوج فيه، فيبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وهو الذي يغفر الذنب مهما عظم إن تاب صاحبه منه، يقول تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣].

وفي هذه الآية بشارة ربانية عظيمة، مفادها: أنه مهما كان الذنب عظيمًا، ومهما كانت الخطيئة كبيرة لا تيأس ولا تقنط، بل أقبل علىٰ الغفور الغفار فهو

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٢٤).

(٢) روضة المحبين (ص: ٤٧).

وحده غافر الذنب وقابل التوب، وفي ذلك يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ الله، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَىٰ بِصَدْرِهِ[(١)]. فهذا قتل وأكثر، وتاب إلىٰ الله فأدركته الرحمة فكيف بما دون ذلك من الذنوب؟!

ومغفرته سُبْحَانَهُ أعظم من كل ذنب، ففي الحديث القدسي: «**قَالَ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[(٢)].

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٠).

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣]، وقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: وهذه أرجىٰ آية في القرآن، فرد عليهم ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: أرجىٰ آية في القرآن قول تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾»[1]،

بل من فضله وجوده وكرمه: أن وعد بأن يبدل سيئات المذنبين إلىٰ حسنات، يقول تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فحري بالقلب أن يتعلق بالغفور الغفار سُبْحَانَهُ، ويوحده بألوهيته وربوبيته، وينظر باستحياء لمظاهر مغفرته وعفوه، ويدعوه تضرعًا وخفية بأن يغفر الذنب ويقبل التوب.

وكما أن اسم الله الغفور الغفار دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله العفو، والرؤوف، والرحمن، والرحيم، والمنان، والكريم إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾:

كل الذنوب تحت المشيئة في الآخرة، إن شاء الله غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، إلا الشرك به سُبْحَانَهُ، فإنه لا يغفره، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

«وهذا وعيد بأنه تَعَالَى لم يجعل مغفرته لمن أشرك به، وقد قال العلماء في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]: إن في هذه الآية

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٩).

دليلًا علىٰ أن المغفرة لا تكون لمن أشرك شركًا أكبر، أو أشرك شركًا أصغر؛ فإن الشرك لا يدخل تحت المغفرة، بل يكون بالموازنة، فهو لا يغفر إلا بالتوبة، فمن مات علىٰ ذلك غير تائب فهو غير مغفور له ما فعله من الشرك، وقد يغفر الله تَعَالَى غير الشرك، كما قال تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعلوا الآية دليلًا علىٰ أن الشرك الأكبر والأصغر لا يدخل تحت المشيئة.

ووجه الاستدلال من الآية: أن (أن) في قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] موصول حرفي، فتؤول مع الفعل الذي بعدها وهو يشرك بمصدر- كما هو معلوم-، والمصدر نكرة وقع في سياق النفي، وإذا وقعت النكرة في سياق النفي عمت، قالوا: فهذا يدل علىٰ أن الشرك الذي نفي هنا يعم الأكبر والأصغر، والخفي، فكل أنواع الشرك لا يغفرها الله جَلَّ وَعَلَا وذلك لعظم خطيئة الشرك؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي خلق، ورزق، وأعطىٰ، وهو الذي تفضل، فكيف يتوجه القلب عنه إلىٰ غيره؟! لا شك أن هذا ظلم في حق الله جَلَّ وَعَلَا ولذلك لم يغفر، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وأكثر علماء الدعوة.

وقال آخرون من أهل العلم: إن قوله تَعَالَى هنا: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] دال علىٰ العموم، لكنه عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر، فالمقصود بالشرك في قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨] هو: الشرك الأكبر فقط دون غيره، وأما ما دون الشرك الأكبر فإنه يكون داخلًا تحت المشيئة، فيكون بالعموم في الآية مرادًا به الخصوص؛ لأنه غالبًا ما يرد في القرآن هذا اللفظ: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ونحو ذلك، ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر،

وهذا في الغالب- كما سبق- فالشرك غالبًا ما يطلق في القرآن علىٰ الأكبر دون الأصغر، ومن شواهد ذلك، قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فقوله في الآية: يشرك هو- أيضًا-: فعل داخل في سياق الشرط، فيكون عامًّا.

لكن هل يدخل فيه الشرك الأصغر والخفي؟ الجواب: أنه لا يدخل بالإجماع؛ لأنه تحريم الجنة، وإدخال النار، والتخليد فيها، إنما هو لأهل الموت علىٰ الشرك الأكبر، فدلنا ذلك علىٰ أن المراد بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢] أهل الإشراك بالله الشرك الأكبر، فلم يدخل فيه الأصغر، ولم يدخل ما دونه من أنواع الأصغر، فيكون المفهوم- إذًا- من آيتي سورة النساء كالمفهوم من آية سورة المائدة، ونحوها، وهذا كقوله تَعَالَىٰ في سورة الحج ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فهذا ونحوه وارد في الشرك الأكبر، ويكون- علىٰ هذا القول- المراد بما نفي هنا في قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن﴾ [النساء: ٤٨] الشرك الأكبر.

ولما كان اختيار إمام الدعوة، كما هو اختيار عدد من المحققين: كشيخ الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما أن العموم هنا شامل لأنواع الشرك: الأكبر، والأصغر، والخفي؛ كان الاستدلال بهذه الآية صحيحًا؛ لأن الشرك أنواع، وإذا كان الشرك بأنواعه لا يغفر، فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف، فإذا كان الشرك الأصغر: كالحلف بغير الله، وتعليق التميمة،

والحلقة، والخيط، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأصغر، كقولك: ما شاء الله وشئت، ونسبة النعم إلىٰ غير الله، إذا كان ذلك لا يغفر فإنه يوجب أعظم الخوف كالشرك الأكبر.

وإذا كان كذلك، فيقع في الخوف من الشرك من هم علىٰ غير التوحيد، كمن يعبدون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويتوجهون إلىٰ غيره، ويذبحون وينذرون لغيره، ويحبون غير الله محبة العبادة، ويرجون غير الله رجاء العبادة، ويخافون خوف السر من غير الله، إلىٰ غير ذلك من ألوان الشرك، فيكون هؤلاء أولىٰ بالخوف من الشرك؛ لأنهم وقعوا فيما اتفق عليه: أنه لا يغفر.

كما يقع في الخوف من الشرك أهل الإسلام الذين قد يقعون في بعض أنواع الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر بأنواعه، وهم لا يشعرون أو وهم لا يحذرون»[1].

الأثر الثالث: الأنبياء يطلبون المغفرة من الغفور سُبْحَانَهُ:

من تأمل سيرة صفوة الخلق وهم الأنبياء، وجدهم أكثر الناس توبة واستغفارًا، سواء لأنفسهم أو لأممهم، ومن أمثلة ذلك وشواهده:

- قول الله علىٰ لسان آدم وزوجه عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

- قول الله علىٰ لسان نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] وكان من دعائه أيضًا: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح عبدالعزيز آل الشيخ (ص: ٤٥-٤٨).

- قول الله على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

- قول الله على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [طه:١٥١]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

- قول الله على لسان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٤-٢٥].

- قول الله على لسان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]

- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١)، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصف حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتقول: «ما صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة بعد أن نزلت عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: **سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٢)، وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٦٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

فإن كان هؤلاء الكرام الأصفياء يتضرعون إلىٰ الله بخالص الدعاء، ويستغفرونه ويتوبون إليه؛ فحري بكل عبد دونهم أن يقتدي بهديهم، وأن يستن بسنتهم.

ومن أدعية الاستغفار الجامعة دعاء سيد الاستغفار، وهو مارواه شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»، قال: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

الأثر الرابع: محبة الغفور الغفار سُبْحَانَهُ:

فالغفور الغفار سُبْحَانَهُ هو من أسدل الستر علىٰ الذنوب في الدنيا، وتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، فأظهر الجميل وستر القبيح بكرمه وجوده وفضله، ومن هذه صفاته فهو أحق بالمحبة الكاملة التامة.

الأثر الخامس: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾:

إن المغفرة الواسعة صفة اتصف بها الغفور عَزَّوَجَلَّ، وأودع شيئًا منها في قلوب من يشاء من عباده، بل أمرهم بالتأدب بها، فقال تَعَالَىٰ مخاطبًا نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ [الجاثية: ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «يأمر تَعَالَىٰ عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر علىٰ أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تَعَالَىٰ سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون، فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم علىٰ إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوابًا جزيلًا»[1].

لذلك يجب أن يتصف الإنسان بالمغفرة للعباد، والصفح عنهم الصفح الجميل، ومن غفر للناس غفر الله له، ومن تجاوز عنهم تجاوز الله عنه، والجزاء من جنس العمل، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ الله لَكُمْ...**»[2].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّهُ حَرَسَ لَيْلَةً مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ شَبَّ لَهُمْ سِرَاجٌ فِي بَيْتٍ فَانْطَلَقُوا يَؤُمُّونَهُ حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْا مِنْهُ إِذَا بَابٌ مُجَافٍ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ فِيهِ أَصْوَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَتَدْرِي بَيْتَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَذَا بَيْتُ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَهُمُ الْآنَ شَرْبٌ فَمَا تَرَىٰ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَرَىٰ قَدْ أَتَيْنَا مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، نَهَانَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ فَقَدْ تَجَسَّسْنَا فَانْصَرَفَ عُمَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ»[3]، وهذا يدل علىٰ وجوب الستر، وترك التتبع.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٧٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧١٦٢)، والطبراني في مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٠٥٥)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٦٨٤٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٤٨٢).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، رقم الحديث: (١٨٠٦)، والحاكم، رقم الحديث: (٨٢٢٨)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٧٧٠٣).

الأثر السادس: التعرض لأسباب المغفرة:

فقد جعل الله سُبْحَانَهُ للمغفرة علامات ومبشرات، فمن رزقها يرجىٰ أن يكون قد غفر له، ومن هذه الأسباب:

١- **الإسلام**، فهو يكفر كل ما سبق من السيئات، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحسُنَ إِسْلَامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ القَصَاصِ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، والسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا»**(١).

٢- **الموت علىٰ التوحيد**، يقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: **« يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»**(٢).

٣- **طاعة الله واتباع رسوله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤].

٤- **الأذان**، يقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ، وَيُصَدِّقُهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّىٰ مَعَهُ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٨٠٠)، والنسائي، رقم الحديث: (٦٤٦)، حكم الألباني، صحيح،صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٦٤٦).

٥- **الذكر عند الأذان**، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الـمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا- غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»(١).

٦- **إحسان الوضوء**، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»(٢).

٧- **الصلاة**، بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟** قَالُوا: **لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ** . قَالَ: **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**»(٣).

٨- **صلاة ركعتين بعد الوضوء**، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ** »(٤) زاد أحمد: «**وَغُفِرَ لَهُ**»(٥).

٩- **من وافق تأمينه تأمين الملائكة**، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الـمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٦٦٧).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٥٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٨٠٢).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤١٠).

١٠- الذكر دبر كل صلاة، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المائَةِ: لَا إِلَهَ إلا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(١).

١١- قيام الليل، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**»(٢).

١٢- الصدقة، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»(٣).

١٣- صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وكذا قيامه، يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤)، ويقول: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٤٩)، وابن خزيمة، رقم الحديث: (١١٣٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٧٤٦٦)، والحاكم، رقم الحديث: (١١٦٠)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (٤٥٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٥١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٦١٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (١٧٢٣)، ، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٦١٤).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٥٩).

١٤- **قيام ليلة القدر**، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

١٥- **صيام أيام خاصة تطوعًا**، كصيام يوم عرفة، فيقول فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ-: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ**»(٢)، كذلك صيام يوم عاشوراء، يقول فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ -: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ**»(٣).

١٦- **الحج المبرور**، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤).

١٧- **العمرة**، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»(٥).

١٨- **قول سبحان الله وبحمده**، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٩٠١)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٨١٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٥٠).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٧٧٣)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٤٩).

(٦) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٥)، ومسلم، رقم الحديث:(٢٦٩١).

١٩- **الصلاة على النبي** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ**»(١).

٢٠- **كفارة المجلس**، يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَتَهُ**»(٢).

٢١- **عيادة المريض**، يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»(٣).

الأثر السابع: ثمرات الاستغفار:

إن العبد إن تاب إلىٰ ربه، واستغفره وأناب إليه؛ أكرمه الله بكرامات عديدة، ومنحه عطايا جليلة، وأغدق عليه الثمرات النافعة في الدنيا والآخرة، ومنها:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢١٨٠)، والنسائي، رقم الحديث: (١٢٩٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث:(١٢٩٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٨٥)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٥٨٦)، حكم الألباني:صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٨١).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٠٩٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٢٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٧١٧).

١- انشراح الصدر، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ الله لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[2].

٢- دواء شافي من الذنوب، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

٣- رحمة الله للمستغفرين، يقول تَعَالَى على لسان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠].

٤- جلب النعم عامة، يقول تَعَالَى على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ٩-١٢]. ويقول تَعَالَى على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

٥- دفع العقوبة عن المستغفرين، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

٦- حل المشاكل الصعبة والعويصة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشهدت شيخ الإسلام إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فر منها إلىٰ التوبة والاستغفار،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥١٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨١٩)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٨).

والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من حزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق هذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حُرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتىٰ أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»(١).

ويمكن إيجاز كل هذه الثمرات بقول: إن المستغفرين وعدوا بالمتاع الحسن في الدنيا، والفضل العظيم في الآخرة، يقول تعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود:٣]

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك، ونتوب إليك، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.



(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٣٢).

الغَنِيُّ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غنىٰ فهو غَنِيٌّ، وتغنىٰ الرجل: أي استغنىٰ وأغناه الله، وتغانَوا: أي استغنىٰ بعضهم عن بعض»(١).

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما: يدل علىٰ الكفاية، والآخر: صوت؛ فالأول الغنىٰ في المال، يقال: غني يغنىٰ غنىٰ، والغَنَاء- بفتح الغين مع المد: الكفاية، يقال: لا يغني فلان غناء فلان، أي: لا يكفي كفايته، وغني عن كذا فهو غانٍ، وغني القوم في دارهم: أقاموا، كأنهم استغنوا بها»(٢).

ورود اسم الله (الغني) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغني) في كتاب الله ثماني عشرة مرة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) الصحاح (٦/ ٣٠٠).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٩٧- ٣٩٨).

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٦].

ورود اسم الله (الغني) في السنة النبوية:

ورد اسم الله الغني في السنة النبوية، ومن وروده فيها ما يلي:

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «شَكَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّىٰ، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَىٰ الْمِنبَرِ فَكَبَّرَ، وَحَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**، ثم قال: **الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّىٰ بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَىٰ النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّىٰ سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُرْعَتَهُمْ إِلَىٰ الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: **أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١).

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١١٧٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١١٧٣).

معنى اسم الله (الغني) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني - في كلام العرب -: الذي ليس بمحتاج إلىٰ غيره، وكذلك الله ليس بمحتاج إلىٰ أحد، جَلَّ وَعَلَا عن ذلك علوًّا كبيرًا، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس بمحتاج إلىٰ أحد فيما خلق ويخلق، ودبر ويدبر، ويعطي ويرزق، ويقضي ويمضي، لا رادَّ لأمره، وهو علىٰ ما يشاء قدير»[1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني هو الذي استغنىٰ عن الخلق، وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، كما وصف نفسه تَعَالَىٰ، فقال - عز من قائل -: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]»[2].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه الكامل بما له وعنده، فلا يحتاج معه إلىٰ غيره، وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة؛ لأن الحاجة نقص، والمحتاج عاجز عما يحتاج إليه إلىٰ أن يبلغه ويدركه، وللمحتاج إليه فضل بوجود ما ليس عند المحتاج، فالنقص منفي عن القديم بكل حال، والعجز غير جائز عليه، ولا يمكن أن يكون لأحد عليه فضل؛ إذ كل شيء سواه خلق له، وبدع أبدعه لا يملك من أمره شيئًا، وإنما يكون كما يريد الله عَزَّوَجَلَّ، ويدبره عليه، فلا يتوهم أن يكون له مع هذا اتساع لفضل عليه»[3].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٦٣).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٩٢-٩٣).

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١٠١).

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغني بذاته، الذي له الغنىٰ التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات؛ لكماله وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلىٰ أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنىٰ عامًّا، والمغني لخواص خلقه مما أفاض علىٰ قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية»(١).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَهـوَ الغَنِـيُّ بِذَاتِـهِ فَغِنَـاهُ ذَا تِـيٌّ لَـهُ كَالـجُودِ والإِحْسَـانِ

اقتران اسم الله (الغني) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الغني) باسم الله (الحليم):

تقدم بيانه في اسم الله (الحليم).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الغني) باسم الله (الحميد):

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الغني) باسمه سُبْحَانَهُ (الكريم):

جاء هذا الاقتران مرة واحده في القرآن الكريم، وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٢٩).

وجه الاقتران:

أن الله غني عن الشكر، كريم يعطي عن كرم، لا عن ارتقاب للشكر علىٰ العطاء، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله سُبْحَانَهُ غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلىٰ عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانًا»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغني):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الغني) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الغني سُبْحَانَهُ هو المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه، والخلق جميعًا فقراء إلىٰ إنعامه وإحسانه، فهو سُبْحَانَهُ لم يخلق خلقه ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه، ولا ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستكثر بهم من قلة، ولا لينصروه علىٰ عدو، ولكن خلقهم ليذكروه كثيرًا، ويعبدوه طويلًا، ويسبحوه بكرة وأصيلًا، فهو الذي لا يحتاج لأحد في شيء؛ لأنه المالك لكل شيء، المتصرف بمشيئته في خلقه أجمعين، خزائنه لا تنقص ولا تنفد، يعطي من يشاء ما يشاء من فضله، ويقسم لكل مخلوق ما يخصه في رزقه، وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال - فيما روىٰ عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قال-: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ**

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٤١).

الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

فالله غني بذاته عن كل ما سواه، **ومن علامات ذلك الغنىٰ:**

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن الطعام والشراب**، وهي دلالة الاستغناء الذاتي، يقول تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦- ٥٨].

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن الزوجة والولد**، وهذا يعني وحدانية الله المطلقة؛ ليس كما يسبه الكفار أصحاب عقيدة التثليث؛ فإن الحاجة إلىٰ الزوجة والولد ضعف وافتقار، تَعَالَى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، يقول تَعَالَى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس:٦٨].

- **غناه** سُبْحَانَهُ **عن خلقه**، ومع ذلك فهو محسن إليهم، رحيم بهم، وهذا من كمال غناه وكرمه ورحمته، فهو الغني عن عباداتهم، ومن ذلك:

أ- غناه عن إيمانهم، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

ب- غناه عن شكرهم، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠].

جـ- غناه عن جهادهم، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

ويذكر الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مظاهر غنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فيقول:

- «**ومن كمال غناه وكرمه**: أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه، وما لم يسألوه.

- **ومن كمال غناه**: أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطىٰ كلًّا منهم ما سأله، وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة.

- **ومن كمال غناه وسعة عطاياه**: ما يبسطه علىٰ أهل دار كرامته من النعيم، واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

- **ومن كمال غناه**: أنه لم يتخذ صاحبًا ولا ولدًا ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل، وهو الغني الذي كمل بنعوته، وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته»[1].

وحري بمن عرف اسم الله (الغني) ومظاهر غناه وآمن به، أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وحده رزقه وبره وغناه.

---

(١) الحق الواضح، للسعدي (ص: ٤٧-٤٨).

الأثر الثاني: ليس كمثله سُبْحَانَهُ شيء في الغِنىٰ:

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له صفات الكمال والجلال، ليس كمثله شيء في غناه:

وهذا من وجوه:

الأول: كثرة ما عند الله:

قال تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ﴾ [المائدة: ١٢٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ- في هذه الآية-: «أي: هو الخالق للأشياء المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره، وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه»(١).

الثاني: غناه دائم:

فما من مخلوق أصبح غنيًّا إلا بعد فقر، أو تكون عاقبته إلىٰ فقر، أو يفني المال وصاحبه، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فغناه دائم لا يفنىٰ أبدًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

الثالث: غناه ذاتي:

أي: أن غنىٰ الله في ذاته، وليس فيما يراه الناس من الملك في السماوات والأرض، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ولكن غنىٰ الخلق إنما يكون بما يمتلكون من ثروات وأموال، فكل من وُصف بالغنىٰ من الخلق فإنما يحتاج إلىٰ ما يملك، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فإنما يحتاج كل ملكه وكل خلقه إليه،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦).

فلا يحتاج الله إلىٰ العرش ولا حملته، ولا الكرسي وعظمته، ولا يحتاج إلىٰ ميكائيل ليرزق الخلق، ولا إلىٰ جبريل لتبليغ رسالته، بل كل هؤلاء وغيرهم من خلق الله يحتاجون إليه من كل الوجوه، وهو غني عنهم من كل الوجوه.

الرابع: غناه مطلق:

فإن الخلق يحتاجون إلىٰ ما تقوم به أبدانهم وأرواحهم، وهذا يجعلهم فقراء إلىٰ رزق الله من كل الوجوه؛ فإنهم فقراء إلىٰ الطعام وإلىٰ الشراب، والنفس والروح والسعادة والزوجة والولد، والسمع والبصر... هذا فقر مطلق إلىٰ الله الذي بيده هذه النعم وغيرها مما لا غنىٰ عنه للخلق، أما الله جَلَّجَلَالُهُ فإنه غني عن ذلك كله، بل وعن كل ما سواه؛ لذلك فإن غنىٰ الله غنًىٰ مطلق، وكل العباد فقرهم إلىٰ الله فقر مطلق.

الأثر الثالث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾:

إن الفقر إلىٰ الله سُبۡحَانَهُ هو عين الغنىٰ به، فأفقر الناس إلىٰ الله أغناهم به، وأذلهم له أعزهم به، وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله، وأمقتهم لنفسه أقربهم إلىٰ مرضاة الله، والغنىٰ بالله مع الفقر إليه متلازمان متناسبان، فالغنىٰ علىٰ الحقيقة لا يكون إلا بالله الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر، كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن الله هو الغني المطلق، والخلق فقراء محتاجون إليه، قال سُبۡحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، بين سُبۡحَانَهُ في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص: ٥٩).

لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًّا حميدًا ذاتي له، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلىٰ ربه لذاته، لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنىٰ الرب سُبْحَانَهُ لذاته لا لأمر أوجب غناه، **وفقر العباد إلىٰ ربهم فقران:**

الأول: فقر اضطراري، وهو فقر عام، لا خروج لبر ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحًا ولا ذمًّا، ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا، ومصنوعًا.

الفقر الثاني: فقر اختياري، وهو فقر الخشية والطاعة وذلة العبودية، وهو نتيجة علمين شريفين؛ أحدهما: معرفة العبد لربه، والثاني: معرفته بنفسه، فمتىٰ حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرًا هو عين غناه، وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغنىٰ المطلق، عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة، عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام، عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومَن عرف ربه بالعلم التام والحكمة التامة، عرف نفسه بالجهل.

فإن الله تَعَالَى قد أخرج العبد من بطن أمه ضعيفًا مسكينًا، جاهلًا، كما قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وسخر له ما في البر والبحر مما يصلحه ويعينه علىٰ أمر دينه ودنياه، فلما شعر بأن له قدرة علىٰ السعي، واستطاعة علىٰ التدبير ظن المسكين أن له نصيبًا من الملك، وادعىٰ لنفسه ملكًا مع الله سُبْحَانَهُ، ورأىٰ نفسه بغير هذا الضعف

الأول الذي كان عليه، ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة؛ حتىٰ كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأن ذلك شخص غيره، كما روىٰ الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: **قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّىٰ تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّىٰ إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدلْتُكَ، مَشيتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّىٰ أَوَانُ الصَّدَقَةِ**)[1].

ومن هنا خُذِل مَن خُذِل، ووُفِّقَ مَن وُفِّقَ، فحُجِبَ المخذول عن حقيقته ونسي نفسه، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلىٰ ربه، فطغىٰ وعتا؛ فحقت عليه الشقوة، قال تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧]، وقال تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥- ١٠]، فأكملُ الخلق أكملُهم عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلىٰ ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين»[2].

فالله جَلَّجَلَالُهُ غني عن العلائق والروابط والصلات، فصلته بخلقه صلة رب رزاق لعباد محتاجين، وصلته بهم صلة عطاء وتفضل بعد خلق وإيجاد، أما صلة الخلق به سُبْحَانَهُ فصلة افتقار لرزقه وانتفاع بما عنده، فالعبد يدعو والله يجيب، والخلق يحتاجون والرزاق يعطيهم، والعباد يفتقرون والغني

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨١٢٢)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٧٠٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١١٤٣).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ٨-١٠) بتصرف.

يغنيهم، وإذا قدموا شيئًا من أموالهم فإنما هم الذين ينتفعون بها، ويجازيهم بأضعاف ما عملوا، ويزيدهم من فضله.

الأثر الرابع: محبة الغني سُبۡحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الغني غنًى كاملًا مطلقًا من كل الوجوه، فهو المستغني عن العالمين، وجابر حاجة الفقراء والمساكين، لا يترك من تعلق ببابه ووقف بجنابه بدون غنىٰ، فهو مع غناه وعزته ذو رحمة بالغة، والنفس بطبيعتها تحب صفات الكمال والجلال في الصفات، ولذا فإن العبد المسلم يتعلق ويزداد محبة للغني كلما زادت معرفته له سُبۡحَانَهُ.

الأثر الخامس: افتقار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربه:

لقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس افتقارًا إلىٰ ربه، وكان يقول: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**»[1].

فهو يعلم أن قلبه الذي بين جنبيه بيد الرحمن عَزَّوَجَلَّ لا يملك منه شيئًا، وأن الله سُبۡحَانَهُ يصرفه كما يشاء، وكان يدعو: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِيْنِكَ**»[2]، بدلالة قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤]؛ فضرورته إلىٰ ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٢٩٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠).

فأصبح - بهذا النوع من الافتقار- سيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وأول من تفتح له الجنة، وصاحب المقام المحمود، وأسري به في السماوات السبع؛ لأنه كان كامل العبودية، وكامل الافتقار لربه، قال تَعَالَىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]، واستحق أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ففي حديث الشفاعة: «أن المسيح يقول لهم: **ائْتُوا مُحَمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَبْدًا غَفَرَ الله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[1][2].

الأثر السادس: الغنىٰ غنىٰ النفس:

فمن أغناه الله من فضله، ووهبه الغنىٰ الحقيقي بأن يخضع لربه، ويتواضع لخلقه، ويعلم أنه مستخلَف في أرضه، مبتلىٰ في ملكه، فرد الفضل لربه، وشكره علىٰ نعمه؛ لعلمه بأن الغنىٰ غنىٰ النفس، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**»[3]، ويقول أيضًا: «**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ**»[4]، وفي صحيح البخاري من حديث الحسن أنه قال: «حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَىٰ رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٤٧٦).

(٢) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ١٠).

(٣) أخرجه البخارى، رقم الحديث: (٦٤٤٦)، أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠٥١).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٠٥).

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَىٰ مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَىٰ والخَيْرِ، فَيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حُمْرَ النَّعَمِ**»[1].

ولا يمنع ذلك الأخذ بالأسباب طلبًا للغنىٰ والفضل، والتقوي علىٰ طاعة الله، وحفظ النعمة، وإغناء الفقراء من فضل الله، مع ملازمة الاعتقاد بأن في القلب فاقة عظيمة، وضرورة تامة وحاجة شديدة، لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنىٰ القلبي، الذي إن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء، فكما أنه سُبْحَانَهُ الغنىٰ علىٰ الحقيقة ولا غنىٰ سواه، فالغنىٰ به هو الغنىٰ في الحقيقة ولا غنىٰ بغيره ألبتة، فمن لم يستغن به عما سواه تقطعت نفسه علىٰ السوىٰ حسرات، ومن استغنىٰ به زالت عنه كل حسرة، وحَضَرَهُ كل سرور وفرح.

فما أسعد من تعفف عن الناس واستغنىٰ بربه سُبْحَانَهُ في قضاء حوائجه وطلب رزقه، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[2].

الأثر السابع: للغنىٰ أسباب تطلب:

الغنىٰ والعطاء بيد من له ملك الأرض والسماء، فلا يغتني أحد إلا بإذنه، ولا يُرزق أحد إلا من عطائه، أمر عباده بصدق التوكل عليه واليقين بما لديه، مع تمام بذل أسباب الغنىٰ والعطاء، ومن أسباب نيل الغنىٰ ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥٣).

١- التفرغ للعبادة:

يقول تَعَالَى في الحديث القدسي: «ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى»[١]، والمراد من التفرغ للعبادة: «إيثارها على حظوظ الدنيا والإتيان بما أمر به منها، فلا تلهيه عن ذكر الله، لا أنه لا يفعل إلا العبادة»[٢].

ومن هنا يفهم أن الشرع ينهى عن انقطاع العبد عن طلب أسباب رزقه بحجة الاعتكاف في مصلاه، وإنما المراد: ألا يلهيه طلب الرزق عن عبادة الله، بل إن من اعظم أسباب الرزق والغنى الإقبال على عبادة الله، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور:٣٧]: «وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿وَلَا بَيۡعٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه»[٣].

٢- تقوى الله عَزَّوَجَلَّ:

يقول تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨١٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٦).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، الكحلاني (٣/ ٤١٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٦٩).

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخرة هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ،...**»[(١)]، وكان أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينصح بعضهم بعضًا بثلاثة أمور، فيقولون: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله الذي بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن اهتم بآخرته كفاه الله أمر دنياه»[(٢)].

٣- الاستغفار:

يقول تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢]، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[(٣)].

٤- إنزال الفاقة بالله تعالىٰ:

يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالغِنَىٰ، إِمَّا أَجَلٌ عَاجِلٌ، أَوْ غِنًىٰ عَاجِلٌ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٥٩٠)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

(٢) الزهد، لوكيع (٥٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٤٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٦٤٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٤٥).

٥- المتابعة بين الحج والعمرة:

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ، فَإِنَّهُما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ...»(١).

٦- إرادة الزواج تعففًا:

يقول تعالَى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح؛ ينجز لكم ما وعدكم من الغنىٰ»(٢)، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «التمسوا الغنىٰ في النكاح»(٣).

٧- الاستغناء بالله عن الخلق:

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»(٤)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٧٤٣)، والنسائي، رقم الحديث: (٢٦٣٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٨٨٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٦٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٣).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٥١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠٥١).

٨- صلة الرحم:

يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1].

٩- الزكاة والصدقة:

يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ لِصَدَقَةٍ أَوْ صِلَةٍ إِلَّا زَادَهُ الله** عَزَّ وَجَلَّ **بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ الله بِهَا قِلَّةً**»[2].

١٠- الدعاء:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَهُ عَنْهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الفَجْرُ**»[3]، وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: « لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: وَاحِدَةٌ لِي وَوَاحِدَةٌ لَكَ وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لِي فَتَعْبُدُنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ شَيْءٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، وَأَنْ أَغْفِرَ فَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ؛ وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٣١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٦٤٦).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٦٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٨٢٩). حكم الألباني: صحيح دون جملة الاسترزاق، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٩١٥).

وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الْمَسْأَلَةُ وَالدُّعَاءُ وَمِنِّي الْإِجَابَةُ وَالْعَطَاءُ»[1].

١١- السعي لطلب الرزق:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[2]

الأثر الثامن: للفقر أسباب تجتنب:

كما أن هناك أسبابًا للعطاء والغني، فكذلك توجد أسباب أخرىٰ من تعرض لها حُرِم العطاء، ومن هذه الأسباب:

١- معصية الله تعالىٰ:

جاء في الأثر: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»**[3].

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»**[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٦١٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٧٦)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٤٠٥٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٦٤)، حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٤٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٢١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠٢٢)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٤٥٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (١٠/ ٢٦)، والبغوي في شرح السنة، رقم الحديث: (٤١١٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٠٨٥).

٢- سؤال الناس:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**، قال: **مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»(١).

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ** عَزَّ وَجَلَّ**، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالغِنَى، إِمَّا أَجَلٌ عَاجِلٌ، أَوْ غِنًى عَاجِلٌ**»(٢).

٣- أكل الربا:

قال تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر الله تَعَالَى أنه يمحق الربا يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ**)(٣)»(٤).

٤- الكذب:

عن حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٠٣١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٣٨٣١)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٧٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٢٧٩).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٠).

مُـحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[1].

٥- الـحلف في البيع:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**الـحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَـمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**»[2]، وعن أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الـحَلِفِ فِي البَيْعِ؛ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ**»[3].

٦- منع الزكاة:

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَمْ يَمْنَعْ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»[4].

٧- ترك الحكم بما أنزل الله:

فإن من فعل ذلك فقد خالف الغني في حكمه فأفقرهم؛ عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قال: مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فَشَا**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠٧٩)، ومسلم، رقم الحديث: (١٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٠٨٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٦٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٠٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤٠١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٣٠٤٢)، وأبو نعيم في الحلية، رقم الحديث: (٣/ ٣٢٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٥٢٠٤).

فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلَا طفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ»[(١)].

٨- الاهتمام بالدنيا دون الآخرة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ الله عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخرة نِيَّتَهُ، جَمَعَ الله لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[(٢)]، وعليه فإن غض الطرف عن زينة الدنيا من أسباب الرزق ودوامه، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١]، ويروىٰ أن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان إذا رأىٰ شيئًا من أخبار السلاطين وأحوالهم، بادر إلىٰ منزله فدخله، وهو يقرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه:١٣١]... الآية ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي[(٣)].

اللهم إنا نعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة، رب قنعنا بما رزقتنا، وبارك لنا فيه، واخلف علينا كل غائبة لنا بخير.



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (١٠٩٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٣).

فاطرُ السماواتِ والأرض جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفطر أيضًا: الشق، يقال: فطرته فانفطر،... وتفطر الشيء: تشقق، وسيف فطار، أي: فيه تشقق...، والفطر: الابتداء والاختراع، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كنت لا أدرى ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ حتى أتانى أعربيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك الفطر: من الصوم....»[2].

ورود اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (فاطر السماوات والأرض) ست مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ

(١) الصحاح (٢/ ٣٤٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٥١٠).

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

ورود اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «**قُلْ: اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**، قال: **قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧).

٣- عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال: «**اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي، تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ، وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا، تُوَفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، إِلَّا قَالَ الله لِمَلَائِكَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ عَبْدِي قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَوْفُوهُ إِيَّاهُ، فَيُدْخِلُهُ الله الْجَنَّةَ**»[١]، قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف[٢].

معنى اسم الله (فاطر السماوات والأرض) في حقه سُبۡحَانَهُۥ:

❁ **قال السدي وقتادة** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وغيرهما في قوله تَعَالَى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١]: «خالق السماوات والأرض»[٣].

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١] مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما»[٤].

❁ وقال الحليمي رَحِمَهُٱللَّهُ في معنىٰ الفاطر: «إنه فاتق المرتتق من السماء والأرض، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٩٣)، والحاكم، رقم الحديث: (٣٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧١).

(٢) تحقيق أحمد شاكر علىٰ المسند (٤/ ٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٧٥، ١٧٦).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٨٣).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفاطر: هو الذي فطر الخلق: أي: ابتدأ خلقهم، كقوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [الإسراء:٥١]، ومن هذا قولهم: فطر ناب البعير، وهو أول ما يطلع»[١].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١] «الذي خلقها وابتدعها علىٰ غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه»[٢].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: «﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١] أي: خالقهما بقدرته ومشيئته وحكمته»[٣].

اقتران اسم الله (فاطر السماوات والأرض) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله فاطر السموات والأرض بأي اسم من أسماء الله تعالى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (فاطر السماوات والأرض):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (فاطر السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ فاطر السموات والأرض الذي خلقها وأبدعها علىٰ غير مثال

---

(١) شأن الدعاء (١/ ١٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٥٤).

سابق، يقول تَعَالَى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر:١]، وفي بيان مظاهر ذلك ما يلي:

أنه سُبْحَانَهُ فطر السماء والأرض في ستة أيام، وفطر الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين، قال تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩] ثم بسطها في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل، فكمل خلقها، وأخرج أقواتها، وتوابع ذلك قوله تَعَالَى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠]، ثم بعد أن خلق الأرض خلق السماء ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر في يومين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت:١٢][١].

كل ذلك من غير تعب، ولا نصب، ولا إعياء، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق:٣٨][٢].

فطر الأرض وبسطها، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٩-٢٠] فسهلها غاية التسهيل؛ ليستقر الخلائق على ظهرها، وأودع فيها من المنافع والمصالح لهم ما أودع، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]، فأخرج منها الأشجار والنبات، ومعادن الأرض، وأنواع الصنائع والتجارات،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٠٧).

وشق فيها الأنهار والعيون، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام، وأنواع الحيوانات، وسخر ذلك كله لبني آدم، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠][١].

وفطر السموات «السبع علىٰ عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل، قال تَعَالَى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:٢] أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تَعَالَى»[٢]، قال تَعَالَى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥].

فطر السموات وزينها «بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلىٰ الأفق في غاية الحسن والملاحة»[٣]، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٥].

فطر السموات قال تَعَالَى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات:٢٩] أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٢٩] أي: أظهر فيه النور العظيم، حينما أتىٰ بالشمس التي جعلها ضياء، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥] [٤] فـ«جعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٦)، تفسير السعدي (ص: ٧٧٦، ٩٢٢).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦٤٧).

(٣) المرجع السابق (ص: ٨٠٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص: ٩٠٩).

ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتىٰ يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتىٰ يرجع إلىٰ حاله الأول في تمام شهر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩-٤٠]»[1].

فطرها وعاقب بين ليلها ونهارها، إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾ [يس:٤٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].

كل ذلك بإتقان وإحكام عجيب لا يرىٰ فيه عيب، ولا خلل ولا إخلال ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨][2].

وقد ضرب الله عَزَّوَجَلَّ صورة من صور إتقانه لخلقه، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤] سبع سموات كل واحدة فوق الأخرىٰ لا يرىٰ فيها خلل ولا نقص، ولو كرر العبد النظر إليها والتأمل في أرجائها لعله يجد خلالًا؛ لعاد بصره عاجزًا عن أن يرىٰ خللًا أو فطورًا[3].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٧٥).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (فاطر السماوات والأرض) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد أن الله فاطر السماوات بارتفاعها وصفائها، وما فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة، وفاطر الأرض بقوتها وثباتها، وما فيها من الجبال والسهول، والفيافي والقفار، والأشجار والزروع، والبحور والحيوان علىٰ اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وما في ذلك من عظيم الخلقة وبديع النظام؛ علم أن فاطر ذلك وحده من غير شريك ولا معين هو المألوه المعبود الحق، الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وحده سُبْحَانَهُ(١).

وقد نبه الله عباده علىٰ توحيده وبطلان عبادة غيره، مستدلًّا بخلقه للسموات والأرض في مواضع عدة من كتابه، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسخرون، لربهم العظيم، القاهر المالك، فقيرون لرزقه وعطاءه، فكيف يليق أن يتخذ ولي من هؤلاء المخلوقات العاجزة؟(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٢).

فمن كان يتولىٰ مخلوقًا لينصره ويعينه، فالله هو فاطر السماوات والأرض، فله السلطان في السماوات والأرض، ومن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه، فالله هو الرازق المطعم لمن في السماوات ومن في الأرض، ففيم الولاء لغير صاحب السلطان الرزاق؟

فالله هو الولي وحده، ربًّا، ومعبودًا، وناصرًا، يستنصر به ويعتمد عليه، ويتوجه إليه في الملمات، فيجب إخلاص الولاية له سُبْحَانَهُ، كما قال تَعَالَىٰ بعد أن أنكر أن يُتَّخَذَ وليٌّ غيره: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

وتجدر الإشارة إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا ما يحتج علىٰ المشركين بما اعترفوا به من توحيد الربوبية علىٰ ما أنكروه من توحيد الألوهية؛ وذلك لأن توحيد الربوبية فطرت علىٰ قبوله والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلا شُذَّاذ قليلون، من بني آدم، ففرعون القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] معترف في حقيقة الأمر بوجود خالق لهذا العالم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢][(١)].

والمشركون أنفسهم الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ معترفون بالله تَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، [يونس: ٣١]، فمن عرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر

---

(١) ينظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبد الله بن حميد (ص١٧-٢٠).

لجميع الأمور؛ أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له[1].

ومن هنا يظهر خطأ من جعل التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية وأن الله خلق كل شيء، وظن بذلك أنه حقق التوحيد وأثبت لا إله إلا الله، مفسرًا لها بالقدرة علىٰ الاختراع، أو نحو ذلك.

ولو كان هذا هو التوحيد الذي يدخل المرء به للإسلام؛ لكان مشركوا العرب الذي قاتلهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنين مسلمين؛ لإقرارهم أن الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت، المتصرف في هذا العالم، قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩][2].

فتوحيد الربوبية وإن كان ركنًا من أركان التوحيد والإيمان بالله إلا أنه لا يحصل به وحده التوحيد الواجب، ولا يخلص صاحبه بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر؛ بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه كله لله[3].

الأثر الثالث: التوكل علىٰ فاطر السماوات والأرض:

إذا تأمل العبد في اسم الله فاطر السموات والأرض وعظيم فطرها لهما؛ أيقن قوته جَلَّ جَلَالُهُ وعظيم قدرته، وعلم أنه لا يعجزه شيء، يقول تعَالَىٰ:

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص١٢٥).

(٢) ينظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبد الله بن حميد (ص١٧–٢٠).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٨٧).

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]، وأن حاجته ومطلبه مهما عظم لن يعجز فاطر السموات والأرض، فيورث ذلك قلبه السكينة والطمأنينة لله، فيثق بقدرته ويتوكل عليه ويصدق في الاعتماد عليه في جلب منافعه الدينية والدنيوية، وفي دفع المضار عنه الدينية والدنيوية أيضًا.

وحين يقلب نظره في السماء والأرض ويستشعر عظيم خلقها، ثم يستحضر عظمة خالقهما وفاطرهما، تستقر في نفسه مهابة الله وخشيته، ويستصغر من دون الله جَلَّ وَعَلَا من العباد مهما كان مقدَّمًا معظَّمًا مبجَّلًا، فيزيد توكله واعتماده علىٰ ربه.

فهذا نبي الله هود، ليس له أنصار ولا أعوان، يصرخ في قومه ويناديهم وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، فيقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤-٥٦] [(١)]، وقبله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

الأثر الرابع: التأمل في خلق السماوات والأرض:

وقد دعا الله عَزَّوَجَلَّ عباده إلىٰ التفكر في آيات الله الكونية وما خلق في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، وحثهم علىٰ ذلك في

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٨٣-٣٨٤).

مواضع من كتابه، منها:

قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قال **السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**يدعو** تَعَالَىٰ عباده إلىٰ النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه»[(١)].

ويقول تَعَالَىٰ في معرض المدح لأهل الإيمان: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وإنما شرع الله هذه العبادة لما تثمره من توحيده سُبْحَانَهُ ومعرفته بأسمائه وصفاته، فإذا تفكر العبد في خلق السموات والأرض مثلًا وجد «أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها دال علىٰ نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال علىٰ كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة دال علىٰ سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل علىٰ سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال علىٰ أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له»[(٢)]، فتتعلق القلوب به، ويبذل الجهد في مرضاته[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٧٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٦١).

الأثر الخامس: محبة (فاطر السماوات والأرض):

إذا تأمل العبد في اسم الله فاطر السموات والأرض وما يتضمنه من الإحسان لعباده، بخلق السموات والأرض، وما أودع فيهما من مصالح شتىٰ، بها تستقيم حياتهم وتطيب، وما سخره لهم من النعيم يوجب كل ذلك محبة فاطرهما وموجدهما، وأن يحب غاية الحب وأن يتذلل له غاية التذلل، وهذان هما قطبا التعبد لله عَزَّوَجَلَّ.

الأثر السادس: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]:

التأمل في اسم الله فاطر السماوات والأرض، يشعر بمنة الله علىٰ عباده بأن خلق السماوات والأرض وأودع فيهما من المصالح والمنافع التي تعود عليهم بالخير الكثير، وسخر ذلك كله لهم كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

فسخر ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وعاقب بين الليل والنهار والشمس والقمر فحصل بذلك الحر والبرد، والفصول، ومعرفة الأيام والحساب، والاستقرار والسكن في الليل، والانتشار والسعي في النهار[١].

وسخر لهم ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض مسخر لبني آدم، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، قال تَعَالَى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، وقد سلط علىٰ غرسها واستغلالها، واستخراج معادنها والانتفاع بها.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩)، تفسير السعدي (ص: ٥٢٢).

وسخر لهم البحر، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:١٤]

تسير سفنه بتسخيره في البحر العجاج، وتلاطم الأمواج، تجري بأهلها بريح طيبة، ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من متاجر وبضائع ومنافع، من بلد إلىٰ بلد، وقطر إلىٰ قطر، ويأتون بما عند أولئك إلىٰ هؤلاء، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلىٰ أولئك، مما يحتاجون إليه، وجعل فيها الأسماك والحيتان وأحلها لهم في الحل والحرم، وخلق فيه اللآلئ والجواهر النفيسة، وسهل للعباد صيدها واستخراجها من قرارها[1].

ومن نظر في هذا كله وتأمله أوجب له ذلك حمد فاطر السموات والأرض ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]، وشكره علىٰ ما أنعم وأولىٰ، والاستعانة بهذه النعم علىٰ طاعته، وترك الاستعانة بشيء منها علىٰ معصيته[2].

الأثر السابع: التدرج والأناة في سائر الأمور:

إن المتدبر في اسم الله فاطر السماوات والأرض، يجد التدرج يظهر جليًّا في خلق الله للسموات والأرض، فقد فطرهما سُبْحَانَهُ في ستة أيام، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد:٤] مع أنه قادر علىٰ خلقهما في لحظة واحدة، وبكلمة واحدة (كن) ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٢) (٥/ ٤٥١)، تفسير السعدي (ص: ٥٤٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤٩).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٥).

لنأخذ من هذا منهجًا شرعيًّا جاءت به الشريعة وأقرته، ألا وهو منهج: التدرج والأناة في الأمر.

فرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث ثلاثًا وعشرين سنة يبني المجتمع الإسلامي لبنة لبنة، قام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طيلة هذه السنين يغرس العقيدة في النفوس، ثم تدرج في فرض الأحكام في العهد المدني، بل الفريضة الواحدة تدرج في فرضها، فالصلاة فُرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ثم أقرت في السفر، وزيدت في الحضر علىٰ أربع للظهر والعصر والعشاء، وكذا الصيام فرض أولًا علىٰ التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وفدىٰ، ثم فرض علىٰ الإلزام.

وحصل التدرج- أيضًا- في التحريم، فالخمر أول ما حرم حرم أوقات الصلوات فقط، ثم حرم مطلقًا، فعلي المسلم أن يلتزم هذا المنهج ويسلكه في حياته ويرفع من قيمة «الإنجاز المتدرج».

الأثر الثامن: الدعاء باسم (فاطر السماوات والأرض):

أمر الله عباده أن يدعوه علىٰ وجه الخصوص باسمه فاطر السموات والأرض، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط، فسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه: قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]».(١)

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٥).

ودعاء يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ربه باسمه فاطر السموات والأرض، فقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه باسمه فاطر السموات والأرض، كما ثبت في جملة من الأحاديث، منها:

- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت و إذا أمسيت، قال: «**اللهمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ**، قال: **قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[١].

- وما جاء عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ...**»[٢][٣].

وما جاء عن أبي سلمة بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: **اللهمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،**

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٣) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٢١).

وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1]، فاختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الدعاء في ظلمة الليل، التي هي مظنة الاضطراب لذهاب الضوء، والمؤمن عند الاختلاف يرىٰ الأمور مضطربة، ولا غنىٰ له عن هداية الحق له للحق المختلف فيه.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧٠).

القديرُ القادرُ المقتدرُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قدر الشيء: مبلغه، وقدر الله وقدره بمعنىً، وهو في الأصل مصدر، وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، أي: ما عظموا الله حق تعظيمه، والقدر و القدر أيضًا: ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ من القضاء...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدر: مبلغ كل شيء؛ يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته: أقدره، والقدر: قضاء الله تَعَالَىٰ الأشياء علىٰ مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها،... وقدرة الله تَعَالَىٰ علىٰ خليقته: إيتاؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه ويريده...»[2].

ورود اسم الله: (القدير القادر المقتدر) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) في كتاب الله (خمسًا وأربعين مرة)، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٧٨٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢-٦٣).



٢- وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

٣- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (القادر) في كتاب الله (اثنتي عشرة مرة) سبعة، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]

ورد اسمه سُبْحَانَهُ: (المقتدر) في كتاب الله أربع مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ورود اسم الله: (القدير القادر المقتدر) في السنة النبوية:

ورد اسم الله: (القدير) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

١- عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»(١).

٢- وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢).

٣- وعن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قال: أراه قال فيهن: لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٩٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٣).

ورد اسم الله: (القادر) في السنة النبوية، ومن وروده يلي:

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في آخر رجل يدخل الجنة، أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول له: «**يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: **أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»[1].

معنى اسم الله (القدير القادر المقتدر):

القدير والقادر والمقتدر أسماء لله عَزَّ وَجَلَّ متقاربة المعاني، ترجع إلىٰ معنيين:

١- القدرة الكاملة التي لا عجز معها.

٢- التقدير للأشياء.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]: «إن الله علىٰ كل ما أراد بعباده من نقمة، أو عفو، قدير»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٣).

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]: «قدير، إن شاء انتقم منهم بعنادهم ربهم، وإن شاء هداهم لما هداكم الله له من الإيمان، لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يتعذر عليه أمر شاء قضاءه؛ لأن له الخلق والأمر»[(١)]، وقال في قوله تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]: «مقتدر علىٰ ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف»[(٢)].

❊ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القادر علىٰ ما يشاء، لا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب»[(٣)].

❊ قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي له القدرة الشاملة، والقدرة له صفة قائمة بذاته»[(٤)].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تَعَالَى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئًا فعله من غير ممانع ولا معارض».

❊ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهُوَ القَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا ... مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ[(٥)]

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٠٤).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٦٠٠).

(٣) تفسير الأسماء (ص: ٥٩).

(٤) الاعتقاد (ص: ٦٣).

(٥) النونية (ص: ٢٠٥).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يكون القادر بمعنىٰ المقدر للشيء، يقال: قدرت الشيء وقدرته بمعنىٰ واحد كقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] أي: نعم المقدرون»(١).

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المقتدر): «وإن كان يقدر علىٰ أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يسمىٰ: مقتدرًا»(٢).

❁ قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدير كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها علىٰ ما يشاء ويريد»(٣).

الفرق بين القدير والقادر، والمقتدر:

يمكن أن نقول: إن الفرق بين هذه الأسماء أن القادر هو المتمكن، في حين أن القدير صيغة مبالغة منه، والمقتدر أبلغ وأعم.

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المقتدر) مبالغة في الوصف بالقدرة، والأصل في العربية أن زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ، فلما قلت: اقتدر، أفادت زيادة اللفظ زيادة المعنىٰ»(٤).

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٨٦).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٤) تفسير الأسماء (ص: ٥٩).

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المقتدر)... ووزنه: (مفتعل) من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه»(١).

❊ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أسماء الله تَعَالَى: (القادر، والمقتدر، والقدير): فالقادر: اسم فاعل، من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل، من اقتدر، وهو أبلغ»(٢).

اقتران اسم الله: (القدير القادر المقتدر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) باسمه سُبْحَانَهُ (العليم):

تقدم بيانه في اسم الله (العليم).

ثانيًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ: (القدير) باسمه سُبْحَانَهُ (العفو):

تقدم بيانه في اسم الله (العَفُو).

ثالثًا: اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (القدير) باسميه سُبْحَانَهُ (الغفور الرحيم):

اقترن اسم الله (القدير) باسمه (الغفور الرحيم) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٨٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/ ٢٢).

ووجه الاقتران بينهما: لدلالة علىٰ أن مغفرته ورحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن قدرة كاملة تامة، لا عن ضعف وحاجة.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله: (القدير القادر المقتدر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القدير، القادر، المقتدر) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ قدير، قادر، مقتدر له القدرة والتقدير الشامل التام من كل وجه.

أ- فأما قدرته سُبْحَانَهُ: فله جَلَّجَلَالُهُ القدرة الواسعة التي وسعت كل شيء، والقدرة الكاملة التي كملت من كل وجه.

فأما سعة قدرته:

فقدرته عامه شاملة لكل شيء، إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الطلاق:١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ومن أثار سعة قدرته ما يلي:

١ – أنه بقدرته خلق الخلق وأوجدهم من العدم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت:٢٠].

٢–أنه بقدرته خلق السموات السبع والأرضين السبع علىٰ عظمهما وسعتهما، وما فيهما من إتقان وإحكام في ستة أيام من غير تعب ولا نصب،

ونشر بقدرته فيهما أصناف الدواب من الإنس والجن وسائر الحيوانات[1]، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩].

٣- أنه بقدرته نوَّع خلقهم، فاختلفت أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم مع أن أصلهم واحد[2]، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥] «كما أنزل المطر على الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف، قال تَعَالَى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤]»[3].

٤- أنه بقدرته يخلق ما يشاء على ما يشاء من الصفات، ويزيد في خلق بعضهم ما يشاء من القوة، والحسن، وزيادة الأعضاء، وحسن الأصوات، ولذة النغمات ونحو ذلك[4]، قال تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، تفسير السعدي (ص: ٨٧٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٧)، تفسير السعدي (ص: ٥٧١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٧١).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٨٤).

رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [فاطر:١].

٥- أنه بقدرته خلق الآدمي من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة، وجعلهم أنسابًا وأصهارًا متفرقين ومجتمعين، ومرجعهم كلهم ذلك الماء المهين[1] قال تعالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾ [الفرقان:٥٤].

٦- أنه بقدرته فاوت بينهم فيما خلق لهم، فمنهم من يهبه البنات، ومنهم من يهبه البنين، ومنهم من يهبه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا ولد، قال تعالَى: ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠][2].

٧- أنه بقدرته يقيم الساعة في لمح البصر، قال تعالَى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [النحل:٧٧]، ويجمع الأولين والأخرين في صعيد واحد مهما كان تفرق أبدانهم وأجسادهم، ومهما كان مكان مهلكهم ومصرعهم[3]، قال تعالَى: ﴿ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴾ [الشورى:٢٩].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٥).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١٩٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٣).

٨- أنه بقدرته يكرم أهل الجنة بألوان النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر من غير انقطاع ولا زوال، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ﴾ [سورة القمر: ٥٤-٥٥]، وبقدرته يعذب المكذبين بأصناف العذاب وألوان النكال من غير زوال ولا انقطاع بحال من الأحوال(١).

وكل ذلك الخلق وما فيه من كثرة وتنوع واختلاف، والبعث وما فيه من تفرق واجتماع ما هو إلا كخلق نفس واحدة وبعثها؛ إذ لا يتعذر علىٰ الله القدير شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم، قال تَعَالَى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨](٢).

وأما كمال قدرته:

فقدرته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كاملة سالمة من اللغوب، والإعياء، والتعب، والعجز عما يريد، قائمة علىٰ العلم، والملك، والحكمة، والقهر، والنصر ونحو ذلك من صفات كماله.

فهو القدير الذي أحاط بكل شيء علمًا، فعلم السرائر والضمائر والظواهر، لا تخفىٰ عليه خافية، ولا تغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا

(١) ينظر: الحق الواضح المبين، للسعدي (ص٤٥-٤٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٣)، تفسير السعدي (ص: ٦٥١).

﴿فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩].

وهو **القدير الذي ملك** العالم العلوي والسفلي، وتصرف فيه بما شاء، ودبر أمره علىٰ ما أراد لا يمتنع عليه أمر من الأمور، ولا يعجزه أحد، بل كل شيء طوع مشيئته وقدرته، قال تعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠]، وقال تعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١][(١)].

وهو **القدير الذي يحكم** في ملكه بما قدر وقضىٰ، فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، قال تعَالَىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

وبقدرته وحكمه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجج، قال تعَالَىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٩][(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٦)، تفسير السعدي (ص:١٢١، ١٦١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٢٧).

وحكم بشرعه، فأحل ما شاء، وحرم ما شاء، وأباح ما شاء، وحظر ما شاء، ونسخ وبدل وغير من أحكامه ما شاء، وأقر منها ما شاء، يحكم بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال تعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦][١].

ثم هدىٰ لشرعه من شاء، وضل عنه من شاء، ووفق إليه من شاء، وخذل عنه من شاء، القلوب بيده يصرفها علىٰ ما يشاء، قال تعَالَى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧][٢].

وهو القدير الذي قهر أعداءه بما أوقع عليهم من أنواع العقوبات وبما أحل عليهم من المَثُلَات، قال تعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

«فخليت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العَدد والعُدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنىٰ ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء»[٣].

فها هو فرعون وجنده مع ما هم فيه من الملك والجبروت، لما أتىٰ أمر الله لم يغن عنهم ذلك شيئًا، قال تعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٨٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص: ١٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٦٠).

﴿كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤١-٤٢] فأبادهم المقتدر ولم يبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا(١).

وبقدرته يقهرهم إذا شاء، قال تَعالَى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:٩٥]، وقال تَعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥].

ولو شاء لذهب بقدرته بالخلق، وأتىٰ بخلق جديد خير منهم، قال تَعالَى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩]، لكنه العَفُوُّ سُبْحَانَهُ الذي يعفو عن الزلات والذنوب العظام فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته، قال تَعالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩](٢).

وهو القدير الذي نصر حزبه مع ما هم فيه من قلة العدة والعتاد، قال تَعالَى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨١).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢١٢).

وبقدرته ينصرهم متىٰ ما شاء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩]، وقال تعالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

«فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر علىٰ نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم، قال تعالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]»[1].

ب- وأما تقديره سُبْحَانَهُ:

فله جَلَّجَلَالُهُ التقدير العام الشامل لكل شيء، والتقدير الكامل الذي لا نقص فيه.

فأما سعة تقديره:

فتقديره سُبْحَانَهُ واسع وسع الخلائق كلها، فلا يحدث شيء في ملكوته سُبْحَانَهُ إلا وسبقه تقدير من القدير جَلَّجَلَالُهُ، فلا يتقدم عليه شيء ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه، قال تعالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال تعالَى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣]، وقال تعالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالَى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها،

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٦).

وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرىٰ به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف»[1].

ومن تقدير القدير سُبْحَانَهُ **خلق الجنين** في بطن أمه فدبره في الظلمات، ونقله من نطفة إلىٰ علقه إلىٰ مضغة إلىٰ أن كان جسدًا، ثم نفخ في الروح، وقدر أجله ورزقه وعمله، وشقي أو سعيد[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٨-١٩]، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق، قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[3].

وتقدير الأرزاق بين عباده فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، كل ذلك بمقدار لا يزيد عنه ولا ينقص، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٢)، وتفسير السعدي (ص: ٩٠٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٤٣).

ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧][1].

وقدر إنزال المطر، فينزله بقدر ما يكفي الخلائق، فلا ينقص بحيث لا يكفي الأرض والأشجار فلا يحصل به المقصود، ولا يزيد زيادة لا تحتمل، فتتلف المساكن، وتموت معه النباتات والأشجار، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:١١][2]، وقدر الزروع والحبوب وغيرهما مما يخرج من الأرض كالمعادن والجواهر ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠][3].

وتقدير الموت بين الخلائق فعجله لبعض الخلق، وأخره عن بعض إلىٰ أجل مسمىٰ، فإذا جاء لم يتقدم ولم يتأخر عما قدر الله، قال سُبْحَانَهُ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة:٦٠][4].

وتقدير الهداية والضلالة علىٰ الخلائق، فهدىٰ من شاء، وأضل من شاء، وأسعد من شاء، وأشقىٰ من شاء، وقدر من شاء للجنة برحمته، وقدر من شاء للنار بعدله، وقدر نعيم أهل الجنة حتىٰ قدر شراب أهلها، قال تعَالَى: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٦]، فقدرت علىٰ قدر ريِّ أهلها فلا تزيد ولا

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٤٩-٧٦٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٣٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٧).

تنقص؛ لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريهم، وقدر عذاب أهل النار فلا يزاد فيه ولا ينقص عما شاء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(١)].

وأما كمال التقدير:

فتقدير الله عَزَّوَجَلَّ كامل لا نقص فيه ولا خلل؛ وذلك أنه قائم علىٰ العلم والكتابة السابقتين، والمشيئة التي لا تنفك عن حكمه، والخلق العام.

فالله سُبْحَانَهُ قدر الأشياء؛ بناء علىٰ ما علم من حالها، وما يصلح لها؛ فعلم سُبْحَانَهُ من يصلح للفقر ولا يصلح للغنىٰ، ومن يصلح للمرض ولا يصلح للعافية، ومن يصلح للعقم ولا يصلح للولد، وعلم ضد ذلك فقدر فلم يخرج تقديره عن حكمه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ:٢٧] أي: «لغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا علىٰ التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب علىٰ ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصية وظلمًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ:٢٧]، كما في بعض الآثار أن الله تَعَالَىٰ يقول: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنىٰ، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خبير بصير»[(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٠٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٥٨).

ثم كتب سُبْحَانَهُ ما علم في اللوح المحفوظ، كما جاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[1].

ثم إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شاء ما كتب، فخلق الخلق بناء عليه، ووزع أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة بناء علىٰ ما كتب[2].

فكل شيء كائن كما علم، وكتب، وشاء،وخلق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان ولو حاول منعه كل ممانع، وما لم يشأ لم يكن ولو حاول إيجاده كل موجد، وقدره نافذ لا محاله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[3].

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القدير، القادر، المقتدر) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في ضعفه وضعف المخلوقات من حوله وعجزهم؛ إذ لا يملك أحد منهم قدرة علىٰ الخلق، ولا النفع، ولا الضر، ولا العطاء، ولا المنع، ولا النصر، ولا الامتناع كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٤٧٠٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٠٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٧).

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤-٥٥]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، فالكل فقير مملوك لله عَزَّوَجَلَّ، نفذت فيه قدرته ومشيئته تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فإذا تؤمل هذا علم أن من هذا حاله لا يستحق شيئًا من العبادة، وإنما العبادة حق للقادر القدير المقتدر لا إله إلا هو، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٩][1].

الأثر الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر:

إذا علم العبد اسم الله (القادر، القدير، المقتدر) وتيقن ما فيه من تقدير نافذ، وقضاء كائن بلا ممانعة ولا مدافعة؛ قاده ذلك للإيمان بالقضاء والقدر الذي هو أصل عظيم من أصول الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل الطويل لما سئل عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٢٦- ٢٥٢-٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عَزَّوَجَلَّ، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، ومن وحد اللهتَعَالَى، وكذب بالقدر؛ نقض التوحيد»[1].

وقال عوف: سمعت الحسن يقول: «من كذب بالقدر، فقد كذب بالإسلام، إن الله عَزَّوَجَلَّ قدر خلق الخلق بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر»[2].

وحقيقة الإيمان بالقدر: الإيمان بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت بقدر الله علما، وكتابة، ومشيئة، وخلقًا[3]؛ **إذ الإيمان بالقدر إيمان بأربع مراتب**[4]:

١-الإيمان بعلم الله السابق للأشياء قبل وقوعها جملة وتفصيلًا؛ فإنه سُبْحَانَهُ يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام:٥٩].

---

(١) القدر، للفريابي (ص: ١٧٣)، والإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٤/ ١٥٨).

(٢) الإبانة الكبرىٰ، ابن بطة (٤/ ١٨٤).

(٣) ينظر: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، لصالح آل لشيخ (١/ ٢٤٠).

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: ٤٩، وما بعدها)، وشرح الأربعين النووية، لصالح آل الشيخ (ص: ٦٥، وما بعدها)، وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، لصالح آل لشيخ (١/ ٢٤٠، وما بعدها).

٢-الإيمان بأن الله كتب أحوال الخلق وتفصيلاتها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

٣-الإيمان بأن كل ما حدث في الكون ويحدث بمشيئة الله وإرادته كونًا، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، وقال تَعَالَى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩].

٤- الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

فكل شيء مخلوق لله: السموات، والأرض، والبحار، والأنهار، والكواكب، والشمس، والقمر، والإنسان وعمله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنىٰ: (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم، والأول

(١) سبق تخريجه.

أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة مرفوعًا قال: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**»[1][2].

فمن آمن بهذه المراتب الأربع آمن بالقدر الذي من ثمراته: الرضىٰ والتسليم لتقدير الله عَزَّوَجَلَّ خيره وشره، وحلوه ومره لا سيما إذا اقترن مع هذا الإيمان استشعار لعلم الله التام، وحكمته البالغة، ورحمته العظيمة التي صدر عنها هذا التقدير، واستشعار أن الجزع والسخط لا يرد من القدر شيئًا، وإنما يفوت علىٰ العبد الأجر والمثوبة، ويعود عليه بالوبال والخسارة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ملأ قلبه من الرضا بالقدر: ملأ الله صدره غنىٰ وأمنًا وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، ومن فاته حظه من الرضا: امتلأ قلبه بضد ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه»[3].

ومن ثمراته- أيضًا- سلامة القلب من الحقد والحسد ونحوهما من أمرض القلوب؛ ذلك لإيمان صاحبه بأن الكل بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه سُبْحَانَهُ هو الذي أعطىٰ ومنع، فالفضل فضله، والعطاء عطاؤه، وله في ذلك الحكمة البالغة، والمنة العظيمة[4].

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٤٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٦٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٠٢).

(٤) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥١).

الأثر الرابع: التوكل على القدير، القادر، المقتدر والثقة به:

إذا آمن العبد باسم الله (القادر، القدير، المقتدر) وتيقن ما تضمنه من القدرة العظيمة التي لا يعجزها شيء في السماء والأرض، ثم نظر إلىٰ مطالبه ومكارهه، وعلم أنها لا تخرج عن قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤] حمله ذلك علىٰ صدق التوكل علىٰ القادر عَزَّوَجَلَّ، والثقة به في جلب مطالبه، ودفع مكارهه، والتعلق به وحده سُبْحَانَهُ دون ما سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورىٰ:٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام:١٧] (١).

كما يحمله- يقينه بقدرة الله- علىٰ عدم اليأس والقنوط من رحمته؛ فإنه سُبْحَانَهُ لا يتعاظم عليه شيء مهما عظم وكبر، فلا يتعظم عليه أن يغفر الذنوب ولو كانت كالجبال بل قادر سُبْحَانَهُ علىٰ أن يبدلها حسنات، ولا يتعاظم عليه أن يرفع بلاء أو يكشف مصاب أو يدفع ضرًّا، فهو القادر سُبْحَانَهُ علىٰ أن يبدل المرض عافية، والألم راحة، والسهر نومًا، والخوف أمنًا، والفقر غنًىٰ، والجوع شبعًا، والضعف قوة، والهزيمة نصرًا، وهو علىٰ كل شيء قدير.

وهذا اليقين بقدرة الله يحمل العبد- أيضًا- علىٰ الثقة بنصره عَزَّوَجَلَّ للمسلمين؛ إذ قدرته لا تعجز عن نصرهم ورفع المصائب والنكبات عنهم مهما كان ضعفهم وتأخرهم، كما لا تعجز عن قصم عدوهم وكبته مهما كانت قوته وتقدمه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥٠).

مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

ويحمله علىٰ الشعور بالعزة والقوة أمام كيد الكافرين ومكرهم، وذهاب الخوف منهم ومن قوتهم؛ للعلم بأنهم في قبضة الله تَعَالَى وتحت قدرته وقهره[1].

الأثر الخامس: الخضوع للقدير والاستعانة به:

جعل الله عَزَّوَجَلَّ لخلقه قدره تقوم بها حياتهم، كما قال سُبْحَانَهُ في إثباتها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٤]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس:٢٤] إلا أن قدرة المخلوق مهما بلغت لا تعدل شيئًا أمام قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وتوضيح ذلك بما يلي:

١- قدرة المخلوق مسبوقة بالعجز والضعف، كما في حال الطفولة؛ فالطفل في بداية ولادته لا يستطيع أن يدفع عن نفسه قليلًا ولا كثيرًا، أما قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فأولىٰ وآخرة، لا بداية لها ولا نهاية.

٢- قدرة المخلوق مكتسبة من إقدار الله له، وليست قدرة مستقلة، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته ذاتية مستقلة لم يكتسبها من أحد.

٣- قدرة المخلوق ناقصة، يعوزها المساعد والمعاون والمستشار والخبير، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته كاملة تامة لا تحتاج إلىٰ أحد كائنًا من كان.

---

(١) ينظر: ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (ص: ٥٣٥).

٤- قدرة المخلوق محدودة ببعض الأشياء دون بعض، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته عامة لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

٥- قدرة المخلوق فانية، ومهددة بالزوال، بخلاف قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته دائمة مستمرة لا زوال لها ولا نهاية.

فإذا علم العبد هذا خضع لله عَزَّوَجَلَّ، ولم يغتر بقدرته أو يستقل بها في أموره، بل يشعر دومًا بحاجته وفقره لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في دعاء الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ**»[1].

وهذا الشعور يثمر الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ، وتمام الالتجاء إليه، كما أوصى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والأمة من وراءه بذلك، فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْـمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٥١٦)، والحاكم، رقم الحديث: (٦٣٦٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦).

يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن الإنسان لا يدرك مطالبه من أمور الدين أو الدنيا بالعمل والسعي الجاد في تحصيلها فقط، بل لا بد أن يعطف علىٰ سعيه الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ولو صغرت، ودفع مضاره ولو سهلت، ولا معين له علىٰ مصالح دينه ودنياه إلا الله عَزَّوَجَلَّ[٢].

الأثر السادس: محبة الله القادر القدير المقتدر:

إذا تأمل العبد في اسم الله (القادر، القدير، المقتدر)، واستشعر كمال قدرته وتقديره؛ فلما قدر حلم، ولما قدر عفا وغفر، ولما قدر عدل ولم يظلم، ولما قدر لم يعجز عن شيء ألبتة، ولما قدر قدر عن علم، وحكمة، ورحمة قاده ذلك كله لمحبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والتعلق به، لا سيما وقد فُطرت القلوب علىٰ محبة من له الكمال.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٦٤).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٥٧٢)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥١).

الأثر الثامن: الحذر من الظلم:

إذا آمن العبد بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الخلق عمومًا، وعلىٰ الظالمين خصوصًا، كما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ** . فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: **أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»[(١)].

وعلم انتقام القدير سُبْحَانَهُ للمظلوم من ظالمه، كما جاء في جملة من الأحاديث، منها:

١- حديث خزيمة بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[(٢)].

٢- حديث معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[(٣)].

٣- حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، وابن حبان واللفظ له، رقم الحديث: (٨٧٤)، حكم الألباني: حسن لغيره، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٨٧١).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٨)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩).

هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

٤- حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[2].

إذا علم العبد ذلك ردعه ذلك كله عن العدوان والظلم، لا سيما ظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، كما يدفع الظالم للتوبة والاستغفار والخروج من مظالم الخلق في الدنيا قبل التقاصِّ يوم القيامة.

الأثر التاسع: الدعاء باسم الله القادر القدير المقتدر، والاستعاذة بقدرته:

كل إنسان له مطالب يرغب في تحصيلها، ومخاوف يرغب في دفعها، والكل تحت قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يخرج عنها شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور:٤٥]، ولا يقدر العبد علىٰ ما في يد الله إلا بسؤاله ورجائه، كما قال مطرف بن الشخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير: الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا أنت لا تقدر علىٰ ما في يد الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء»[3][4].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٩).

(٣) الزهد، لأحمد بن حنبل (ص: ١٩٥).

(٤) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٥٢).

فإذا علم العبد هذا وتيقنه؛ أدام سؤال الله عَزَّوَجَلَّ حاجته، وأكثر من دعائه، لا سيما باسمه (القادر، القدير، المقتدر) الذي أرشدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسؤال الله به في جملة من الأدعية والأذكار، منها:

١- دعاء الاستخارة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**»[(١)].

٢- الذكر ما بين التشهد والسلام، فعن عطاء بن السائب، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّىٰ بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَّىٰ عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: **اللهمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللهمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَىٰ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ**

---

(١) سبق تخريجه.

لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(١).

٣- رقية المريض، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ الله ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِالله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**(٢).

اللهم إنا نسألك بقدرتك، أن تستعملنا في طاعتك، وتسخر ما أوليتنا به من قدرات في مراضيك ومحابِّك.



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦١٥)، والنسائي واللفظ له، رقم الحديث: (١٣٠٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٠٢).

القَريبُ المُجيبُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: (القريب):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قرب) قرب الشيء بالضم يقرب قربًا، أي: دنا... تقول: هذه المرأة قريبتي، أي: ذات قرابتي، وقربته بالكسر أقربه قربانًا، أي: دنوت منه... والقرب: ضد البعد»[(١)].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قرب) القاف والراء والباء أصل صحيح يدل علىٰ خلاف البعد، يقال: قرب يقرب قربًا، وفلان ذو قرابتي، وهو من يقرب منك رحمًا...»[(٢)].

ثانيًا: (المجيب):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جوب) الجواب معروف، يقال: أجابه وأجاب عن سؤاله، والمصدر الإجابة، والاسم الجابة بمنزلة الطاعة والطاقة... والإجابة والاستجابة بمعنىٰ، يقال: استجاب الله دعاءه...»[(٣)].

---

(١) الصحاح (١/ ١٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٨٠).

(٣) الصحاح (١/ ١٠٤).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(جوب) الجيم والواو والباء...وأصل آخر، وهو مراجعة الكلام، يقال: كلمه فأجابه جوابًا، وقد تجاوبا مجاوبة، والمجابة: الجواب...»[1].

ورود اسم الله (القريب المجيب) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله القريب:

ورد اسم الله (القريب) ثلاث مرات في كتاب الله، وقد وردت كالتالي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠].

ثانيًا: ورود اسم الله المجيب في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المجيب) مرتين في كتاب الله، وهما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾[الصافات:٧٥].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٩١).

ورود اسمي الله (القريب والمجيبِ) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله القريب:

ورد اسم الله (القريب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَىٰ وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**. وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: **يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ** قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**. قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، **قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[(١)]، وفي رواية: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»[(٢)].

ثانيًا: ورود اسم الله المجيب:

ورد اسم الله (المجيب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ قَرِيبًا مُجِيبًا، يَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ وَيَسْتَجِيبُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٤٢٠٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٩١٤). إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، (كما في مسند أحمد تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون).

معنى اسم الله (القريب المجيب) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: معنىٰ اسم الله (القريب):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]: «... غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد»[١].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القريب: الذي ليس ببعيد، فالله عَزَّوَجَلَّ قريب ليس ببعيد، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] أي: أنا قريب الإجابة، وهو مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]... وكل هذا يراد به- والله أعلم- إحاطة علمه بكل شيء، وكون كل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمه وتصرفه، ولا يراد بذلك قرب المكان والحلول في بعضه دون بعض، جل الله وتَعَالَى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[٢].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القريب: معناه: أنه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]»[٣].

❁ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١] «أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٠).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٤٦-١٤٧).

(٣) شأن الدعاء (ص: ١٠٢).

عبادته، وإثابته عليها، أجلَّ الثواب»[1].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَهُـوَ القَرِيـبُ وَقُرْبُـهُ المُخْتَـصُّ بِالدَّ
اعِـي وَعَابِـده عَلَـىٰ الإِيمَـانِ[2]

ثانيًا: معنىٰ اسم الله (المجيب):

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود:٦١]، يقول: «إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه»[3].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المجيب هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وقال الله تَعَالَى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]»[4].

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، فقال تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ويقال: أجاب واستجاب بمعنًىٰ واحد»[5].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٨).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٦٩).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥١).

(٥) شأن الدعاء (ص: ٧٢).

❊ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي ينيل سائله ما يريد، لا يقدر علىٰ ذلك غيره»[1].

❊ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي أسماء الله تَعَالَى: (المجيب) وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء، وهو اسم فاعل من: أجاب يجيب»[2].

❊ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]: «يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب»[3].

❊ **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهوَ الـمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ ـهُ أَنَا الـمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهوَ الـمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الـمُضْطَرِّ إِذْ يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ[4]

اقتران اسم الله (القريب المجيب) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله القريب:

اقترن اسم الله القريب باسم الله (السميع)، واسمه (المجيب).

أولًا: اقتران اسم الله القريب باسمه السميع:

تقدم بيانه في اسم الله (السميع).

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ٣١٠).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).
(٤) نونية ابن القيم (ص٢٠٨).

ثانيًا: اقتران اسم الله القريب باسمه المجيب:

اقترن اسم الله القريب باسمه المجيب في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

وجه الاقتران:

«أن الله سُبْحَانَهُ عندما يسأله عباده ويدعونه، فإنه يسمع دعاءهم ويستجيب لهم، ولا يمنعه علوه فوق خلقه عن سماع دعائهم؛ لأنه قريب لهم يسمع دعاءهم ويقضي حوائجهم علىٰ اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم، فهو سُبْحَانَهُ قريب في علوه عال في قربه»[1].

ثانيًا: اقتران اسم الله المجيب:

- اقتران اسم الله (المجيب) باسمه (القريب):

تقدم بيانه في اسم الله (القريب).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (القريب المجيب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القريب، المجيب) من الصفات:

لما كان ربنا عَزَّوَجَلَّ بكل شيء عليم، وبخلقه رحيم، وعليم جواد كريم محسن، وبيده خزائن السموات والأرض كان من أسمائه القريب المجيب، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقد تضمنا صفة القرب والإجابة، وهما علىٰ نوعين:

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (٢/ ٣٤).

النوع الأول: القرب والإجابة العامة:

١- القرب العام:

الله عَزَّوَجَلَّ عالٍ علىٰ خلقه، فوق سماواته مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه وهم منه بائنون إلا أنه مع ذلك **قريب من سائرهم بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته**[1]، قريب من الإنس والجن، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والخفي والظاهر، والعاقل وغير العاقل، مطلع علىٰ جهرهم وسرهم، ومشاهد لحركاتهم وسكناتهم، ومعهم أينما كانوا، وفي أي ساعة كانوا، وعلىٰ أي حال انقلبوا لا يخفىٰ عليه شيء من أمرهم، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**والَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**)[2].

وهو سُبْحَانَهُ **قريب بسمعه** من كل متكلم، يسمع كل ما ينطق به، لا يخفىٰ عليه كلمة ولا يفوته حرف، سواء نطق به سرًّا أم جهرًا، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**)[3].

فإن استشكل مستشكل قرب ربنا مع علوه، قلنا نقلًا عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سُبْحَانَهُ قريب في علوه؛ عالٍ في قربه، كما في الحديث الصحيح

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٣) سبق تخريجه.

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (كنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، قال: **أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**)[1].

فأخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وهو أعلم الخلق به- أنه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته علىٰ عرشه؛ مطلع علىٰ خلقه؛ يرىٰ أعمالهم، ويرىٰ ما في بطونهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الرب؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سُبْحَانَهُ يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرىٰ؛ ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو علىٰ العرش؟!»[2].

٢- الإجابة العامة:

الله عَزَّوَجَلَّ القريب المجيب الذي يسمع دعاء الداعي وسؤال السائل ومناجاة الطالب، **فيعمهم** بالإجابة مهما كانوا، وأين كانوا، وعلىٰ أي حال كانوا، وبأي لغة نطقوا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١][3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٤٨٢-٢٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

- **يجيب المجيب** المؤمن التقي، كما يجيب الكافر الفاجر بمقتضىٰ ربوبيته، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣- ٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

- **استجاب** لإبليس رأس الكفر حين طلب الإنظار: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[الحجر: ٣٦- ٣٨].

- واستجاب لقوم سبأ حين أنعم عليهم بالنعم العظيمة، و الآلاء الجسيمة، فاستكثروا نعم الله، وقابلوها بالجحود والنكران، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

- واستجاب لفرعون هذه الأمة أبي جهل، حين استفتح يوم بدر، فقال: «أينا أقطع للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، وقال: اللهم انصر أحب الدينين إليك، ديننا العتيق، أم دينهم الحديث، وفي ذلك أنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]»(١).

- واستجاب- أيضًا- للنضر بن الحارث حين دعا: اللهم إن كان هذا هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٢-٤٥٤)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٢).

«لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية، فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر»[1].

ولا يلزم من إجابته لهم ولا لغيرهم من الكفار محبتهم وإكرامهم والرضىٰ بما هم عليه، وإنما يجيبهم لحِكَم، منها: الابتلاء للعباد كما في إجابة إبليس، ومنها: تكفله برزق خلقه في الدنيا فإذا طلبوا منه ذلك أعطاهم إياه، وأيضًا: إقامة حجته عليهم، وإظهارًا لكرمه وجوده ومنته علىٰ العالمين، واستدراجهم بتعجيل الخير لهم في الدنيا ليذوقوا العذاب في العاقبة، قال تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، ومنها: الانتصار للمظلوم؛ لتحريم الظلم حتىٰ وإن كان علىٰ الكافر كما جاء في الحديث: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[2].

- **ويجيب المجيب أيضًا**: المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء عمن ناجاه، ويرفع الظلم عمن بث إليه شكواه، قال تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[3]، الكل مفتقر إليه، لا قوام لحياته إلا عليه ولا ملجأ له منه إلا إليه، قال تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩][4].

---

(١) تفسير الخازن (٣/ ٢٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ٢٠٦)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: الاعتقاد، للبيهقي (ص: ٥٩)، تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

النوع الثاني: القرب والإجابة الخاصة:

١- القرب الخاص:

خص الله عَزَّوَجَلَّ أهل طاعته بقرب خاص، قرب يقتضي إجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، وتوفيقهم وتسديدهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١][١].

وخصهم القريب بمزيد من الرحمة، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

كما خصهم بالنصر والتأييد في الحركات والسكنات، قال تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤][٢].

وخصهم القريب المجيب بمزيد من إجابة الدعاء، وهو ما يعرف بالإجابة الخاصة.

٢- الإجابة الخاصة:

خص الله المجيب أهل طاعته وتقواه بمزيد من إجابة الدعاء، سواء أكان ذلك دعاء عبادة، فيجيبهم بالقبول وحسن الثواب، أم دعاء مسألة فيجيبهم بإعطائهم سؤلهم وتحقيق مرادهم، قال تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦][1].

فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ طال مقامه في قومه حتىٰ لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يؤمن منهم إلا قليل، وما زادهم طول المقام إلا تكذيبًا وعتوًّا، وكلما دعاهم ازدادوا نفورًا، فدعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، ودعاه ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:٢٦]، فأجابه المجيب القريب ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١١ - ١٤]، ومدح نفسه بذلك فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦][2].

وهذا أيوب طال بلاؤه، واشتد ضره، ومات أهله، وذهب ماله، فنادىٰ ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فاستجاب له المجيب القريب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤][3].

وهذا يونس علم أن ربه قريب منه وإن كان في بطن الحوت وقاع البحر وظلمة الليل، فناداه في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب له المجيب، فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٣٨٥، ٩٤٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢)، وتفسير السعدي (ص: ٧٠٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٩).

وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٥ - ١٤٨][(١)].

وهذا زكريا كبرت سنه ورق عظمه واشتعل رأسه شيبًا، وكانت زوجه عاقرًا، إلا أنه علم أن ربه قريب مجيب علىٰ كل شيء قدير، فنادىٰ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، فأجابه القريب المجيب: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وهذا يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ اعتصم بربه واستعان به علىٰ كيد النسوة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، فاستجاب له القريب المجيب: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٤-٣٥][(٢)].

وهذا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما كان يوم بدر نظر إلىٰ أصحابه فإذا هم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مد يديه، يستغيث بربه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أبدًا**، وما زال يستغيث ربه عَزَّ وَجَلَّ ويدعوه حتىٰ سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا رسول الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٧).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٧).

سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]»[1].

وهذا إبراهيم وإسماعيل، ويعقوب وموسىٰ، وعيسىٰ وغيرهم من أنبياء الله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ دعوا ربهم، فأجابهم القريب المجيب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكما أجاب أنبيائه ورسله أجاب الصالحين من خلقه، فأجاب آسيا امرأة فرعون لما دعت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]

وأجاب طالوت وأصحابه لما دعوا: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت.

وأجاب امرأة عمران لما دعت ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٦]، فكفىٰ مريم وابنها مس الشيطان، كما جاء في حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»[2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤).

وأجاب أصحاب الكهف لما دعوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] فثبتهم على الحق، وحفظهم من شر قومهم، وجعلهم آية للعالمين.

وأجاب - أيضًا - الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة لما دعوا بتفريجها عنهم، فتزحزحت عن مكانها وظهر النور.

ولا زال ولا يزال القريب المجيب سُبْحَانَهُ يجيب أولياءه وأهل طاعته ولا يخيب رجائهم، إلا أنه قد يستشكل أن جماعة من العباد والصالحين قد دعوا وبالغوا ولم يجابوا؟!

والجواب: إجابة الله للسائل تتنوع: فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمه، وتارة تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها، وقد تدخر له أجرًا ومثوبة يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخرة، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**، قالوا: إذًا نكثر، قال: **اللهُ أَكْثَرُ**»[١].

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١١٣٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٩٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٠).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله القريب المجيب على التوحيد:

إن ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ للعالمين اقتضت قربه وإجابته لخلقه فيجيب مطلوبهم، ويكشف ضرهم، وينجيهم في ظلمات البر والبحر، وينجيهم من كل كرب، قال تعالَى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣- ٦٤].

وهذا يقتضي عبادته ودعاءه وحده، قال تعالَى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وجاء في حديث ابن عباس عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ»[(١)]؛ وذلك أنه وحده المقتدر على جلب المطلوب وكشف الضر، وكل ما سواه عاجز لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن ملكه لغيره، قال تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فهل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟!

لا أحد يفعل مع الله شيئًا من ذلك، حتى بإقرار المشركين، ولهذا كانوا

---

(١) سبق تخريجه.

إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ لعلمهم أنه وحده المقتدر علىٰ دفعه وإزالته، وهذا يلزم منه إخلاص الدعاء إليه في حال الرخاء واليسر، كما أخلصوا له في حال الشدة والعسر، وألا يشركوا معه غيره(١).

الأثر الثالث: محبة الله القريب المجيب:

إذا تأمل العبد اسم الله القريب المجيب وما فيه من إجابة الداعين، وإسعاف السائلين، وكفاية المضطرين مع الإنعام قبل النداء، والتفضل قبل الدعاء؛ حمله ذلك علىٰ محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا سيما وأن القلوب فُطرت علىٰ محبة من يحسن إليها ويقضي حاجتها.

كما أن هذا الاسم وما يقتضيه من الكمالات كالعلم، والسمع، والقدرة، والغني، والملك كلها توجب للقلب محبته؛ لما فطرت علىٰ محبة مَن له الكمال.

الأثر الرابع: الرجاء في الله (القريب المجيب) والتعلق ببابه:

من عرف اسم ربه القريب المجيب وضم إليه الكريم الجواد المحسن، وتيقن أنه سُبْحَانَهُ بيده ملكوت كل شيء، وإليه حكم كل شيء، فحكمه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وكذا في البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، فما شاء كان في الوقت الذي يشاء علىٰ الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، له الخلق والأمر، وله الملك، وله الدنيا والآخرة،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٠٨، ٦٣٥).

وخزائنه ملأىٰ لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطىٰ الأولين والآخرين من الإنس والجن، وأجابهم في كل ما سألوه، كما جاء في الحديث عن ربنا عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[1][2].

وعلم أنه يحب الداعين، ويستحي أن يردهم صفرًا خائبين، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[3]، بل وينزل إلىٰ السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[4].

أوجب له ذلك كله التعلق بباب الله القريب المجيب، والتضرع بين يديه، وإنزال الحوائج إليه مع قوة الرجاء فيه، وحسن الظن به، والثقة بإجابته وإن عظمت المسألة، وكثر المطلوب، وتنوع المرغوب.

وعلىٰ الضد من ذلك يوجب للقلب التخلص من داء القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، كما يوجب تخلصه من التعلق بالمخاليق ورفع الحوائج

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢٨٧، ٢٩٠).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٨٨)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٥٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٥٨).

إليهم، وشكوىٰ الكرب بين يديهم؛ فإن الله أقرب منهم لعبده، وبه أرحم منهم، وعلىٰ مطلوبه أقدر، وهو الجواد الكريم[(١)].

الأثر الخامس: دعاء الله القريب المجيب[(٢)]:

الله تَعَالَىٰ القريب المجيب، لـمَّا علم أن الإنسان لا ينفك عن الحاجة سواء الدنيوية أو الدينية، وبطبعه عاجز عن تحقيقها وحده، فلا مرغوب يستطيع جلبه، ولا مرهوب يستطيع دفعه؛ لطف به ورحمه، وأنعم عليه، فشرع له دعاءه والتعلق به في حاجته، بل وحثه ورغبه في ذلك بطرائق عدة، منها:

١- الأمر بالدعاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٢- بيان أن الدعاء هو العبادة؛ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**، وقرأ: قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]».

٣- بيان محبته للدعاء وغضبه علىٰ تاركه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيۡسَ شَيۡءٌ أَكۡرَمَ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **مِنَ الدُّعَاءِ**»[(٣)]، وعنه

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ (ص: ٢٨٧، ٢٨٩)

(٢) ينظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٥)، وما بعدها، لسعيد القحطاني.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨٦٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٢٩)، حكم الألباني:حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٠).

أيضًا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[1].

٤- توعد المستكبر عن الدعاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٥- الوعد بالإجابة علىٰ الدعاء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إلا أن الوعد بالإجابة له شروط وموانع، فمتىٰ ما وجد الشرط وانتفىٰ المانع حصلت الإجابة بإذن الله، كما أن له آدابًا، والتحلي بها مدعاة للإجابة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتىٰ كان السلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتىٰ تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير»[2].

وبيان بعض هذه الشروط والموانع و الآداب علىٰ النحو الآتي:

أ- شروط إجابة الدعاء[3]:

١- **الإخلاص**؛ فإن الدعاء عبادة، وشرط قبول العبادات الإخلاص،

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٥٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨١٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٧٣).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١/ ٢٦).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين (١/ ٩٣، وما بعدها).

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وعلىٰ هذا لا يصرف الدعاء لغير الله، ولا يدعىٰ رياء ولا سمعة.

٢- **المتابعة**؛ فإن الدعاء عبادة، وشرط قبول العبادات المتابعة، فيتابع هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعاء، ويوافق فيه شرع الله.

٣- حضور القلب أثناء الدعاء مع الرغب والرهب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال سُبۡحَانَهُ بعد ذكر إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون»[1].

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»[2].

٤- الثقة بالله واليقين بالإجابة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»**[3].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٢٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٦٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩)، والحاكم، رقم الحديث: (١٨٢٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٦٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٩).

٥- الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء؛ فقد جاء في الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللهمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ»**[1]**، وفي رواية: «فَإِنَّ الله لَا مُكْرِهَ لَهُ»**[2]**، وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، اللهمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»**[3].

ب- موانع إجابة الدعاء:

١- أكل الحرام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾** [المؤمنون: ٥١] **وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»**[4].

قال أهل العلم: قد أتىٰ هذا الرجل بأربعة أسباب من أسباب الإجابة:

الأول: إطالة السفر.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٣٣٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٣٣٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٩).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٠١٥).

والثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[1].

والثالث: يمد يديه إلىٰ السماء «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خائبتين**»[2].

والرابع: الإلحاح علىٰ الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء.

ومع ذلك كله قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»[3]، وهذا استفهام وقع علىٰ وجه التعجب والاستبعاد[4].

٢- الاستعجال وترك الدعاء؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[5]، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين (ص: ١٤٣، وما بعدها).

(٥) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٥).

(٦) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٥).

٣- **التفريط في الواجبات والوقوع في المحرمات**؛ فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[١]، وقال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك الدعاء، فإنه من أقوىٰ الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره... وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب علىٰ القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها»[٢].

٤- **الدعاء بإثم أو قطيعة رحم**؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ،...**»[٣]، وذلك كأن يدعو بأن يمكنه الله من معصية ما، أو يدعو علىٰ أقرابه وأرحامه ظلمًا وعدوًا.

٥- **الاعتداء في الدعاء**؛ قال تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالاعتداء بالدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة علىٰ المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل: أن

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٢٣٧٧٥)، والترمذي رقم الحديث: (٢١٦٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٦٩).

(٢) الداء والدواء (ص٩).

(٣) سبق تخريجه.

يسأله تخليده إلىٰ يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلىٰ الطعام والشراب، أو يسأله أن يطلعه علىٰ غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدا من غير زوجة، ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء؛ فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء، لا يحبه الله، ولا يحب سائله»[1].

٦- **حكمة الله** عَزَّوَجَلَّ، ويعطىٰ الداعي أفضل مما سأل؛ فعن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخرة، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**، قالوا: إذًا نكثر، قال: **اللهُ أَكْثَرُ**»[2].

ج- آداب الدعاء:

١- **الاستجابة لله** عَزَّوَجَلَّ **والمسارعة في الخيرات**، قال تَعَالَىٰ بعد ذكر إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٣).

(٢) سبق تخريجه.

وعده بالإجابة، **وخصوصا إذا أتىٰ بأسباب إجابة الدعاء، وهي**: الاستجابة لله تَعَالَى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة»[1].

٢- تحري أوقات وأماكن وأحوال إجابة الدعاء، كالدعاء بين الأذان والإقامة، وفي ساعة الجمعة، وحال السجود، والسفر، وفي عرفة، وداخل الحجر، ونحو ذلك مما يطول ذكره.

٣- الوضوء قبل الدعاء؛ فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه خبر موت أبي عامر دعا بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**...»[2].

٤- مد اليدين بالدعاء واستقبال القبلة؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قال**: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: **اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ...»[3].

وعن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[4].

٥- خفض الصوت ما بين المخافتة والجهر حال الدعاء؛ قال تَعَالَى:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٢٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٤٩٨).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٦٣).

(٤) سبق تخريجه.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وجاء في الحديث عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»[1].

٦- الدعاء في الرخاء والشدة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**»[2]، وقال الله في يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما دعاه فأنجاه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٤].

٧- الثناء على الله في الدعاء والصلاة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فعن عن فضالة بن عبيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «سَمِعَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: عَجِلَ هَذَا. ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إذا صَلَّىٰ أحَدُكُم فليَبْدأ بتَمْجيدِ رَبِّه والثَّناءِ عليه، ثم يُصَلِّي علىٰ النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ثم يدعو بعدُ بما شاءَ**»[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٢)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٦٣٩٦)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٤٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٢).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٥٦٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٧٧)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٨١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٨١).

ورأىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا آخر يصلي فمجد الله، وحمده، وصلىٰ علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ**»(١).

٨- التوسل لله عَزَّوَجَلَّ **بأسمائه وصفاته**؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الاعتراف بالذنب والنعمة حال الدعاء؛ كما في دعاء يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَهُ**»(٢).

وفي سيد الاستغفار: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**، قال: **وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٢٨٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٩٠)،حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٢٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي،رقم الحديث:(٣٥٠٥)،والحاكم،رقم الحديث:(٣٤٦٤)،حكم الألباني:صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي،رقم الحديث:(٣٥٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

٩- الدعاء بالجوامع وأدعية الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ **الْجَوَامِعَ** مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَىٰ ذَلِكَ»(١).

وعَنِ ابْنٍ لِسَعْدٍ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَسَلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِهَا، وَكَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ« **سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ** فِي الدُّعَاءِ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ»(٢).

١٠- التضرع والافتقار لله عَزَّ وَجَلَّ **في الدعاء**، قال تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى بعد إجابته لدعوات أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فيدعو مستشعرًا بأنه في أمسِّ الحاجة بل في أمس الضرورة إلىٰ الله، وأنه سُبْحَانَهُ وحده هو الذي بيده إجابة دعائه وتفريج كربته ورفع بلائه، وأنه إن لم يأذن بذلك فلا فرج ولا رفع للبلاء(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٤٨٢)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٥٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٨٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٧٠٧٠)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (١٤٨٠)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٦٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٤٨٠).

(٣) ينظر: مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين (١/ ٩٣).

١١- الإلحاح في الدعاء؛ فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ والإِكْرَام**»[(١)]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[(٢)].

١٢- تكرار الدعاء ثلاثًا؛ فإن ذلك من هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة وضع سلا الجزور علىٰ ظهر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه دعا عليهم: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»[(٣)] ثلاث مرات.

١٣- عدم تكلف السجع في الدعاء؛ فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْنِي: لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ»[(٤)].

١٤- عدم الدعاء علىٰ الأهل والولد والمال ونحو ذلك؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا لعن بعيره، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟** قال: أنا يا رسول الله! قال: **انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٤) و (٣٥٢٥)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٩٣) و (٩٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٠)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧٩٤).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٠١٤).

ثم إذا عُلم هذا فليعلم أن خير ما يدعىٰ به القريب المجيب ما جاء في القرآن من الدعوات، وما أُثر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدعاء؛ فإنه أعلم الخلق بالله، وأنصحهم، وأتقاهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

الأثر السادس: الاستجابة والتقرب لله القريب المجيب:

إذا عرف العبد اسم ربه القريب المجيب وما فيهما من القرب الخاص والإجابة الخاصة، تطلع إلىٰ تحصيل هذا الفضل العظيم ورجىٰ أن يكون من أهله، وإنما ذلك يكون بالتقرب لله عَزَّوَجَلَّ بفعل الطاعات واجتناب المنهيات؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قريب ممن أطاعه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وجاء في الحديث القدسي: «**وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا...**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كملها قرب العبد إليه؛ لأنه سُبْحَانَهُ بر جواد محسن، يعطي العبد ما يناسبه، فكلما عظم فقره إليه كان أغنىٰ؛ وكلما عظم ذله له كان أعز»(٢).

وهذا التقرب لله عَزَّوَجَلَّ هو حقيقة الاستجابة، فإنها: الانقياد للأوامر بالفعل، وللنواهي بالترك، وقد دعانا الله عَزَّوَجَلَّ إليها بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٨٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٣٨).

بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

وضرب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أروع الأمثلة في الاستجابة لله عَزَّ وَجَلَّ؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ **الْفَضِيخَ**، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ . قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا»[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١] **شَقَقْنَ** مُرُوطَهُنَّ **فَاخْتَمَرْنَ بِهَا**»[٢].

وللاستجابة ثمرات عدة في الدنيا والآخرة، ومنها:

١- الحياة الحسنة في الدنيا والآخرة؛ قال تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلهم ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٦٤)، ومسلم، رقم الحديث: (١٩٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٥٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤١٦).

وقال تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتضمنت هذه الآية أمورًا، أحدها: أن الحياة النافعة انما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان؛ ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كان ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول»(١).

٢- إجابة الدعاء، قال تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ ﴾ [البقرة:١٨٦].

٣- حصول الرشد والهدى، قال تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة»(٢).

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص: ٩٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧).

٤- حصول الكفاية وإصلاح الشأن؛ قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

٥- مغفرة الذنوب والنجاة من العذاب، قال تَعَالَى علىٰ لسان منذر الجن: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٣١].

٦- الفوز بالجنة، قال تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الرعد:١٨]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن لهم الحسنىٰ، وهي الجنة»[1].

وكل هذه الثمار وغيرها تدعو العبد إلىٰ مجاهدة نفسه وحملها علىٰ الاستجابة لله عَزَّوَجَلَّ.

فاللهم يا قريب يا مجيب، اجعلنا ممن استجاب وأناب، ففاز برضاك.



(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٦).

القاهرُ القهَّارُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قهره قهرًا: غلبه...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والهاء والراء كلمة صحيحة تدل على غلبة وعلو، يقال: قهره يقهره قهرًا، والقاهر: الغالب...»[2].

ورود اسم الله (القاهر- الْقَهَّار) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله القاهر في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (القاهر) في القرآن مرتين، هما:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]

٢-قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]

(١) الصحاح (٢/ ٨٠١).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥).



ثانيًا: ورود اسم الله القهار في القرآن الكريم:

ورد اسم الله القهار في القرآن ست مرات، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]

٢- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]

٣- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ورود اسم الله (القاهر- القَهَّار) في السنة النبوية:

ورد اسم الله القهار في السنة، ومن وروده ما يلي:

١- ما جاء عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»(١).

٢- ما جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ بَيْنَ يَدَي الصَّيْحَةِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، فَيَسْمَعُهُ الْأَحْيَاءُ والْأَمْوَاتُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤١)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٥٣٠)، حكم الألباني، صحيح، صحيح الجامع وزيادته، رقم الحديث: (٤٦٩٣).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «وسليم هذا صدوق، خرج له مسلم»، مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (ص: ٤٥٥).

معنى اسم الله (القاهر - الْقَهَّار):

القهار صيغة مبالغة من القاهر، تدل علىٰ كثرة القهر، ومن أقوال العلماء في ذلك:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ**: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]: «المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم، وإنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ لأنه وصف نفسه تَعَالَىٰ ذكره بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه، فمعنىٰ الكلام إذًا: والله الغالب عباده، المذللهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه»[١]، وقال في موضع آخر: «القاهر: المذلل المستعبد خلقه، العالي عليهم»[٢].

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار...والله تَعَالَىٰ قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات علىٰ وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت»[٣].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار: هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»[٤].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار: الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مراده كل مريد»[٥]، وقال: «والقاهر: الغالب، وأقهر الرجل إذا صير بحال

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٢٨٨).

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٢٨٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٨).

(٤) شأن الدعاء (١/ ٥٣).

(٥) تفسير القرطبي (٩ / ٣٠٤).

المقهور الذليل»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ:** ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]: «وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له لوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه، وقدرته علىٰ الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت حكمه وقهره»[2].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القهار لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره»[3]، وقال أيضًا: «القهار وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات و دانت لقدرته، ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلىٰ، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلىٰ الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًّا، ولا خيرًا، ولا شرًّا»[4].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في النونية:**

وَكَذَلِكَ القَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا ... مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانِ[5]

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٩٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).
(٤) الحق الواضح المبين، للسعدي (ص: ٧٦).
(٥) النونية، لابن القيم (ص: ٢٠٩).

اقتران اسم الله (القاهر - القهار) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (القاهر) بأسمائه الاخرى:

- اقتران اسم الله القاهر باسمه الحكيم:

تقدم بيانه في اسم الله الحكيم.

- اقتران اسم الله القاهر باسمه الخبير:

تقدم بيانه في اسم الله الخبير

ثانيًا: اقتران اسم الله (القهار) بأسمائه الأخرى:

لم يقترن اسم الله (القهار) إلا باسم الله (الواحد) وذلك في ستة مواضع، منها: قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤].

وجه الاقتران:

١- بيان كماله جل في علاه ونفي ما قد يتوهم من الحاجة؛ إذ: «الغلبة والإذلال من ملوك الدنيا، إنما يكون بأعوانهم وجندهم وعددهم و عددهم، والله تَعَالَى يقهر كل الخلق، وهو واحد أحد فرد صمد، مستغن عن ظهير سُبْحَانَهُ»[1].

---

(١) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للحلبي (٣/ ٣٤٤)، ومطابقة أسماء الله الحسنىٰ مقتضىٰ المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي (ص: ٢٩٢).

٢- بيان استحقاقه وحده للتوحيد، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...لا يكون القهار إلا واحدًا؛ إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهارًا علىٰ الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤًا، وكان القهار واحدًا»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (القاهر - القهار):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (القاهر، القهار) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله سُبْحَانَهُ القاهر القهار، الذي عم قهره العالم العلوي والسفلي حتىٰ أعتىٰ الخلق منهم، وأشدهم جبروتًا وسطوة يتضاءل ويتلاشىٰ أمام قهر الله وجبروته، فالكل تحت قهره مغلوبًا ذليلًا، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦][2].

ومن مظاهر هذا الاسم:

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بسلطانه وملكه، فلا يستطيع أحد منهم الخروج عنه طرفة عين، ولا التصرف فيه إلا وفق ما رسم له، فالليل يعقب النهار، والنهار يعقب الليل من غير اختلاف أو امتناع، والشمس والقمر والنجوم الكل يجري ويتردد علىٰ الدوام علىٰ وفق ما قدر الله له[3]، والأعضاء التي خلقها الله في جسم الإنسان وغيره من الكائنات تعمل علىٰ وفق ما أراد الله

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ١٠٣٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٣٠)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٩٦).

من غير امتناع أو توقف إلا أن يشاء الله، فالكل مدبر تحت قهر القهار وسلطانه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بمشيئته وإرادته النافذة، فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته وأذنه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[1]، ولو دبر صاحبه كل تدبير وكاد ما شاء، فهؤلاء أهل الشرك والأوثان قوم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تنادوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا، ثم أضرموا النيران فيه، وألقوا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقهرهم القهار بقوله للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠].[2]

وهؤلاء إخوة يوسف عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ دبروا وخططوا لإقصاء يوسف وإبعاده؛ حتىٰ لا يتمكن أبوه من رؤيته، فيتفرغ لهم، ويقبل عليهم بالشفقة والمحبة، قال تعالى عن قولهم: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ٩-١٠]، لكن كان قهر الله وتدبيره بخلاف ما أرادوا، فأبقىٰ ذكر أبيه له حتىٰ مع غياب شخصه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعرض عن بنيه، وقال متذكرًا حزن يوسف القديم الأول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ جدد له حزن الابنين الحزن الدفين»[3]، فقالوا

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٢، ٢٥٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥١).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٤٠٥).

متعجبين: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥][1].

وهذا فرعون بلغه أن هلاك ملكه علىٰ يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، فقهره القهار بأن أبقىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيًّا، بل وجعل منشأه ومرباه علىٰ فراشه، وفي داره، وغذاءه من طعامه، وتحت تربيته ودلاله، ثم جعل هلاكه وهلاك جنده علىٰ يديه؛ ليُعلم العالمين أن رب السموات العلا هو القاهر القهار القادر الغالب، العزيز القوي شديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[2].

وهؤلاء اليهود- عليهم لعنة الله- أرادوا قتل عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصلبه، فقهرهم القهار بأن رفع عيسىٰ إليه، وألقىٰ شبهه علىٰ غيره، فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧][3].

وهذه قريش عام الهجرة همت بقتل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد القبض عليه وعلىٰ صاحبه، فأعلنت عن مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة، بدل كل واحد منهما، لمن يعيدهما إلىٰ قريش حيين أو ميتين، فجد الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في الطلب، وانتشروا في الجبال والوديان، والوهاد والهضاب، لكن قهرهم القهار فعاد الكل بغير جدوىٰ ومن دون عائد، علىٰ الرغم من وصولهم إلىٰ باب الغار، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٤، ٤٠٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠- ٢٢١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٣٢).

لأبصرنا، ولكن الله غالب علىٰ أمره[1].

- **إنه القاهر القهار** الذي قهر العالين بقضائه النافذ، وقدره الواقع، يحكم بما شاء ويقضي بما أراد، لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، ولا معقب له، يقضي بما أراد سُبْحَانَهُ من الفقر والمرض والعسر والهم والغم، ولا يملك أحد رده ولا كشفه ولو اجتمع الجن والإنس علىٰ ذلك، ويقضي بالخير من الغنىٰ والصحة والفرح والسرور واليسر، ولا يملك أحد منعه ولا حجبه ولو اجتمع الجن والإنس علىٰ ذلك، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٧- ١٨]، وقال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»[2].

- **إنه القاهر القهار** الذي قهر العالمين بما قضاء عليهم من الموت والفناء، وإن طال بهم المدىٰ وعمروا سنين عددًا، واتخذوا من الأسباب ما اتخذوا، فإذا نزل بهم ما استطاع أحد من الخلق رده أو دفعه عن نفسه ولو أتي من القوة والجبروت ما أوتي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١][3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٥)، والرحيق المختوم، للمباركفوري (ص: ١٥٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٥٢).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٢٣)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٣).

- **أنه القاهر القهار** الذي قهر الجبابرة وقرىٰ الطغيان بما أنزل عليهم من العذاب الأليم، فما استطاعوا فرارًا ولا امتناعًا ولا انتصارًا، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

قهر عاد التي بلغت من القوة كل مبلغ، حتىٰ أنه لم يخلق في البلاد مثلها قوة وشدة،، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠] فلما عتت عن أمر ربها وكذبت رسله، وقالت: من أشد منا قوة؟! قهرهم القهار ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨][1].

وقهر ثمود التي من قوتها نحتت الصخور واتخذتها مساكن، فلما كان منها ما كان قهرها القهار بالصيحة العظيمة التي انصدعت منها القلوب وزهقت لها الأرواح، فأصبحت موتىٰ لا يرىٰ إلا مساكنها وجثثها[2].

وقهر فرعون ذو الملك والجند والعدد والعتاد فلما استكبر، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، قهره القهار بالغرق فأغرق وجنده جميعًا في صبيحة واحدة، وألقي ببدنه علىٰ الأرض ليكون عبرة وآية لكل جبار متكبر[3].

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٨٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص:٣٧٢، ٧٣٩).

وقهر قارون الذي كان له من الكنوز العجب، حتىٰ أن مفاتح خزائنها لتثقل جماعة الرجال الأقوياء عن حملها، فهذه المفاتيح، فما الظن بالخزائن؟! فلما كفر نعمت الله عليه وطغىٰ وبغىٰ قهره القهار فخسف به وبداره الأرض جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه علىٰ عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه(١).

وقهر أصحاب الفيل الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا خرابه، فتجهزوا بجمع لا قبل للعرب به، واستصحبوا معهم الفيل لهدم البيت، فقهرهم القهار بطير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول(٢).

وقهر قريشًا وعلىٰ رأسها أبو جهل فرعون هذه الأمة بما أنزل بهم يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم الفتح حتىٰ انتهت قريش ودخلت جموعها في دين الله أفواجًا.

- **إنه القاهر القهار** الذي يقهر العالمين يوم القيامة بالذل والخضوع، فلا تكلم نفسه إلا بإذنه، ويقهرهم بتلاشي أملاكهم قليلها وكثيرها، فلا ملك إلا ملكه، قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦](٣).

- **إنه القاهر القهار**، الذي قهر العالمين بنفوذ حكمه الجزائي فيهم، فلا يمتنع مجرم أُمر به إلىٰ النار من أن يدخلها، ولا ناصر له ومدافع ولو كثر

(١) ينظر: المرجع السابق (ص:٦٢٣- ٦٢٤).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٣٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٥).

جنده، وعظم سلطانه، وعرض جاهه، ثم إذا دخلوها فلا يملكون الخروج منها، ولا تخفيف عذابها ولا إيقافه برهة إلا أن يشاء الله، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٩](١).

وهو سُبْحَانَهُ مع هذا القهر الواسع العظيم إلا أنه في غاية الكمال والجمال؛ إذ قهره سُبْحَانَهُ عن علم وخبرة بمصالح الأشياء ومضارها، ومن يستحق القهر ومن لا يستحقه، وعن حكمة بالغة يضع معها قهره في الموضع المناسب له، وعن عدل تام لا ظلم معه ولا جور، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨](٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (القهار) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في الكون من حوله وجد أن كل مخلوق فوقه مخلوق يقهره أو له مخلوق يضاده؛ فخلق الله الرياح وسلط بعضها علىٰ بعض تصادمها وتكسر ثورتها وتذهب بها، وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره، وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها، وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته، وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته، وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨، ٨٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٨٨).

مشرد ويطردونهم كل مطرد، وخلق الحر والبرد والشتاء والصيف وسلط كلًّا منهما علىٰ الآخر يذهبه ويقهره، وخلق الليل والنهار، وقهر كلًّا منهما بالآخر، وكذلك الحيوان علىٰ اختلاف ضروبه من حيوان البر والبحر لكل منه مضاد ومغالب، ثم إن هذا القهر كله لا بد أن ينتهي لقاهر واحد حي، قيوم، عليٍّ، مالك، قادر، قوي، عزيز، عليم، حكيم، لا والد له ولا ولد، ولا أحد كذلك إلا الله الواحد القهار، قال تَعالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، وقال تَعالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧- ١٨]، وقال تَعالَى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].[1]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التعليق علىٰ الآية السابقة: «القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلو كان له ولد لم يكن مقهورًا، ولكان له إدلال علىٰ أبيه ومناسبة منه»[2].

وبهذا يكون اسم الله القاهر القهار دالًّا علىٰ توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

ثم إن من له القهر بكماله وتمامه، لا قاهر له ولا مغالب، هو المستحق أن يعبد وحده دون ما سواه؛ إذ إن ما سواه مقهور مربوب مملوك للواحد القهار، فكيف يساوىٰ بالواحد القهار في العبودية؟!! قال تَعالَى:

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين (١ / ٢٣٣)، وتفسير السعدي (ص:٤١٥، ٧١٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧١٩).

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩- ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تَعَالَى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهَّاران متساوِيَيْن في قهرهما أبدًا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهرًا وحده»[1].

الأثر الثالث: طمأنينة القلب وسكينته بالله القاهر القهار:

اسم الله القاهر القهار يدعو النفوس للاطمئنان والسكينة، لا سيما المظلومة منها؛ ليقينها بقهر الله للظلمة وقدرته عليهم، مع اطلاعه على ظلمهم وعدم غياب ذلك عنه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ويقينه أن حقه محفوظ عنده، وسيأخذه له من ظالمه ولو بعد حين، كما جاء في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا الله دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٥٢٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم الحديث: (١٣٥٨).

ومن ذلك: نفوس المؤمنين الذين تكالبت عليهم الأعداء، وتحزبت عليهم الأحزاب، وخذلهم القريب والبعيد، فإنهم إذا نظروا إلىٰ ضعفهم وقلة حيلتهم وما أصابهم من جراح وقتل ومآسٍ، وبالمقابل قوة عدوهم وبطشه وغناه، ثم تذكروا أن ربهم قاهر قهار، لا يخرج ظالم مهما قوي عن قهره؛ عاد ذلك علىٰ نفوسهم بالاطمئنان والسكينة والأمل بنصر الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الأثر الرابع: محبة الله القاهر، القهار:

متىٰ عرف العبد أن معبوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قاهر قهار، لا يُغلب ولا يقوم أمام قهره شيء، وأنه بعبادته له يأوي إلىٰ ركن شديد، يدفع عنه ما يمكن أن يتسلط عليه؛ أثمر ذلك في قلبه محبةً وتعلقًا به جل في علاه.

الأثر الخامس: التواضع والخضوع للقاهر القهار:

إذا تأمل العبد في اسم القاهر القهار، ثم نظر في نفسه وكيف أنه تحت قهره لا يد له في الخلق، ولا التدبير، ولا الرزق، يتمنىٰ أن يولد له فلا يولد، وألا يمرض فيمرض، وأن يستغني فيفتقر، وأن يحيىٰ أبدًا فيموت، كل ذلك بغلبة من الله وقهره؛ أورثه ذلك ذلًّا وخضوعًا للقهار، وتواضعًا لخلقه، فلا يغره ملكه وقوته ولا جاهه ونسبه، ولا يقدم علىٰ قهر مخلوق، لا سيما الضعيف منهم، قال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خص اليتيم؛ لأنه لا ناصر له غير الله تَعَالَى، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة علىٰ ظالمه»[1].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٠).

الأثر السادس: الحذر من اتصاف المخلوق بالقهر:

إذا تأمل العبد في اقتران اسم الله (القاهر) باسمه الحكيم الخبير؛ علم أن قهره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفة كمال في حقه بخلاف المخلوق؛ إذ قهره عن جهل وسفه وظلم وعدوان، إضافة إلىٰ كونه مربوبًا مقهورًا عاجزًا، تؤذيه البعوضة، وتشوشه الذبابة، ويأسره الجوع، ويصرعه الشبع، فمن كان كذلك كيف يليق به القهر والكبر والتجبر؟!(١).

بل إن اتصافه بذلك وتسميه بما يدل عليه محل نقص وصفة ذم نهىٰ الله عنها، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحىٰ: ٩]؛ وذلك لقيامها علىٰ الظلم والطغيان، والتسلط علىٰ الضعفاء والفقراء، كما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧](٢).

وقد تتابعت النصوص في النهي عن الظلم والتحذير منه والتشنيع علىٰ صاحبه، ومن ذلك:

١- أن الله حرمه علىٰ نفسه وعلىٰ عباده؛ فعن عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»(٣).

٢- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ من أن يظلم أو يظلم وأمر بذلك؛ فعن أم سلمة، قالت: مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ

(١) شرح الأسماء، للرازي (ص: ١٩٩).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ١٨٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَالَ: «**اللهمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»(١)، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: **يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ** ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ، وَقَضَىٰ عَنْكَ دَيْنَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**(٢). قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ هَمِّي، وَقَضَىٰ عَنِّي دَيْنِي»(٣).

٣- أن صاحبه منهي عن مجالسته ومصاحبته، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٤- أن صاحبه معرض لدعوة المظلوم التي لا ترد؛ فعن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمْ:**

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٥٠٩٤)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٢٧)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٨٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٤).

(٢) قهر الرجال، أي: غلبتهم، وهي شدة تسلطهم بغير حق تغلبًا وجدلاً. ينظر: مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح (٨/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٥٥٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٣٠٥)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود. رقم الحديث: (١٥٥٥).

الوَالِدُ، والمُسَافِرُ، والمَظْلُومُ»[(١)]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ الْمَظْلُوم مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**»[(٢)]، وفي رواية: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[(٣)].

وروىٰ البخاري عن جابر بن سمرة، قال: «شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا... إلىٰ أن قال: **فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا، أَوْ رِجَالًا، إِلَىٰ الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّىٰ أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ**»[(٤)].

وروىٰ مسلم- أيضًا- قصة أروىٰ بنت أوس، وقد ادعت علىٰ سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها... فقال سعيد: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا . قَالَ: **فَمَا مَاتَتْ حَتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٩٧٣٧)، وابن خزيمة واللفظ له، رقم الحديث: (٢٤٧٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٩٣٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع، رقم الحديث: (٣٠٤٩).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٩١٧)، والطيالسي، رقم الحديث: (٢٤٥٠)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٣١٨)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٧٦٧).

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٧٤٤)، وابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١١٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥٥).

أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ»[1].

٥- أن صاحبه لا يوفق للحق والهدىٰ، بل إلىٰ الضلال والشقاء، قال تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٦- أن صاحبه محروم من محبة الله، قال تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

٧- أن صاحبه لا يفلح، فلا يفوز بمطلوبه ولا ينجو من مكروه، قال تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

٨- أن صاحبه هالك، قال تَعالَى: ﴿هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وقال تَعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

٩- أن صاحبه ملعون من الله عَزَّوَجَلَّ، قال تَعالَى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال تَعالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

١٠- أن صاحبه معرض لغضب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمعناه، قال: «**وَمَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٢٠)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي دواد، رقم الحديث: (٣٥٩٨).

١١- أن صاحبه متوعد بيوم القيامة، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثمًا، حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]»[١].

اللهم يا قاهر يا قهار، نعوذ بك من الهم والحزن، ونعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من الجبن والبخل، ونعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال.



(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٧).

الكبيرُ المتكبِّرُ جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كبر: الكبر في السن، وقد كبر الرجل يكبر كبرًا، أي: أسن...، وكبر بالضم يكبر: أي: عظم، فهو كبير وكبار، فإذا أفرط قيل: كبار بالتشديد، والكبر بالكسر: العظمة، وكذلك الكبرياء»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كبر) الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل علىٰ خلاف الصغر، يقال: هو كبير، وكبار، وكبار، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح ٢٢]، والكبر: معظم الأمر، قوله عز وعلا: ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: ١١]، أي: معظم أمره»(٢).

ورود اسم الله (الكبير- المتكبر) في القرآن الكريم:

أولًا: وود اسم الله (الكبير) في ستة مواضع من كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٦٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٣).



٣- قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

ثانيًا: ورود اسم الله (المتكبر) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المتكبر) في آية واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: ٢٣].

ورود اسم الله (الكبير- المتكبر) في السنة النبوية:

أولًا: ورد اسم الله (الكبير) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِذَا قَضَىٰ الله الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْـمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانَ-** قال علي: وقال غيره: صفوان ينفذُهُمْ **ذَلِكَ- فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِـهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْـحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ**...»[1].

ثانيًا: وورد اسم الله (المتكبر) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قرأ هذه الآية ذات يوم علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر، **يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْـجَبَّارُ، أَنَا الْـمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْـمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيْزُ، أَنَا الْكَرِيْمُ**، فرجف برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الـمنبر، حتىٰ قلنا: ليخرن به»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٧٠١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٥١٥)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٧٦٤٩)، وابن حبان، رقم الحديث: (٧٣٢٧)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٣١٩٦).

معنى اسم الله (الكبير- المتكبر) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: الكبير:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العظيم، الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه»[١].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو العظيم الجليل...، وكبرياء الله: عظمته وجلاله»[٢].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير، ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين»[٣].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشأن، وقيل: الكبير ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، أي: له الوجود المطلق أبدًا وأزلًا، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه»[٤].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذي من عظمته وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع السماوات والأرض، ومن عظمته وكبريائه، أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته»[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٧٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٥٥).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٦٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٩١).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٥٤٣).

ثانيًا: المتكبر:

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المتكبر): المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر علىٰ عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم، والتاء في المتكبر: تاء التفرد، والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف»[1].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكبر: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم، وأصل الكبر والكبرياء: الامتناع وقلة الانقياد...، وقيل: المتكبر معناه: العالي، وقيل: معناه الكبير؛ لأنه أجل من أن يتكلف كبرًا»[2].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر علىٰ عتاة خلقه، والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تَعَالَىٰ»[3].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور»[4].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٤٠).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

اقتران اسم الله (الكبير- المتكبر) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله الكبيرِ باسم الله العلي:

تقدم بيانه في اسم الله (العلي).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الـمُتكَبِّر) باسم الله (العزيز الجبَّار)[1]:

ورد في آية واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

وجه الاقتران:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **في مناسبة هذا الاقتران**-: «جعل سُبْحَانَهُ اسمه الجبار مقرونًا بالعزيز والمتكبر، وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة، وهي: الخالق البارئ المصور، فالجبار المتكبر يجريان مجرىٰ التفصيل لمعنىٰ اسم العزيز؛ كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنىٰ اسم الخالق، فالجبار من أوصافه يرجع إلىٰ كمال القدرة والعزة والملك؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنىٰ»[2].

يقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه ذكر هذه الصفات الثلاث عقب صفة المهيمن: أن جميع ما ذكره آنفًا من الصفات لا يؤذن إلا باطمئنان العباد

---

(١) تم إيراد الاقتران هنا علىٰ خلاف المنهج في إيراد الاقتران بحسب الترتيب الأبجدي للاسم؛ لأنه في آية سورة الحشر اقترن اسم الله المتكبر باسمين هما (العزيز) و (الجبار) سُبْحَانَهُ، فناسب إيراده في هذا الموضع.

(٢) شفاء العليل (ص: ١٢١).

لعناية ربهم بهم، وإصلاح أمورهم، وأن صفة المهيمن تؤذن بأمر مشترك، فعقبت بصفة العزيز؛ ليعلم الناس أن الله غالب لا يعجزه شيء، واتبعت بصفة الجبار الدالة علىٰ أنه مسخر المخلوقات لإرادته، ثم صفة المتكبر الدالة علىٰ أنه ذو الكبرياء، يصغر كل شيء دون كبريائه، فكانت هذه الصفات في جانب التخويف، كما كانت الصفات قبلها في جانب الإطماع»[1].

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الكبير المتكبر):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الكبير المتكبر من صفات الله تعالىٰ:

فالله سُبْحَانَهُ هو الكبير المتكبر وحده لا شريك له، له الكبرياء والعظمة، وسائر صفات الجلال والجمال، فهو الكبير في ملكه، والكبير في رحمته، والكبير في قدرته، والكبير في غناه، والكبير في بسطه وقبضه، والكبير في عزه وعفوه سُبْحَانَهُ.

ومن مظاهر هذين الاسمين ما يلي:

- **أنه الكبير المتكبر في ذاته** سُبْحَانَهُ **عن كل سوء وشر،** فهو الكبير عن ظلم العباد، يقول تَعَالَى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[2]، ولا يرضىٰ الظلم منهم، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٢).

(٢) سبق تخريجه.

ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]

- **أنه الكبير المتكبر العظيم** سُبْحَانَهُ، **وكل ما دونه حقير صغير**، فلا إله بحق غيره، ولا شبيه له ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون، يقول تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]

- **أنه الكبير المتكبر في سعة علمه وكماله** سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

- **أنه الكبير المتكبر في قلوب أهل السماء والأرض** سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٧]

- **أنه الكبير المتكبر في الآخرة** سُبْحَانَهُ، فالأرض قبضته والسماوات مطويات بيمينه، يقول تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وفي الأثر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[1]، وكرسيه سُبْحَانَهُ يسع السماوات والأرض، يقول تَعَالَى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- **أنه الكبير المتكبر علىٰ عتاة خلقه وجبابرتهم**، فإن نازعوه العظمة قصمهم، يقول الله تَعَالَى في الحديث القدسي: «**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ**

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٠/ ٢٤٦).

إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»[1]، وفي رواية: «قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[2]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف:٢٠].

- **أنه الكبير المتكبر عن مشابهة صفات خلقه** سُبْحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**السماوات السبع، والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم**»[3].

فالله سُبْحَانَهُ كبير متكبر متعال، له العلو المطلق والكبرياء الكامل سُبْحَانَهُ وتقدس.

الأثر الثاني: توحيد الله باسميه الكبير المتكبر:

- دلالة اسمي الكبير المتكبر على توحيد الألوهية والربوبية:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار»[4].

ومن الآيات التي تقطع أصول الشرك وفروعه: قوله تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٧٥)، وابن حبان، رقم الحديث: (٥٦٧٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم الحديث: (٢٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٦).

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قل يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزمًا لهم بعجزها، ومبينًا لهم بطلان عبادتها: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ:٢٢] أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدنىٰ ملك فـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٢] علىٰ وجه الاستقلال، ولا علىٰ وجه الاشتراك...، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم، وأوثانهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها الله وبين بطلانها، تبيينًا حاسمًا لمواد الشرك، قاطعًا لأصوله؛ لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله،؛لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه (غير الله)، لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة، ضلالًا في العقل، باطلة في الشرع»[1].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

ولذا فكل مستكبر عن عباده الله فهو مشرك، وفرعون من أعظم الخلق استكبارًا عن عبادة الله كان مشركًا، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤] إلىٰ قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] - إلىٰ قوله: - ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- دلالة اسمي الكبير المتكبر علىٰ توحيد الأسماء والصفات:

كما أن اسمي الله الكبير المتكبر يدلان علىٰ توحيد الربوبية والألوهية، فهما يدلان أيضًا علىٰ توحيد الأسماء والصفات، ويدلان علىٰ عدد كبير منها؛ كالقدير، والخبير، والعلي المتعال، وذو الجلال والإكرام، والجبار، وغيرها من الأسماء الدالة علىٰ ذلك.

الأثر الرابع: مواضع قول: «الله أكبر»، وفضلها:

من مظاهر عظمة هذين الاسمين، أنهما يدوران علىٰ ذكر عظيم وهو (الله أكبر)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن معنىٰ (الله أكبر)**: «وفي قول (الله أكبر) إثبات عظمته؛ فإن الكبرياء يتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)»[(١)].

ومن تأمل في المواضع المخصوصة التي أمرنا بالتكبير فيها، وجد أنه كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٣).

لعظمة الفعل، أو لقوة الحال، أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة؛ ليبين أن الله أكبر، ويستولي كبرياؤه في القلوب علىٰ كبرياء تلك الأمور الكبار؛ فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد الطالب لكبريائه»[1]، ومن هذه المواضع:

- **شرع التكبير لصحة الدخول في الصلاة، يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في سر ذلك**: «لما كان المصلي قد تخلىٰ عن الشواغل وقطع جميع العلائق، وتطهر وأخذ زينته، وتهيأ للدخول علىٰ الله تَعَالَىٰ ومناجاته؛ شُرع له أن يدخل دخول العبيد علىٰ الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدل علىٰ هذا المعنىٰ وهو قول: (الله أكبر) فإن في اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق- في جانب المحذوف المجرور بمن- ما لا يوجد في غيره»[2].

- **شرع التكبير علىٰ الهداية والرزق والنصر؛ وفي سر ذلك يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن هذه الثلاث أكبر ما يطلبه العبد، وهي جماع مصالحه، والهدي أعظم من الرزق والنصر؛ لأن الرزق والنصر قد لا ينتفع بهما إلا في الدنيا، وأما الهدي فمنفعته في الآخرة قطعًا، وهو المقصود بالرزق والنصر؛ فخص بصريح التكبير»[3]، ومما ورد في ذلك: حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَىٰ خَيْبَرَ فَجَاءَهَا لَيْلًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَا يُغِيرُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٢٢٩).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٢٩).

رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[1].

- **شرع التكبير في بدء العبادات أو تمامها،** ومن ذلك: جاء التكبير مكررًا في الأذان في أوله وفي آخره، وفي أثناء الصلاة وهو حال الرفع والخفض والقيام إليها، وذكره الله بعد آيات الصيام، قال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ وعند ذبح الأنساك في الحج، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

- **شرع التكبير عند كل علو وارتفاع،** كعلو نشز من الأرض عامة، أو صعود على الصفا والمروة خاصة، وفي حديث جابر: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[2].

ومواطن التكبير في الشريعة الإسلامية كثيرة جدًّا، ولعل جماعها: أن التكبير شرع عند كل أمر كبير، سواء كان مكانًا، أو زمانًا، أو حالًا.

أما فضائل قول: «الله أكبر»، فهي كثيرة، ومنها:

- **(الله أكبر) تكتب عشرين حسنة وتحط عشرين سيئة،** يقول النبي ﷺ «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،**

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٩٤٥)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣٦٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٩٩٣).

فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»(١).

- **(الله أكبر) كلمة تنفض الخطايا**، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِنَّ سُبحانَ الله، والحَمدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله يَنفُضنَ الخَطايا كَما تَنفُضُ الشَّجرةُ ورَقَها**»(٢).

- **(الله أكبر) تغرس شجرة في الجنة**، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ غَرَسَ الله تَعالَى لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ**»(٣).

- **(الله أكبر) من أحب الكلام إلىٰ الله**، عن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ الله أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»(٤).

- **(الله أكبر) تثقل الميزان**، عن أبي سلمىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ راعي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٢٧)، والبزار، رقم الحديث: (٣٠٧٤-كشف الأستار)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، رقم الحديث: (٨٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٧٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٣٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (١٦٧٦)، والطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٨٤٧٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٨٨٠).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣٧).

أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّىٰ فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ»[1].

- (**الله أكبر) من الباقيات الصالحات**، عن الحارث مولىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا، وَجَلَسْنَا مَعَهُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ أَظُنُّهُ سَيَكُونُ فِيهِ مُدٌّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: **وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّىٰ صَلاةَ الظُّهْرِ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعِشَاءِ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**»، قَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ، فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[2].

- **قول: (الله أكبر) مائة مرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة**، عن أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ - أَوْ كَمَا قَالَتْ -، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ. قَالَ: **سَبِّحِي الله مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقِينَهَا مِنْ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٥٩٠٢)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٩٢٣)، وابن حبان، رقم الحديث: (٨٣٣)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٥٢٠)، والضياء في الأحاديث المختاره، رقم الحديث: (٣٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٥٦٠)، قال أحمد شاكر في تحقيق المسند: إسناده صحيح، رقم الحديث: (٥١٣).

وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي الله مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فإنها تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ الله، وَكَبِّرِي الله مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي الله مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، قَالَ ابْنُ خَلَفٍ: أَحْسِبُهُ قَالَ، تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ مِثْلُ عَمَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ بِهِ»[(١)].

- قول: (الله أكبر) مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها أفضل من عتق مائة رقبة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: الله أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ»[(٢)].

- (الله أكبر) صدقة، عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٧٥٥٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦١٣)، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٣١٦).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٥٨٨)، والطبراني في الشاميين، رقم الحديث: (٥١٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٢٠).

- هذه بعض فضائل هذا الذكر العظيم، وإلا ففضله كبير، والنصوص الواردة فيه كثيرة.

الأثر الخامس: محبة الكبير المتكبر:

من آمن أن الله تَعَالَى أكبر من كل شيء وأجل من كل شيء، وأعلىٰ من كل شيء، وكل شيء أمامه سُبْحَانَهُ حقير ضئيل ضعيف، فله الكمال والعظمة التامة المطلقة سُبْحَانَهُ؛ أورث ذلك كله في قلب العبد محبة لربه وثقة وإجلالًا.

الأثر السادس: الحذر من الكبر:

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكبر: «فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر، مخلد في النار ولا يدخل الجنة؛ لقول الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩]، ولا يحبط العمل إلا بالكفر كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وأما إذا كان كبرًا علىٰ الخلق وتعاظمًا علىٰ الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولًا كاملًا مطلقًا لم يسبق بعذاب؛ بل لابد من عذاب علىٰ ما حصل من كبره وعلوائه علىٰ الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة»(١).

وفي الملحق الآتي ما يعين -بإذن الله- علىٰ الحذر من هذه الصفة.



(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤٠-٥٤١).

«إياك والكِبْر»



في موضوع الكبر سنتطرق لعدة مسائل، وهي:

أولًا: معنى الكبر:

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التكبر هو: رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع»[1].

❊ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكبر فسره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: (**بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**)[2] فمعنىٰ بطر الحق: يعني رده»[3].

ثانيًا: أنواع الكبر:

ذكر ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ نوعين للكبر، وهما:

الأول: الكبر ببطر الحق، يعني: رده، أن يرد الإنسان الحق، مثل أن يقول قولًا، ثم يقال له: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال كذا وكذا، أعني: خلاف قول هذا الرجل، ولكنه يرد ما قاله الرسول ويبقىٰ علىٰ قوله، وهذا كبر، وهذا من أعظم أنواع الكبر؛ لأنه رد لقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك لو قيل له: قال الله كذا وكذا، خلاف ما يقول هو، وأصر علىٰ قوله؛ فهذا كبر، وهو أعظم أنواع

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩١).

(٣) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٦/ ٢).

الكبر؛ لأنه رد لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا قسم من أقسام الكبر رد الحق، وكذلك لو كان الإنسان مجتهدًا في حكم من الأحكام، فنوقش فيه، وتبين أن الحق في خلاف قوله وإن لم يكن نصًّا في المخالفة، ولكنه أصر علىٰ ما يقول، فهذا أيضًا من الكبر.

الثاني: غمط الناس، يعني: احتقارهم وازدراءهم، بحيث لا يرىٰ الناس شيئًا، ويرىٰ أنه فوق الناس، فإن هذا من الكبر، وعلامته: أن يصعِّر خده للناس، وأن يمشي في الأرض مرحًا، وأن يتخيل أنه فوق رؤوس الجبال، وأن الناس في قعر الآبار، هذا من الكبر، ولما قال الصحابة لرسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، قال النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**)[١].

وعلىٰ هذا فتجمل الإنسان في ثيابه التي علىٰ الجسد أو التي يركبها وهي النعال، ليس من الكبر في شيء، «إلا أن يصحبه ما أشار إليه النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بكونه يغمط الناس أو يحتقرهم، فيحتقر من لم يلبس مثل لباسه، ويحتقر الفقراء، وما أشبه ذلك فهذا كبر»[٢].

ثالثًا: عاقبة المتكبرين:

أعد الله تَعَالَىٰ للمتكبرين عقوبات كثيرة، منها:

١- الكبر من أقوىٰ عوامل الصرف عن الحق:

قال تَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٢٤/ ٢).

يَـرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢- المتكبرون لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء:

قال تعالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٣- المتكبرون لا يدخلون الجنة:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: **إِنَّ الله جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»[(١)].

٤- يحشرون كأمثال الذر:

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**»[(٢)].

رابعًا: طرق الوقاية من الكبر:

ما من مرض بدني أو نفسي أو قلبي إلا وله علاج يستأصله من جذوره، أو علىٰ الأقل يخففه تدريجيًّا إلىٰ أن يشفىٰ منه الإنسان نهائيًّا.

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٧٨٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٩٢).

والكبر- لا شك- مرض كغيره من الأمراض القلبية التي تصيب الإنسان، ولابد أن له علاجًا بإذن الله، فعلىٰ من ابتلي بشيء منه أن لا يهمله ويركن إليه ويستمر عليه، بل لا بد له أن يسعىٰ جهده لعلاجه والتخلص منه قبل أن يفتك به ويهلكه.

وقد ذكر العلماء للكبر علاجًا ناجحًا بإذن الله، يتمثل في عدة أمور منها:

أولًا: أن يعرف الإنسان ربه، ويعرف نفسه، ويعرف أصله وفقره وحاجته، ويعرف نعم الله عليه، ويتذكر مقامه بين يديه وعاقبة الكبر يوم القيامة، فإنه إذا عرف كل ذلك حق المعرفة علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله، وإذا عرف نفسه علم أنه ضعيف ذليل لا يليق به إلا الخضوع لله والتواضع والذلة له، والتواضع ولين الجانب لخلقه، قال تَعَالَى-: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

ثانيًا: التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة علىٰ أخلاق المتواضعين المتبعين لسنة سيد المرسلين، وأن يدرك المتكبر أن الذي يتكبر عليه أو يسخر منه قد يكون خيرًا منه عند الله، ولينظر كل ما يقتضيه الكبر من الأفعال فليواظب علىٰ نقيضها حتىٰ يصير التواضع له خلقًا، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل.

- فإن كان التكبر بسبب القوة، فالعلاج: أن يعلم أن القوة لله جميعًا، ويعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض، وأنه لو تألم له أصبع أو عرق من عروق بدنه لتألم، وصار أعجز من كل عاجز، وأذل من كل ذليل، ثم إن من البهائم ما هو أقوىٰ منه بكثير، فمن كانت هذه حاله فما يليق به الكبر.

- وإن كان التكبر بسبب المال، فالعلاج: أن يعلم أن المال عَرَض زائل، وأن المال من الله أعطاه إياه واستخلفه عليه فقط، والمتكبر بماله أو عقاره لو

ذهب عنه ذلك لعاد في لحظة ذليلًا حقيرًا من أذل وأحقر الناس، وكل متجبر بأمر خارج عن ذاته من أجهل الخلق.

- وإن كان التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات، فعلاجه: أن يعلم العالم أن حجة الله علىٰ أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم، وأن من عصىٰ الله علىٰ علم ومعرفة أعظم جناية ممن عصىٰ الله علىٰ جهل، وإذا تفكر فيما أمامه من الخطر العظيم وعلم ما كان عليه السلف الصالح من التواضع والخوف من الله امتنع بإذن الله من الكبر.

- وإن كان التكبر بسبب المنصب، فليعلم: أن المنصب عرض زائل، فكما ذهب عن غيره سيذهب عنه ويصبح بلا منصب، وليس له أي قيمة، وسيتفرق عنه أهل التزلف المحيطون به فيصبح وحيدًا أعزل لا صديق ولا رفيق.

- وإن كان التكبر بسبب أصله ونسبه، فأصله في الحقيقة: طين وماء ثم نطفة ثم مضغة ثم علقة...إلخ. أما آباؤه وأجداده فما شرفوا إلا بصفاتهم وأخلاقهم وحسن أعمالهم، فإن فعل مثلهم فقد شرف بعمله لا بهم، وإن انحط في صفاته وأخلاقه فما ينفعه كرم آبائه وشرف أجداده، بل يصدق فيه قول الشاعر:

لَئِنْ فَخرتُ بآبَاءٍ ذَوِي شَرَفٍ   لَقَدْ صَدَقْتُ وَلَكِنْ بِئْسَمَا وَلَدُوا

اللهم طهِّر قلوبنا من الكِبر والعجب، وارزقنا اللهم التواضع ولين الجانب، والتخلُّق بأحسن المحامد.



الكريمُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرم: ضد اللؤم....والكريم: الصفوح، وكرم السحاب، إذا جاء بالغيث......»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كرم) الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق... والكرم في الخلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب. قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الكريم: الصفوح، والله تَعَالَى هو الكريم الصفوح عن ذنوب عباده المؤمنين...»[2].

ورود اسم الله (الكريم والأكرم) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الكريم) ثلاث مراتٍ في كتاب الله، وهي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

---

(١) الصحاح (٥/ ٢٠١٩-٢٠٢١).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٧١-١٧٢).

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الإنفطار:٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] علىٰ قراءة من قرأ برفع «كريم» علىٰ أنه صفة للرب[1].

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الأكرم) مرة واحدة في كتاب الله، وهي:

في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:٣].

وورود اسم الله (الكريم) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الكريم) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَوَتَعَالَى **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[2].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: **لَا إِلَهَ إِلَّا الله الْعَظِيْمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ**»[3].

معنى اسم الله (الكريم) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله (الكريم) في حق الله تَعَالَىٰ حولَ عدة معانٍ، منها:

١- الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٥٧)، فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (٢١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

٢- الـجود والإحسان.

٣- العفو الذي يصفح.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «(الكريم: الـجامع لأنواع الـخير والشرف والفضائل»[(١)].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كريم، ومن كرمه: إفضاله علىٰ من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلىٰ معاصيه»[(٢)].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة»[(٣)].

❁ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الكريم) هو: الـجواد الـمعطي الذي لا ينفد عطاؤه»[(٤)].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن (الكريم) هو البهي، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سُبْحَانَهُ وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره»[(٥)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٧).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٩).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٧).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٨٦).

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها»[(١)]، **وقال-أيضًا-**: «(الرحمن الرحيم، والبر الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب)؛ هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة والبر والجود والكرم، وعلىٰ سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأغر والحظ الأكمل»[(٢)].

من الأقوال في المعنىٰ الثالث:

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفسرًا اسم الله الكريم: «يغفر الذنب، ويعفو عن المسيء، ويقول الداعي في دعائه: يا كريم العفو، فقيل: إن من كرم عفوه: أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه، وكتب له مكانها حسنة»[(٣)].

من الأقوال التي تجمع بين المعاني الثلاثة:

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الكريم): الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح. هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، فإذا أريد بالكريم الجواد، أو الصفوح تعلق بالمفعول به؛ لأنه لا بد من متكرم عليه ومصفوح عنه موجود، وإذا أريد به العزيز كان غير مقتض مفعولًا»[(٤)].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٧٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٦).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧١).

(٤) اشتقاق الأسماء (ص: ١٧٦).

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن ذكر أن الكريم له ثلاثة أوجه هي: الجواد والصفوح والعزيز**: «وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله عَزَّوَجَلَّ بها، فعلىٰ أنه جواد كثير الخير، صفوح لا بد من متعلق يصفح عنه وينعم عليه، وإذا كان بمعنىٰ العزيز كان غير مقتض مفعولًا في أحد وجوهه، فهذا الاسم متردد بين أن يكون من أسماء الذات، وبين أن يكون من أسماء الأفعال، والله عَزَّوَجَلَّ لم يزل كريمًا ولا يزال، ووصفه بأنه كريم هو بمعنىٰ نفي النقائص عنه، ووصفه بجميع المحامد، وعلىٰ هذا الوصف يكون من أسماء الذات؛ إذ ذلك راجع إلىٰ شرفه في ذاته وجلالة صفاته، وإذا كان فعليًّا كان معنىٰ كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام علىٰ خلقه»[1].

معنى اسم الله (الأكرم) في حقه سُبْحَانَهُ:

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم ولا يعادله نظير، وقد يكون (الأكرم) بمعنىٰ الكريم، كما جاء الأعز والأطول بمعنىٰ: العزيز والطويل»[2].

❁ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: الكريم»[3].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعاد الأمر بالقراءة مخبرًا عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير ولا أحد أولىٰ بذلك منه سُبْحَانَهُ، فإن الخير كله بيده والخير كله منه والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد

---

(١) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (١/ ١١٢).

(٢) شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٩).

كله له فهو الأكرم حقًّا»[1]، وقال أيضًا: «ذكر من صفاته ها هنا اسم (الأكرم) الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال وصفًا، ومن كل خير فعلًا، فهو (الأكرم) في ذاته وأوصافه وأفعاله»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود»[3].

اقتران اسم الله (الكريم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الكريم) إلا باسم الله (الغني):

تقدم بيانه في اسم الله (الغني).

اقتران اسم الله (الأكرم) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الأكرم) بأي اسم من أسماء الله تَعَالَى.

الآثار المسلكية للإيمان باسمي الله (الكريم والأكرم):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسمي الله (الكريم والأكرم) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الكريم الذي له شرف الذات وكمال الصفات، قال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]، فهو الرحمن الرحيم، الغفور، الودود،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٤٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٤١).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٣٠)

الخالق، البارئ، المصور، العزيز، الحكيم إلىٰ آخر صفات كماله كل ذلك؛ لأنه الكريم جَلَّجَلَالُهُ، فكلمة (الكريم) شاملة واسعة لكل صفة محمودة.

وهو الكريم الذي تنزه عن النقائص والآفات علىٰ الإطلاق والتمام والكمال من كل وجه، وفي كل حال، قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣] أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل علىٰ التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله»[1].

وهو الكريم الذي له القدر العظيم والشأن الكبير الجليل، فلا يقدر قدره، ولا يدرك العباد كنهه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وهو الكريم المنعم المتفضل، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وخزائن كل شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧] الخير كله بيديه، كما جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا... لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[2] لا ينقطع خيره ولا ينفد،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

بل خيره متصل في الدنيا والآخرة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَدُ الله مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**، وقال: **عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَىٰ المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(١).

فهو سُبْحَانَهُ الكريم الذي كثر خيره وعظم عطاؤه، إذا أعطىٰ أجزل، وزاد علىٰ منتهىٰ الرجا، فأعطىٰ أهل الجنة مُناهم، وزادهم علىٰ ما يعلمون، كما جاء في الحديث القدسي أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]»(٢).

يعطي لا لعوض، فهو الغني الكريم، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ويعطي لا للسبب، ويحسن من غير طلب ولا سؤال أو منة؛ فهو المتفضل بالنوال من غير سؤال، بدأ الخلق بالنعم، وأوسع عليهم فيها حتىٰ عجزوا عن إحصائها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

وهو سُبْحَانَهُ الكريم الذي عم عطائه خلقه فشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، بل ربما خص الكافر في الدنيا بمزيد عطاء ولكن الآخرة للمتقين، قال

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٧٤١١)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٢٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٨٢٤).

تَعالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أعطىٰ إبليس الحياة الطويلة، وأعطاه القدرة علىٰ الوسواس، وأعطىٰ الكفار القدرة المادية والخضرة والطبيعة والجمال وكثرة الأموال، قال تَعالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] يعطي من يستحق ومن لا يستحق، يعطي من احتاج ومن لم يحتج حتىٰ يصب عليه الدنيا صبًّا، فلا يبالي من أعطىٰ، وكم أعطىٰ؟!!

وهو الكريم الذي لا يخص بكبير من الحوائج دون صغيرها، بل يرفع إليه الكل، قال تَعالَى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، سهل خيره وقرب تناوله؛ فإنه ليس بينه وبين العبد حجاب، وهو قريب لمن استجاب، قال تَعالَى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١] لا يضيع من التجأ إليه ولاذ به ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] بل من كرمه جل في علاه إذا رفع العبد يديه يدعوه ويسأله يستحي أن لا يجيبه، وأن يرده خائبًا، كما جاء في الحديث عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[١].

وهو (الكريم) الذي إذا وعد وفىٰ، فإن كل من يعد يمكن أن يفي، ويمكن أن يقطعه عذر، ويحول بينه وبين الوفاء أمر، والباري صادق الوعد، كما قال

---

(١) سبق تخريجه.

تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]؛ وذلك لعموم قدرته وعظيم ملكه، لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لا منع.

وهو الكريم الذي يتجاوز عن الذنوب ويغفر السيئات، لا يتعظمه ذنب أن يغفره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يجود بالتوبة علىٰ التائبين، ويتفضل بقبولها منهم، بل أعظم من ذلك أنه يبدل سيئاتهم حسنات، قال تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠][(١)].

وهو الكريم الذي كرم كل كريم من كرمه، فمن أكرمه الله أكرم ومن أهانه أهين، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨][(٢)].

وصف كلامه بالكريم، كما في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٧] أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد ويستنبط منه، كما أنه كريم، بمعنىٰ: عظيم معظم في كتاب محفوظ موقر[(٣)].

ووصف عرشه بذلك أيضًا، فقال تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] علىٰ قراءة من قرأ بالكسر علىٰ أنه صفة للعرش، والمعنىٰ: «حسن المنظر بهي الشكل»[(٤)].

ووصف ثوابه العظيم ونعيمه المقيم الذي أعده لعبادة المتقين بالكرم،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٣٨٧).

(٢) ينظر: الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (١/ ١١٦-١١٧)، وفقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (ص: ٢١٥-٢١٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤)، تفسير السعدي (ص: ٨٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠).

فقال تَعَالَى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [سبأ: ٤] والرزق الكريم، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه»[١]، ووعدهم بالمدخل الكريم، فقال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١] سالمًا من الآفات والعاهات، ومن الهموم والأحزان، ومن المنغضات والمكدرات[٢].

ووصف بذلك رسله من الملائكة والبشر، فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ١٩- ٢٠] «أي: ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»[٣]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧] «فيه الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره»[٤].

ووصف بذلك ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره، فقال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ [الدخان: ٢٦][٥][٦].

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٩٩).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٨).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٧٣).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٥) و(٢٢/ ٣٢)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٢)، تفسير السعدي (ص: ٥٨٩).

(٦) ينظر: فقه الأسماء الحسنىٰ، للبدر (٢١٤-٢١٥).

الأثر الثاني: دلالة اسمي الله (الكريم والأكرم) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد اسمي الله الكريم والأكرم وما تضمناه من عظيم الجود والعطاء، وعلم أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها منه خلقًا وتسخيرًا، وأنه لا أحد من الخلق يملك ذلك؛ تيقن أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه(١).

وقد نبه الله عَزَّوَجَلَّ عباده علىٰ هذا المعنىٰ، فبعد ما ذكر في سورة النحل «ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم به من النعم العميمة ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كفء له ولا ند له، فقال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، أفمن يخلق جميع المخلوقات وهو الفعال لما يريد ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته»(٢).

الأثر الثالث: تأملات في كرم الكريم سُبْحَانَهُ:

عبادة التأمل والتفكر هي عبادة أولي الألباب الذين أثنىٰ الله عليهم ومدحهم بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٢].

وإذا آمن العبد باسم الله الكريم وتأمل فيه؛ ظهر له كرمه في أمور كثيرة،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٨).

ومن أقربها كرمه سُبْحَانَهُ علىٰ الإنسان، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن ذلك:

١- خلقه وإيجاده علىٰ أحسن صورة من غير سؤال ولا طلب، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] «تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا»[١].

٢- رعايته وهو جنين، وطفل رضيع لا يملك حول ولا قوة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدبر وأنت جنين في بطن أمك في موضع لا يد تنالك ولا بصر يدركك ولا حيلة لك في التماس الغذاء، ولا في دفع الضرر، فمن الذي أجرىٰ إليك من دم الأم ما يغذوك، كما يغذو الماء النبات، وقلب ذلك الدم لبنًا، ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع، وأبعدها من حيلة التكسب والطلب.

حتىٰ إذا كمل خلقك واستحكم، وقوي أديمك علىٰ مباشرة الهواء، وبصرك علىٰ ملاقاة الضياء، وصلبت عظامك علىٰ مباشرة الأيدي، والتقلب علىٰ الغبراء، هاج الطلق بأمك فأزعجك إلىٰ الخروج أيما ازعاج إلىٰ عالم الابتلاء، فركضك الرحم ركضةً من مكانك كأنه لم يضمك قط ولم يشتمل عليك فيما بعد، ما بين ذلك القبول والاشتمال حين وضعت نطفة، وبين هذا الدفع والطرد والإخراج، وكان مبتهجًا بحملك، فصار يستغيث ويعج إلىٰ ربك من ثقلك.

(١) تفسير السعدي (ص: ٩٢٩).

فمن الذي فتح لك بابه حتىٰ ولجت؟! ثم ضمه عليك حتىٰ حفظت وكملت، ثم فتح لك ذلك الباب ووسعه حتىٰ خرجت منه كلمح البصر لم يخنقك ضيقه ولم تحبسك صعوبة طريقك فيه.

فلو تأملت حالك في دخولك من ذلك الباب، وخروجك منه، لذهب بك العجب كل مذهب! فمن الذي أوحىٰ إليه أن يتضايق عليك وأنت نطفة حتىٰ لا تفسد هناك؟! وأوحىٰ إليه أن يتسع لك وينفسح حتىٰ تخرج منه سليمًا، إلىٰ أن خرجت فريدًا وحيدًا ضعيفًا، لا قشرة ولا لباس ولا متاع ولا مال! أحوج خلق الله، وأضعفهم وأفقرهم، فصرف ذلك اللبن الذي كنت تتغذىٰ به في بطن أمك إلىٰ خزانتين معلقتين علىٰ صدرها، تحمل غذاءك علىٰ صدرها، كما حملتك في بطنها، ثم ساقه إلىٰ تينك الخزانتين ألطف سوق علىٰ مجار وطرق قد تهيأت له، فلا يزال واقفًا في طرقه ومجاريه حتىٰ تستوفي ما في الخزانة، فيجري وينساق إليك؛ فهو بئر لا تنقطع مادتها، ولا تنسد طرقها، يسوقها إليك في طرق لا يهتدي إليها الطواف، ولا يسلكها الرجال.

فمن رققه لك وصفَّاه، وأطاب طعمه، وحسن لونه، وأحكم طبخه أعدل إحكام، لا بالحار المؤذي، ولا بالبارد الردي، ولا المر ولا المالح، ولا الكريه الرائحة، بل قلبه إلىٰ ضرب آخر من التغذية والمنفعة، خلاف ما كان في البطن، فوافاك في أشد أوقات الحاجة اليه علىٰ حين ظمأ شديد، وجوع مفرط، جمع لك فيه بين الشراب والغذاء، فحين تولد قد تلمظت وحركت شفتيك للرضاع فتجد الثدي المعلق كالإداوة قد تدلىٰ إليك، وأقبل بدره عليك، ثم جعل في رأسه تلك الحلمة، التي هي بمقدار صغر فمك، فلا يضيق عنها، ولا تتعب بالتقامها، ثم نقب لك في رأسها نقبًا لطيفًا بحسب احتمالك ولم يوسعه فتختنق

باللبن، ولم يضيقه فتمصه بكلفة، بل جعله بقدر اقتضته حكمته ومصلحتك.

فمن عطف عليك قلب الأم، ووضع فيه الحنان العجيب والرحمة الباهرة، حتىٰ تكون في أهنأ ما يكون من شأنها وراحتها ومقيلها، فإذا أحست منك بأدنىٰ صوت أو بكاء قامت إليك، وآثرتك علىٰ نفسها، علىٰ عدد الأنفس منقادةً إليك بغير قائد ولا سائق، إلا قائد الرحمة وسائق الحنان، تود لو أن كل ما يؤلمك بجسمها، وأنه لم يطرقك منه شيء، وأن حياتها تزاد في حياتك.

فمن الذي وضع ذلك في قلبها؟! حتىٰ إذا قوي بدنك واتسعت أمعاؤك، وخشنت عظامك، واحتجت إلىٰ غذاء أصلب من غذائك ليشتد به عظمك، ويقوىٰ عليه لحمك، وضع في فيك آلة القطع والطحن، فنصب لك أسنانًا تقطع بها الطعام، وطواحين تطحنه بها، فمن الذي حبسها عنك أيام رضاعك رحمةً بأمك ولطفًا بها، ثم أعطاكها أيام أكلك رحمةً بك، وإحسانًا إليك، ولطفًا بك.

فلو أنك خرجت من البطن ذا سن وناب وناجذ وضرس، كيف كان حال أمك بك، ولو أنك منعتها وقت الحاجة إليها كيف كان حالك بهذه الأطعمة، التي لا تسيغها إلا بعد تقطيعها وطحنها، وكلما ازددت قوة وحاجة إلىٰ الأسنان في أكل المطاعم المختلفة زيد لك في تلك الآلات حتىٰ تنتهي إلىٰ النواجذ، فتطيق نهش اللحم وقطع الخبز وكسر الصلب، ثم إذا ازددت قوةً زيد لك فيها حتىٰ تنتهي إلىٰ الطواحين التي هي آخر الأضراس، فمن الذي ساعدك بهذه الآلات وأنجدك بها ومكنك بها من ضروب الغذاء»[1].

٣- تميزه بالعقل، وتعليمه للعلم بعد أن خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٦- ٢٥٧).

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فرزقه السمع الذي به يدرك الأصوات، والأبصار التي بها يحس المرئيات، والأفئدة التي يعقل به الأمور.

علمه البيان كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] أي: التبيين عما في ضميره، سواء بالنطق بتيسيره وتسهيل مخرج حروفه ومواضعها من الحلق واللسان والشفتين، أو بالخط الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس تنوب مناب خطابهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥][(١)].

٤- هدايته للإسلام والإيمان، وإنزال القرآن وتعليمه إياه، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به علىٰ عباده ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها»[(٢)]، وقال تَعَالَىٰ ممتنًّا علىٰ عباده بتعليمهم القرآن: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١ -٢] علمهم لفظه ومعانيه، ويسره عليهم، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٥-توفيقه لطاعته وفتح أبواب الخير له، فتوفيقه للصلاة كرم، وتوفيقه لصيام كرم، وتوفيقه للذكر كرم، ومن حُرم الطاعة فقدم حُرم الخير كله.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٠)، تفسير السعدي (ص: ٨٢٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٦٧).

٦- تسخير الكون له بما فيه من خيرات ونعم لا تعد ولا تحصىٰ لخدمته وراحته، قال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء: ٧٠] فحملهم في البر علىٰ الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب المختلفة، وفي البحر علىٰ السفن، ورزقهم من المآكل والمشارب والملابس والمناكح، فما من طيب تتعلق به حاجتهم إلا وأكرمهم الكريم به وسخره لهم غاية التسخير[(١)].

٧- مضاعفته سُبْحَانَهُ جزاء الأعمال الصالحة دون السيئة، قال تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، جاءَ رَجُلٌ بِناقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقالَ: هَذِهِ فِي سَبيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**»[(٢)] [(٣)]، وجاء في الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ**

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٦٣).

(٢) مخطومة، أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام. شرح النووي علىٰ مسلم، رقم الحديث: (١٣/ ٣٨).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٩٢).

بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[١][٢].

ويدل الحديث- أيضًا- علىٰ مظهر أخر من مظاهر كرم الله وجوده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وذلك بمكافأة من نوىٰ عمل الطاعة ولو لم يعمله، كما يكافئ سُبْحَانَهُ من تمنىٰ العمل الذي لا يستطيع بلوغه فيعطيه أجر العامل لنيته الحسنة؛ فعن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ.... وَأَمَّا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ،** قال: **فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ،** قال: **وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا،** قال: **فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ،** قال: **فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ،** قال: **وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،** قال: **وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ،** قال: **هِيَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»**[٣].

٨- إكرامه لعبده المؤمن عند موته وانتقاله لمنازل الآخرة، فيثبته عند النزع وعند السؤال في القبر، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٩١)، ومسلم، رقم الحديث: (١٣١).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي، (١/ ٣٨٨).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٣١٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٥).

يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ويمثَّل عمله الصالح له بصورة رجل طيب الرائحة حسن الوجه حسن الثياب، ويقول: أنا عملك الصالح؛ ليؤنس وحشته، ويقلب الحفرة الضيقة إلىٰ روضة خضراء من رياض الجنة، وينزل عليه الملائكة عند الحشر لتقول له: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، ويدله علىٰ طريق جنته ومنازله فيها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٦]، ثم يحفه ويحوطه بكرمه وعظيم عطاءه ومنته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

ويظهر كرمه جليًّا سُبْحَانَهُ في آخر رجل يدخل الجنة، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ! فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي

أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[1].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[2]، فأي كرم أعظم من هذا الكرم والجود؟!

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٩٠).

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الكريمِ والأكرم:

حين يتأمل العبد في اسمي الله (الكريم والأكرم) وكيف أنه يعطي بلا مقابل، وينعم ولا ينتظر جزاء، ويكرم ولا ينتظر شكرًا، بل يسيء العبد ويزل فيتكرم عليه بالعفو والمغفرة، حين يتأمل هذه المعاني الإيمانية، ويتذوق هذا الكرم الرباني فإن القلب يذوب حبًّا لربه الكريم.

الأثر الخامس: شكر الكريم علىٰ كرمه:

إذا نظر الإنسان في نفسه وما يحيطه من كرم الله عليه وجوده وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة، من جميع أصناف النعم مما يعرف ومما لا يعرف، وما دفع عنه من ألوان النقم والبلايا التي يعجز عن عدها فضلًا عن شكرها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] علم أن حق هذه النعم أن يشكر واهبها ولا يكفر، فيعترف القلب ويقر بنعم الله، ويثني عليه بها بلسانه، ويصرفها في مرضاته وطاعته، ويصونها عن صرفها في معصيته[١].

وقد نبه الله عباده علىٰ شكره بعد ما ذكر جملة من نعمه في مواضع عدة من كتابه، منها:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].
- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢٢، و٤٣٧-٤٣٨).

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

فدلت هذه الآيات علىٰ أن النعم تقابل بالشكر، فإذا ما قابلها العبد به جزاه الله بالزيادة منها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

الأثر السادس: إكرام من شهد الله بتكريمه:

المكرَم من أكرمه الله تَعَالَىٰ بالإيمان والهدىٰ، والمهان من أهانه الله تَعَالَىٰ بالكفر والفسوق والعصيان ولو وجيهًا: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

فقد جعل الله ميزان الكرامة عنده تقواه، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فهذا هو ميزان الإكرام الحقيقي، وليس الميزان ميزان المال والبنين والجاه والسلطان، التي يوزن الناس بها اليوم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ الآية [الفجر: ١٥- ١٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

فمن هداه لله لدينه، وأنعم عليه بطاعته وتقواه فهو الكريم، وحقه أن يكرم كما أكرمه الله جَلَّوَعَلَا، فيكرم الرسل وأتباعهم من العلماء والصالحين، ويكرم ذا الشيبة المسلم، وحامل القرآن، والسلطان المقسط، كما جاء في الحديث عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ

إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المقسط»[1].

الأثر السابع: الاتصاف بالكرم:

الله عَزَّوَجَلَّ كريم يحب أن يتصف عباده بالكرم والسخاء دون إسراف وتبذير، ويبغض منهم البخل والشح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد مدح تَعَالَى أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه، فقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، فمنع ذي القربىٰ والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك، والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضا الله فيما بينهما»[2].

والكرم من أهم مكارم الأخلاق وأجلِّها، فعلىٰ المسلم أن يتخلق بهذا الخلق الكريم، ويسعىٰ لتحقيقه، وسيتناول الملحق- بإذن الله- ما يعين علىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٣٥٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣).

(٢) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (ص: ٢٢٦).

الأثر الثامن: دعاء الكريم الأكرم:

الله تَعَالَىٰ **هو الكريم الذي فتح لنا باب الدعاء والرجاء، ورغبنا في الضَّرَاعَةِ إليه في جميع الأحوال والأوقات، ووعدنا بالإجابة كما قال** سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، **وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[1].

كل هذا يدعو العبد إلىٰ كثرة دعائه لربه ورفع حاجته إليه ولو صغرت، فقد كان السلف يسألونه في شرك نعلهم إذا انقطع، وكانوا يسألونه الملح في طعامهم.

ويدعوه- أيضًا إلىٰ إحسان الظن بربه ولو تأخرت الإجابة أو منعت؛ لعلمه أن منعها كرم منه سُبْحَانَهُ ورحمة لا قدح في كرمه وجوده؛ إذ قد يكون في قضاء حاجته هلاكه في دينه أو دنياه، والكريم بمنه وكرمه ورحمته لا يستجيبها لما فيها من الشر والضرر العائد عليه.

ويحسن بالعبد أن يدعو ربه باسمه الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ممتثلًا قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد وردت أحاديث كثيرة ترغب في الدعاء باسم الله (الكريم)، ومنها:

- عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللهُ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُورًا لَكَ؟ قَالَ: قُلْ: لَا**

(١) سبق تخريجه.

إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[1].

-عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: **أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ!**»[2].



---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٢٣)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٤)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٨٣٦١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث: (٤٦٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٦٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٤٦٦).

«كريم يحب الكرماء»



سنتطرق في موضوع الكرم لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف الكرم:

قال ابن مسكويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع»[(١)].

وقيل: الكرم هو: الإعطاء بالسهولة.

وقيل: الكرم إيصال النفع بلا عوض[(٢)].

ثانيًا: مظاهر الكرم:

للكرم مظاهر كثيرة، تتجلى في أكثر من صورة يتحلىٰ بها المسلم وهو يسير في ضياء من القرآن والسنة، ومن هذه المظاهر:

١- **إكرام الضيف**، فقد جعله الله تَعَالَىٰ دليلًا علىٰ كمال إيمان العبد وتقواه، فعن أبىٰ هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ**

---

(١) تهذيب الأخلاق (ص: ٣٠).

(٢) ينظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ١٨٤)، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لابن المناوي (ص: ٢٨١).

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[1]، ومدح إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ به، فقال تعالَى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

ومظاهر كرمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متعددة، منها:

أ- أنه أول من ضيف الضيفان.

ب- أن بيته كان مأوىٰ للطارقين والأضياف؛ لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء بالسلام.

ج- جمع لأضيافه بين الإكرام بالقول والفعل:

فإكرامه لأضيافه بالقول يتمثل في:

- رده السلام عليهم بصيغة أكمل وأتم من سلامهم؛ لأنه أتىٰ به بجملة اسمية، دالة علىٰ الثبوت والاستمرار.

- ملاطفته لهم بالكلام اللين، حيث قال: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: «أنكرتكم» (وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفىٰ)، وعند تقديم الطعام عرض عليهم عرضًا لطيفًا، وقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ولم يقل: «كلوا» ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولىٰ منها، بل أتىٰ بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾.

أما إكرامه لأضيافه بالفعل فيتمثل في:

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٧).

- مبادرته إلىٰ الضيافة والإسراع فيها، ولم يمتن عليهم أولًا بقوله: «نأتيكم بطعام؟» بل جاء به بسرعة.

- ذهابه إلىٰ أهله بخفاء، بحيث لا يشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحي منه.

- خدم أضيافه بنفسه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيَّف الضيفان.

- قرب الطعام إلىٰ أضيافه في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: تفضلوا، أو ائتوا إليه؛ لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

- أتىٰ بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل مشوي فتي سمين لا هزيل، ومثل هذا العجل يتخذ للاقتناء والتربية عادة، إلا أنه آثر به ضيفانه.

- أتىٰ بعجل كامل ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ [(١)].

٢- **إكرام اليتيم** بكفالته والإحسان إليه، وقد رتب الكريم علىٰ هذا الفعل الأجر العظيم؛ فعن سهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**»[(٢)].

٣- **إكرام الشيخ الكبير** بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه، وإجلاله من إجلال الله كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ إِجْلَالِ اللهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ، غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي**

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢١)، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، (٢/ ١٤٨-١٥٠)، وتفسير السعدي، (ص: ٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٠٤).

السُّلْطَانِ المقسط»[1].

٤- إكرام حافظ القرآن وقارئه ومفسره، وهذا- أيضًا- من إجلال الله عَزَّوَجَلَّ كما يتضح من الحديث السابق.

٥- إكرام السلطان العادل، سواء أكان حاكمًا أو دون ذلك من أصحاب السلطات، فما دام عادلًا مقسطًا فإن إكرامه من إجلال الله سُبْحَانَهُ كما تقدم في الحديث سابقًا.

٦- إكرام الزوجة، وقد حث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ذلك ورغب فيه، وجعله دليلًا علىٰ كمال الإيمان، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»**[2]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**[3] **إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»**[4].

والكرم ليس قاصرًا علىٰ هذه الصور، بل يشمل كل شيء، من إكرام: القريب، والصديق، والجار، والصغير، والفقير، بل وحتىٰ الحيوانات.

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٣٥٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٨٤١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٢)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٦١٢).

(٣) لا يفرك، أي: لا يبغض. ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم، (١٠/ ٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٤٦٩).

ثالثًا: فضل الكرم:

الكرم من الصفات المحمودة التي حض عليها الإسلام، وتخلق بها الرسول العدنان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الخلق الكريم له في الإسلام فضائل عدة منها، أنه:

١- يحصل به تكميل الإيمان؛ فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ،** قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)].

٢- يحصل به التأسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سخيًّا كريمًا لا يُسئل شيئا إلا أعطاه؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا»[(٢)]، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا ! فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ». وفي رواية: «لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّىٰ يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[(٣)]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠١٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٠٣٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣١٢).

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ»[1].

٣- إصابة دعوة الملك بالخلف؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[2].

٤- سبب في زيادة المال ونمائه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[3]، ويدل عليه- أيضًا- حديث أبي هريرة السابق في دعاء الملكين له بالخلف.

٥- سبب في ثناء الناس علىٰ صاحبه؛ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»[4]، لا سيما وأنه سبب في ستر عيوبه عن الناس، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي البَرَايَا ... وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ[5]

٦- سبب في محبة الله؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٣٨٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٩١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (١٠١٠).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٥٢)، مسلم، رقم الحديث: (٩٩٣).

(٤) ينظر: نضرة النعيم، لابن حميد (٦/ ٢٢٥٥).

(٥) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، للحمد (ص: ٢٧).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٥٩٢٨)، والحاكم، رقم الحديث: (١٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٧٦٤٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (١٨٩٠).

٧- موعود صاحبه بالمنازل والغرف في الجنة؛ فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَىٰ ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[1]، وإطعام الطعام صورة من صور الكرم والجود.

٨- سبب للنجاة من الخسارة؛ فعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: **هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**، قال: فَجِئْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: **هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا- مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**»[2].

فاللهم أكرمنا بكرمك، وأنعم علينا من فضلك.



(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٥٤)، والترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٩٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٣٨)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٩٩٠).

اللطيفُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَطُف الشيء بالضم، يلطف لطافة، أي: صَغُر، فهو لطيف.

واللطف في العمل: الرفق فيه، واللطف من الله تَعَالَى: التوفيق والعصمة، وألطفه بكذا، أي: بره به»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(لطف) اللام والطاء والفاء أصل يدل علىٰ رفق ويدل علىٰ صغر في الشيء، فاللطف: الرفق في العمل؛ يقال: هو لطيف بعباده، أي رءوف رفيق»(٢).

ورود اسم الله (اللَّطِيف) في القرآن:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (اللَّطِيف) سبع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ

---

(١) الصحاح (٤/ ١٤٢٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٠).

أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وروود اسم الله (اللَّطِيف) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (اللَّطِيف) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ، فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعَ، فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ، فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: **مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ! حَشْيَا رَابِيَةً!** قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: **لَتُخْبِرِينِي أو لَيُخْبِرَنِّي (اللَّطِيفُ) الخبيرُ،** قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ...»[(١)].

معنى اسم (اللَّطِيف) في حقه سُبْحَانَهُ:

يدور معنىٰ اسم الله (اللطيف) في حق الله تَعَالَىٰ حول معنيين:

- **المعنىٰ الأول:** أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا.

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٧٤).

- **المعنىٰ الثاني**: الذي يلطف بعبده ويلطف له، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، و يعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب[1].

ومن أقوال العلماء في ذلك:

من أقوال العلماء في المعنىٰ الأول والثاني:

❊ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلىٰ من قدرها له من خلقه»[2].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية»[3].

❊ **قال الكفوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و(اللطيف): من الأسماء الحسنىٰ معناه: البر بعباده، المحسن إلىٰ خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق، ولطف، العالـم بخفايا الأمور ودقائقها»[4].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(اللطيف): الذي لطف علمه حتىٰ أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه، وأصفيائه، فيسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ، وسهل لهم كل طريق يوصل إلىٰ مرضاته وكرامته، وحفظهم من كل سبب ووسيلة

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧٦)، والمواهب الربانية، للسعدي (ص: ١٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥١).

(٣) شفاء العليل (ص: ٣٤).

(٤) الكليات (ص: ٧٩٧).

توصل إلىٰ سخطه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشعرون بها، وقدر عليهم أمورًا يكرهونها؛ لينيلهم ما يحبون، فلطف بهم في أنفسهم فأجراهم علىٰ عوائده الجميلة، وصنائعه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح»[1].

من أقوال العلماء في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحسن إلىٰ عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون»[2].

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»[3].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته**[4]:

وَهـوَ (اللَّطِيـفُ) بِعَبْـدِهِ وَلِعَبْـدِهِ ... واللُّطْـفُ فِـي أَوْصَافِـهِ نَوْعَـانِ
إِدْرَاكُ أَسْـرَارِ الأُمُـورِ بِخِبْـرَةٍ ... واللُّطْـفُ عِنْـدَ مَوَاقِـعِ الإِحْسَـانِ
فَيُرِيـكَ عِزَّتَـهُ وَيُبْـدِي لُطْفَـهُ ... والعَبْدُ فِي الغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّـانِ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٤).

(٣) شأن الدعاء (١/ ٦٢).

(٤) النونية (ص: ٢٠٧).

اقتران اسم الله (اللَّطِيف) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقتران اسم الله (اللَّطِيف) باسم الله (الخَبِيْر):

تقدم بيانه في اسم الله (الخبير).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (اللَّطِيف):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (اللطيف) من الصفات، ودلالته على التوحيد:

الله سُبْحَانَهُ هو اللطيف الذي دق علمه فأدرك الخفايا، وأحاط بكل شيء فلا يفوت علمه شيء من الخبايا؛ يقول تَعَالَى - على لسان لقمان -: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان:١٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ﴿خَبِيرٞ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم»[1].

وهو اللطيف الذي أوصل بره وإحسانه لعباده بطرق خفية لم يحتسبوها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٨).

ومن مظاهر لطفه سُبْحَانَهُ:

- خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث، وحفظه فيها، وتغذيته بواسطة السرة، إلىٰ أن ينفصل، فيستقل بالتناول بالفم، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلام الليل، من غير تعليم ولا مشاهدة[1].

- ومن لطفه أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلىٰ ذلك البذر، الذي خفي علىٰ علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات؛ لذا قال تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج:٦٣].

- ومن لطف الله بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يريدون شيئًا وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا بهم وبرًّا وإحسانًا، قال تعالَى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورىٰ:١٩]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورىٰ:٢٧].

- ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه يتولاهم بلطفه، فيخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، من ظلمات الجهل، والكفر، والبدع، والمعاصي إلىٰ نور العلم والإيمان والطاعة.

- ومن لطفه بعباده: أن يقدر لهم أن يتربوا في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان، وبين أهل الخير ليكتسبوا من أدبهم، وتأديبهم وصلاحهم

---

(١) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ١٠١).

وإصلاحهم، كما امتن الله علىٰ مريم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران:٣٧] إلىٰ آخر قصتها، ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء، أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف علىٰ أسباب كثيرة منها، بل من أكثرها وأعظمها نفعًا هذه الحالة.

- ومن لطف الله بعباده: أن يجعل رزقهم حلالًا في راحة وقناعة يحصل به المقصود، ولا يشغلهم عما خُلقوا له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينهم علىٰ ذلك، ويفرغهم ويريح خاطرهم وأعضاءهم، ولهذا من لطف الله تَعَالَىٰ لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته، فيعلم الله تَعَالَىٰ أنها تضره وتصده عما ينفعه، فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهًا، ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقىٰ له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ولهذا كان الرضىٰ بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلىٰ المنازل.

- ومن لطف الله بعباده: أنه إذا قدر لهم طاعة جليلة لا تنال إلا بأعوان، أن يقدر لهم أعوانًا عليها ومساعدين علىٰ حملها؛ قال موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٢٩-٣٤]، فامتن الله عليه بإجابته لسؤاله سُبۡحَانَهُ:﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾ [طه: ٣٦-٣٧]، وكذلك امتن علىٰ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾

[المائدة:١١١]، وامتن علىٰ سيد الخلق في قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢].

- ومن لطف الله بعباده: أن يعطي عباده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر أعينهم في الدنيا، ويحصل لهم السرور، ثم يبتليهم ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضهم عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب، فنعمة الله عليه بأخذه علىٰ هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا- أيضًا- خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له أن قيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل، والأجر الجميل.

- ومن لطف الله بعبده: قدر الواردات الكثيرة، والأشغال المتنوعة، والتدبيرات، والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قُسمت علىٰ أمة من الناس لعجزت قواهم عنها أن يمنَّ عليه بخلق واسع، وصدر متسع، وقلب منشرح؛ بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظرًا ثاقبًا وتدبيرًا تامًّا وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تَعَالَى عليها ولطف به فيها، ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها.

وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر، فانظر إلىٰ حالة المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين، وبعثه مكملًا لنفسه ومكملًا لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله علىٰ كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمته جميع دينهم، ويعلمهم جميع أصوله وفروعه، ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلىٰ النور، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام ما لا تقوم به أمة من الخلق.

- ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك أن ينغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات، محشوًّا بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له القربات، ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

- ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره علىٰ أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم علىٰ قربة من القرب، ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب، فلا يفعلها، فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره، وقد علم تَعَالَىٰ أنه لا يفعلها؛ سوقًا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من هذا: أن يقدر تَعَالَىٰ لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها، وهو تَعَالَىٰ علم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات، كما لطف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراودة المرأة، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين.

- ومن لطف الله بعباده: أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده، ويجزيه علىٰ يد عبده الآخر، ويجعله طريقًا إلىٰ وصوله إلىٰ المستحق، فيثيب اللهُ الأولَ والآخرَ.

- ومن لطف الله بعباده: أن يجري بشيء من مالهم شيئًا من النفع وخيرًا لغيرهم، فيثيبهم من حيث لا يحتسبوا، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئًا آجر الله صاحبه، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرِّها، وركوبها، والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئًا

قليلًا، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرأ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

- ومن لطف الله بعباده: أن يفتح لهم بابًا من أبواب الخير لم يكن لهم علىٰ بال، وليس ذلك لقلة رغبتهم فيه، وإنما هو غفلة منهم وذهول عن ذلك الطريق، فلم يشعروا إلا وقد وجد في قلوبهم الداعي إليه والملفت إليه، فيفرحوا بذلك[1].

وما مضىٰ شيئ يسير من ألطافه سُبْحَانَهُ الخفية، أما ألطافه الظاهرة فهي في كل نعمة من نعمه سُبْحَانَهُ التي لا تعد ولا تحصىٰ مما يشاهد في الآفاق، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ولو استعرض لطفه سُبْحَانَهُ في نعمه الظاهرة لفنيت الأعمار ولم ندرك لها عدًّا.

ويكفي ذكر لطفه سُبْحَانَهُ في تيسير لقمة واحدة يتناولها العبد من غير كلفة يتجشمها، وقد تعاون علىٰ إصلاحها خلق كثير من مصلح الأرض، وزارعها، وساقيها، وحاصدها، ومنقيها، وطاحنها، وعاجنها، وخابزها، وتيسير مضغها مما وضع الله في الفم من أسنان طاحنة وقاطعة، ولسان يدير اللقمة ويسهلها للبلع، ولعاب يسهل مرورها في المريء، إلىٰ آخر هذه الألطاف الربانية[2].

وفي ألطافه سُبْحَانَهُ دليل علىٰ توحيده، وأنه المألوه وحده دون ما سواه، وذلك أن «من عرف أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها، وأن أحدًا من

---

(١) ينظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ٧١ - ٧٦).

(٢) ينظر: المقصد الأسنىٰ، للغزالي (ص: ١٠٢).

الخلق لا يملك لنفسه- فضلًا عن غيره- جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوىٰ الله من أبطل الباطل، وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار»[1].

وكما أن اسم الله (اللطيف) دال علىٰ الربوبية والألوهية، فكذا هو دال علىٰ الأسماء والصفات؛ إذ يدل علىٰ اسم الله الرؤوف، والرحمن، والرحيم، والطيب، إلىٰ غير ذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وما فيها من صفات.

الأثر الثاني: مراقبة اللطيف سُبْحَانَهُ:

إذا علم العبد أن ربه لطيف دق علمه، محيط بكل صغير وكبير، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦] أورثه ذلك مراقبته عَزَّوَجَلَّ.

يقول السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «والمقصود من هذا: الحث علىٰ مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر»[2].

وأورثه- أيضًا- محاسبة نفسه علىٰ أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، فإنه في كل وقت وحين، بين يدي اللطيف الخبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، **يقول الحسن** رَحِمَهُٱللَّهُ في ذلك-: «إن المؤمن- والله- لا تراه إلا قائمًا علىٰ نفسه: ما أردت بكلمة كذا؟ ما أردت بأكلة كذا؟ ما أردت بمدخل كذا، ومخرج كذا؟ ما أردت بهذا؟ ما لي ولهذا؟

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٥).

(٢) المرجع السابق (ص: ٦ وما بعدها).

والله لا أعود إلىٰ هذا! فبمحاسبتها يطلع علىٰ عيوبها ونقائصها فيسعي في إصلاحها»[1].

وأورثه كذلك الحرص علىٰ إصلاح باطنه والعناية به؛ فإن الناس وإن لم يروا إلا الظاهر، إلا أن (اللطيف) يرىٰ باطنه، فلا يليق بالمؤمن أن يهمله.

الأثر الثالث: لطف الله بعباده في المصائب والابتلاءات:

إن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، وعليه فمن لطف الله بعباده أن جعل المصائب بأنواعها، والمحن بأصنافها، والابتلاءات كلها، في حقيقتها رحمة من اللطيف ولطفًا، وسوقًا إلىٰ مراتب النقاء والكمال، يقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

- ومن لطفه سُبْحَانَهُ: أن يوفق عبده في البلايا والمصائب بالقيام بوظيفة الصبر فيها، فيناله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويوجِد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة، وكشف الضر، فيخف ألمه وتنشط نفسه، ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

- ومن لطفه سُبْحَانَهُ: أن يرزق أولياءه وقت المصيبة العظيمة السكينة

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٥١٠-٥١١).

والتثبيت، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات؛ ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ عن إنزالها علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة إذ هو وصاحبه في الغار والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلىٰ ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم علىٰ أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن حملها- وهو عمر- حتىٰ ثبته الله بالصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»[1].

- ومن لطف سُبْحَانَهُ بعبده الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص يقينه، كما لطف بالمؤمن القوي، فهيأ له أسباب الابتلاء والامتحان، وأعانه عليها، فزاد بذلك إيمانه وعظم أجره، فسبحان اللطيف في ابتلائه، وعافيته، وعطائه، ومنعه[2].

ومن تأمل في قصص أنبياء الله، رأىٰ في ظاهرها محنًا وابتلاءات، ولكنها في الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلىٰ غاية كمالهم وسعادتهم، ومن شواهد ذلك:

- أكل آدم من الشجرة التي نهىٰ عنها، وإخراجه بسببها من الجنة، كم فيه من حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلىٰ تفاصيلها!

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٣).

(٢) ينظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (٧١ - ٧٦).

- في قصة موسىٰ، وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال، ووحيه إلىٰ أمه أن تلقيه في اليم، وسوقه بلطفه إلىٰ دار عدوه الذي قدر هلاكه علىٰ يديه، ثم قدر له سببًا أخرجه من مصر وأوصله به إلىٰ موضع لا حكم لفرعون عليه، ثم قدر له سببًا أوصله به إلىٰ النكاح والغنىٰ، ثم ساقه إلىٰ بلد عدوه، فأقام عليه به حجته، ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه، وكان ذلك عين نصرتهم علىٰ أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون.

- في قصة يوسف حين قص علىٰ يعقوب رؤياه؛ فعلم أن أخوته سيكيدون له، ثم تآمر إخوة يوسف أن يقتلوه، فلطف به وأشار لهم أخوهم بعدم قتله وإلقائه في الجب، ثم ما آلمه في الجب من خوف وظلمة، وبعد ذلك شراء عزيز مصر له، ومراودة امرأة العزيز والنسوة له، ومكثه في السجن سنين، فلطف به (اللطيف) وأوَّل رؤيا الفتيين، ثم الملك، وسبحان من لطف به بهذه الرؤيا حتىٰ يمكَّن في مصر، فيقدر الله الجدب للبلاد حتىٰ يلتقي بإخوته، حتىٰ جاء بأبيه وإخوته لأرض مصر، وما زال في كل ذلك صابرًا محسنًا، ليقول- بعد كل هذه البلايا والمحن-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

وهذا كله مما يبين أنه سُبْحَانَهُ يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة، التي لا تدركها عقول الخلق، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة، والتعرف إلىٰ عباده بأسمائه وصفاته، وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها إلىٰ أشرف غاياته، وأوصله بالطرق الخفية فيها إلىٰ أحمد العواقب، فتبارك اللطيف الرحيم الحكيم سُبْحَانَهُ[1].

(١) ينظر: شفاء العليل، لابن القيم (١٢/ ١٤).

الأثر الثالث: محبة الله اللطيف:

فاللطيف يلطف بعباده المؤمنين، ويحسن إليهم، ويرفق بهم، فلا يعجل عليهم العقوبة، ويسوق لهم الخير من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون، بل يسوق لهم الخير من حيث يكرهون، كل هذا وغيره من ألطاف الله يدعو القلوب لمحبته والتعلق به سُبْحَانَهُ، وهذه المحبة تثمر التقرب إليه سُبْحَانَهُ بأنواع العبوديات، كما تثمر الحياء والإجلال له سُبْحَانَهُ، الذي يدفع العبد إلىٰ تعظيم حرماته فلا يغشاها، وحدوده فلا يقربها، كما تثمر هذه المحبة الدعوة إليه سُبْحَانَهُ والجهاد في سبيله، والتضحية بالنفس والمال في سبيل مرضاته عَزَّوَجَلَّ.

الأثر الرابع: اللطف بعباد الله تعالىٰ:

«لما كان من معاني (اللطيف) البر والرفق والإحسان، فإن مما يثمره في قلب المؤمن وأخلاقه أن يكون رفيقًا بعباد الله عَزَّوَجَلَّ محسنًا إليهم، بارًّا بهم، يحب الخير لهم ويفعله لهم، ويكره الشر لهم»[1].

وقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة، تدعو إلىٰ الرفق وترغب فيه:

- عن المقدام بن شريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ، فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[2].

---

(١) ولله الأسماء الحسنىٰ، للجليل (٢٧٨).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٩٤).

- قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»[1].

- قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**»[2].

- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ الله** عَزَّ وَجَلَّ **بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ**»[3].

- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»[4].

- بل دلت الأحاديث علىٰ اللطف حتىٰ مع الصغير، وللحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة في ركوبه علىٰ ظهره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ساجد وإطالته السجودَ من أجله، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لما سئل عن ذلك-: «**إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**»[5]، بل إن اللطف يتعدىٰ ذلك إلىٰ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٢٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٨٩٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٠١٣).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٥٠٦٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٢٧٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم الحديث: (٩٣٤)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٣٤٧٦)، والنسائي، رقم الحديث: (١١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف النسائي، رقم الحديث: (١١٤١).

اللطف بالحيوان والرفق به، ولذلك شواهد عديدة، منها: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخلت فِيْهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**»[1].

- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**»»[2].

الأثر الخامس: الدعاء باسم الله اللطيف جَلَّ جَلَالُهُ:

اعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يالطيف الطف بي أو لي، وأسألك لطفك، فمعناه: تولني ولاية خاصة، بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له[3].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٤٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٧٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٢٦٧٥).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، السعدي، رقم الحديث: (ص: ٢٢٦)

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ**»[1] اللهم الطف بنا في قضائك وبارك لنا في قدرتك حتىٰ لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت[2].

وقد اشتهر بين كثير من الناس الدعاء التالي: «اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه»، وللعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ توضيح للحكم الشرعي في هذا الدعاء، فقد قال: «وفي هذا المقام ينكر علىٰ من يقولون: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) فهذا دعاء بِدْعِي باطل، فإذا قال: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) معناه: أنه مستغن، أي: افعل ما شئت، ولكن خفف وهذا غلط، فالإنسان يسأل الله عَزَّوَجَلَّ رفع البلاء نهائيًّا، فيقول- مثلًا-: اللهم عافني، اللهم ارزقني وما أشبه ذلك.

وإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ**»[3] فقولك: (لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه) أشد، واعلم أن الدعاء قد يردُّ القضاء، كما جاء في الحديث: «**لَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»[4][5].

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٩١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث (٣٤٩١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٧٧)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٩).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٢٨٤٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٩٠)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٩٠).

(٥) شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص: ٦٦).

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما شاء من القدر»[1]، وقال أيضًا: «الدعاء يدفع القدر»[2]، وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: «اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني، وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب»[3].

اللهم إنا نسألك لطفك يا لطيفًا بالعباد.



(١) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (٣٣٥٣)، والبيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٢٥٤).

(٢) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر، رقم الحديث: (٢٥٣).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم الحديث: (١٥٦٥).

الله جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي للاسم الأعظم (الله):

اختلف العلماء هل اسم (الله) مشتق، أم هو اسم جامد؟

علىٰ قولين؛ أصحهما: أنه مشتق، وأصل اشتقاقه من (إله)[1].

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أله بالفتح إلاهةً، أي: عبد عبادةً، ومنه قرأ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، قال: وعبادتك... ومنه قولنا: (الله)، وأصله: إلاه، علىٰ فعال، بمعنىٰ: مفعول؛ لأنه مألوه، أي: معبود، كقولنا: إمام فعال، بمعنىٰ: مفعول؛ لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام، حذفت الهمزة تخفيفًا؛ لكثرته في الكلام... والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد»[2].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله: الله تَعَالَى، وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد»[3].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ٢٦).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٢٢٣).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

ورود اسم (الله) في القرآن الكريم:

ورد لفظ الجلالة (الله) جَلَّ وَعَلَا، في القرآن الكريم (٢٧٢٤) مرةً:

ومن وروده في القرآن ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

٢- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

٣- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ورود اسم (الله) في السنة النبوية:

ورد اسم (الله) في السنة النبوية مرات كثيرة، ومن وروده ما يلي:

١- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّىٰ يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**»[1].

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِـمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٠٠)، و مسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٣).

٣- قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ- فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ- أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[(١)].

معنى اسم (الله) جَلَّ جَلَالُهُ:

يدور اسم (الله) علىٰ معنيين عظيمين متلازمين:

المعنىٰ الأول: هو الإله الجامع لجميع صفات الألوهية.

المعنىٰ الثاني: هو المألوه، أي: المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومن أقوال العلماء في ذلك:

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❁ قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «(الله) ذو الألوهية والمعبودية علىٰ خلقه أجمعين»[(٢)].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فـ(الله) اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سُبْحَانَهُ، وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٨٣١)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ١٠٢).

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تألهه القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء»[1].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال»[2].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما تأويل قول الله تَعَالَىٰ ذكره (الله)، فإنه علىٰ معنىٰ ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا-: هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق»[3].

❊ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ اسم (الله): «ومعنىٰ قولنا: إلاه، إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو تَعَالَىٰ المستحق لها دون من سواه»[4].

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ الإله في الحقيقة: هو ذو الألوهية أي: المستحق للألوهية والعبادة، والمعبود إنما هو اسم المفعول من عبد فهو معبود، وإنما قيل: تألهنا أي: تعبدنا...»[5].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٣٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٢٢).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٢٦).

(٥) اشتقاق أسماء الله (ص: ٣٠).

❁ قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله، ومعناه: إله، وهذا أكثر الأسماء وأجمعها للمعاني»(١).

❁ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإله هو المألوه، أي: المستحق لأن يؤله، أي: يُعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده»(٢).

❁ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واسم (الله) دال على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة، وتعظيمًا، وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب»(٣)، وقال: «فإن الإله هو الذي يألهه العبادُ ذلًّا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعةً له، بمعنى: مألوه، وهو الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتذل له»(٤).

لفظ الجلالة (الله) والاسم الأعظم:

ثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جملة من الأحاديث أن لله عَزَّ وَجَلَّ اسمًا أعظم، إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى، لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حثنا على معرفة أسمائه وصفاته، وأثنى على من عرفها، وتفقه فيها، ودعا الله بها دعاء عبادة وتعبد، ودعاء مسألة، ولا ريب أن الاسم الأعظم منها أولاها بهذا الأمر»(٥).

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٢).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٦).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٧).

(٥) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص: ٢٥٠).

وقد اختلف العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في تعيينه علىٰ نحو من عشرين قولًا[1]، أشهرها وأقواها ثلاثة:

الأول: أن الاسم الأعظم (الله) جَلَّجَلَالُهُ.

الثاني: أن الاسم الأعظم (الحي القيوم) جَلَّجَلَالُهُ.

الثالث: أن الاسم الأعظم كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية والفعلية.

قال بالأول: أكثر أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، منهم: أبو حنيفة، والطحاوي[2]، وابن منده[3]، والرازي[4].

واستدلوا: بما خص الله به هذا الاسم من خصائص وميزات، منها[5]:

١- أنه الأصل لجميع أسماء الله الحسنىٰ، فسائر الأسماء تضاف إليه وتجري معه مجرىٰ الصفات مع الأسماء، فيقال: الرحمن الرحيم، الخالق الرازق، الحي القيوم، العزيز الحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ

---

(١) تراجع في: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

(٢) ينظر: شرح مشكل الآثار (١/ ١٦١).

(٣) ينظر: التوحيد (٢/ ٢١).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (١/ ١١١).

(٥) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٢-٣٣)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٦٥) وما بعدها.

سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:٨] فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا شك أن الموصوف أشرف وأعظم من الصفة.

٢- أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنىٰ تفصيل وتبيين لصفاته.

٣- أنه اسم خاص بالله عَزَّوَجَلَّ، لم يتسم به أحد سواه، ولم يدع به شيء غيره؛ فقد قبض الله عنه الألسن، وكاد يتعاطاه المشركون اسمًا لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها، فصرفهم الله إلىٰ «اللات» صيانة لهذا الاسم، وذبًّا عنه، قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥] أي- علىٰ أحد أوجه التفسير-: هل تعلم أحدًا يسُمَّىٰ الله غير الله، أو يقال له: الله إلا الله؟!(١).

٤- أنه لا يسقط عنه الألف واللام في حال النداء، فيقال: يا الله، فصار الألف واللام كالجزء الأساسي في الاسم، بخلاف سائر الأسماء؛ فإن النداء إذا دخل عليها أسقط عنها الألف واللام، فيقال: يا رحمن، يا عزيز، يا حليم، ولا يقال: يا الرحمن، يا العزيز، يا الحليم.

وفي هذا إشارة إلىٰ أن هذا الاسم العظيم معرفة أبدًا، لا تزول ألبتة؛ وذلك أن الألف واللام للتعريف؛ فعدم سقوطهما دال علىٰ ذلك.

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص: ٣١)، وشأن الدعاء، للخطابي (١/ ٣٠)، والمنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٩٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٣٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٢-١٢٣).

٥- أنه أكثر الأسماء ورودًا في القرآن، فقد ورد (٢٧٢٤) مرةً، وهذا ما لم يقع لغيره من الأسماء.

٦- أنه مقترن بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا يصح إسلام الكافر إلا بها، ولو استبدلت بغيرها، فقيل: أشهد أن لا إله إلا الرحمن الرحيم، لم يصح في الدخول للإسلام، والخروج من الكفر.

٧- أنه الاسم الذي تعرف الله به إلىٰ عباده، كما في قوله تَعَالَىٰ لموسىٰ: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٣- ١٤]، وقال في مطلع آية الكرسي معرفًا بنفسه لعباده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٨- أنه أكثر الأسماء دعاء به، حيث يقال: (اللهم)، ومعناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

ومن دعاء الله بها قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول عند النوم: «**اللهمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ،...**» الدعاء[1]، ويدعو في سجوده: «**اللهمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤٨٨).

وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»[1].

إلىٰ غير ذلك من الخصائص اللفظية لهذا الاسم الكريم، **وأما الخصائص المعنوية له، فقد قال فيها ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**)، وكيف تحصىٰ خصائص اسم مسماه كل كمال علىٰ الإطلاق، وكل مدح، وكل حمد، وكل ثناء، وكل مجد، وكل جلال، وكل إكرام، وكل عز، وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وبر وفضل فله ومنه؟!

فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات والدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات»[2].

لا سيما وقد ورد هذا الاسم الكريم في جميع الأحاديث التي فيها الإشارة إلىٰ الاسم الأعظم، ومن ذلك:

١- حديث بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٤٨٦).

(٢) نقله عنه: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان ابن عبد الوهاب (ص: ١٤).

يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: **لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[1].

٢- حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]»[2].

٣- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَتَدْرُوْنَ بِمَا دَعَا؟** قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فقال: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[3].

وقال بالثاني: أن اسم الله الأعظم: **(الحي القيوم)**: بعض أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[4]، وابن القيم[5]، وابن عثيمين[6] رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٣٥٠٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٣). حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٥٥)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٦).

(٣) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٨٠٦)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٩٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٤٩٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣١١).

(٥) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٦) ينظر: تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

واستدلوا: بما تضمنهما هذين الاسمين الجليلين من دلالة علىٰ سائر الأسماء، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال؛ ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطىٰ هو اسم الحي القيوم»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنىٰ؛ فصفة الكمال في (الحي)؛ وصفة الإحسان، والسلطان في (القيوم)»[٢].

وقال بالثالث: أن الاسم الأعظم كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية والفعلية.

الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يقول: «فالصواب: أن الأسماء الحسنىٰ كلها حسنىٰ، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل علىٰ جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل علىٰ معاني جميع الصفات، مثل:

(الله) فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال، ومثل: (الحميد المجيد) فإن (الحميد) الاسم الذي دل علىٰ جميع المحامد والكمالات لله تَعَالَىٰ، و(المجيد) الذي دل علىٰ أوصاف العظمة والجلال ويقرب من ذلك (الجليل الجميل الغني الكريم).

ومثل: (الحي القيوم)، فإن (الحي) من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، و(القيوم) الذي قام بنفسه، واستغنىٰ عن جميع

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٢) تفسير العثيمين (٣/ ٢٥٨).

خلقه، وقام بـجميع الموجودات، فهـو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها.

ومثل: اسمه (العظيم الكبير) الذي له جميع معاني العظمة والكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه.

ومثل قولك: (يا ذا الجلال والإكرام) فإن الجلال صفات العظمة والكبرياء، والكمالات المتنوعة، والإكرام استحقاقه علىٰ عباده غاية الحب، وغاية الذل وما أشبه ذلك.

فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهذا هـو الذي تدل عليه الأدلة الشـرعية والاشتقاق، كما في السنة أنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**» [(١)]»[(٢)].

ومما سبق يظهر- والله أعلم- رجحان كون الاسم الأعظم هو اسم (الله) جَلَّ جَلَالُهُ؛ لقوة أدلته وظهورها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص: ٢٥٠-٢٥٢).

الآثار المسلكية للإيمان باسم (الله):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم (الله) من الصفات:

الله تَعَالَى هو ذو الألوهية التي بها استحق أن يكون المعبود المألوه الحق، بل استحق ألا يشاركه في هذا الوصف العظيم أحد سواه، كما قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢].

اتصف بصفات الألوهية التي تجمع صفات الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والإحسان، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، فاستحق بهذه الصفات أن يُعبد ويُؤلَه.

فهو المألوه لانفراده بالحياة التامة والقيومية المطلقة، قال تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

وهو المألوه لانفراده بالربوبية خلقًا ورزقًا وملكًا وتدبيرًا وضرًّا ونفعًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

﴿ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وقال جل في علاه: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٢-٣]، وقال تعالَى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ [القصص:٧١]، وقال تعالَى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦].

وهو المألوه لانفراده بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلىٰ جميع خلقه، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالَى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

وهو المألوه لما له من إحاطة بكل شيء علمًا وحكمًا وحكمة وعزة وقهرًا، قال تعالَى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ [طه:٩٨]، وقال تعالَى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦]، وقال تعالَى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [ص:٦٥].

وهو المألوه لانفراده بالغنىٰ المطلق التام من كل وجه، كما أن كل من سواه مفتقر إليه علىٰ الدوام من كل وجه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته ومطالبه كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات قال تعالَى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد:٣٨]، وقال سُبۡحَانَهُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] فتبارك الله الإله الحق(١).

وهو **الإله** الذي يعبده ويتأله له من في السموات والأرض، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤] فتألهه الخلائق أجمعون بالاستسلام والانقياد طوعًا أو كرهًا، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣] حتىٰ سجد وخضع له ظلالهم بالغدو والآصال: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد:١٥]، ولهج الناطق منهم وغير الناطق من الأشجار والنبات والجماد والأموات مسبحًا بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤]، وتوجه له بالتضرع والاستغاثة في النوائب والشدائد البر والفاجر، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧](٢)، وأبت القلوب والأرواح السكون إلا إليه، والاطمئنان إلا بذكره، والفرح إلا بمعرفته، قال تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، فتبارك الله إله العالمين.

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤٢، ٤٥٩، ٧٧٠، ٤٦٢).

الأثر الثاني: دلالة اسم (الله) علىٰ التوحيد:

معرفة العبد لاسم الله جَلَّجَلَالُهُ وما فيه من معانٍ، تقوده إلىٰ توحيده بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فأما توحيده بالربوبية:

فإذا عمل العبد بمقتضىٰ اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ من التعبد والتأله، تضمن عمله توحيد الربوبية، من جهة: أن من عبد الله ولم يشرك معه شيئًا، لا شك أنه يعتقد أنه ربه الخالق والمالك له الذي لا رب له غيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمنون:١١٦] فإنه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية، وأن ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنه خالق ما سواه ومعبوده»[١].

وأما توحيده بالألوهية:

فإذا تدبر العبد اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ وآمن بما فيه من معاني الألوهية في الصفات والأفعال التي لا مشارك له فيها؛ علم أنه المعبود الحق الذي لا يستحق أن يعبد أحد سواه، وأن كل معبود سواه من لدن عرشه إلىٰ قرار أرضه باطل[٢]، وهذه حقيقة كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا تتم إلا بركنيها:

١- نفي العبودية عن ما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- إثبات العبودية لله وحده، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ

---

(١) الصفدية (٢/ ٦٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٣/ ٢٠٢، ٢٠٤)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ١٠٧).

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:٦٤]، وفي الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»(١)(٢).

وتحقيق هذا المعنىٰ إنما خلق الله الإنس والجن لأجله، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فأرسل فيهم الرسل وأنزل إليهم الكتب داعية إليه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو: إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة والإثابة، وبذل الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثار محابه ومراده الديني علىٰ محبة العبد ومراده؛ فهذا أصل دعوة الرسل، وإليه دَعَوا الأمم، وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو الذي أمر به رسله،

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣).

(٢) ينظر: ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول (ص: ١٩٠)، كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ٣٦-٣٧)، والقول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ١٥٨).

وأنزل به كتبه، ودعا إليه عباده، ووضع لهم دار الثواب والعقاب لأجله، وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله»[1].

ونوَّع سُبْحَانَهُ الأدلة والبراهين علىٰ هذا الأصل العظيم، ونفىٰ ضده تحقيقًا له، ومن ذلك[2]:

١- الاستدلال بالربوبية علىٰ الألوهية، فمن عرف أنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور؛ أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠] الآيات.

ومن عرف أنه المنفرد بجلب النعم ودفع النقم، فما من نعمة ظاهرة ولا باطنة قليلة أو كثيرة إلا منه سُبْحَانَهُ، وما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها، وإن أحدًا من الخلق لا يملك لنفسه- فضلًا عن غيره- جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوىٰ الله من أبطل الباطل، وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، قال تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص١٣٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٢٥، ٦٤٠)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص: ١٨-١٩)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي (ص: ١٠٧).

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٧-١٨] الآيات، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١].

٢- الاستدلال بما له من صفات على الألوهية، فمن عرف صفات كماله وأنه لا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله علم أنه المعبود الحق الذي لا يستحق أي مخلوق كائنًا من كان أن يعبد معه، قال تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] الآيات.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا هذه المسألة: «والله سُبْحَانَهُ لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه، فأفاد (الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد: وهما إثبات صفات الكمال، ردًّا على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو، ردًّا على المشركين»[1].

٣- الاستدلال بصفات الآلهة التي عبدت من دونه على بطلان عبادتها، فإن فيها من صفات العجز، والنقص، والفقر ما يمنع كونها إلهًا يعبد، قال

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٨٣).

تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ [العنكبوت:١٧].

٤- ضرب الأمثلة الدالة علىٰ بطلان الشرك وقبحه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١].

٥- الاستدلال بإكرام أهل التوحيد، وإهانة وعقوبة أهل الشرك علىٰ أن التوحيد هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، كما في ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لقصص الرسل مع أممهم، وما فيها من نزول العذاب علىٰ أهل الشرك والنجاة لأهل التوحيد، قال تَعَالَىٰ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤]، وقال تَعَالَىٰ عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:٧٢]، وقال تَعَالَىٰ عن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٦-٦٧] وهكذا في بقية الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وأما توحيده بالأسماء والصفات:

فقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسم الله دال علىٰ جميع الأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا بالدلالات الثلاث؛ فإنه دال علىٰ إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تَعَالَى سائر الأسماء الحسنىٰ إلىٰ هذا الاسم العظيم، كقوله تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]... فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنىٰ تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله»[(١)].

الأثر الثالث: الفرح والسرور بمعرفة الله جَلَّجَلَالُهُ:

النفس أحوج ما تكون إلىٰ معرفة خالقها ومعبودها الحق، ولا حاجة إليها فوق حاجتها إلىٰ معرفته، فلا سعادة لها ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم ولا راحة لها إلا بمعرفة ربها ومعبودها وعبادته، فإذا عرفت معبودها الحق (الله) جَلَّجَلَالُهُ سعدت وفرحت بذلك أشد الفرح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليست حاجة الأرواح قط إلىٰ شيء أعظم منها إلىٰ معرفة بارئها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفىٰ عنده»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ٥٥).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم (ص: ٩).

وقال: «فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته، وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما في الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء ألبتة»[(١)].

الأثر الرابع: الاعتزاز بالله جَلَّجَلَالُهُ والتوكل عليه:

إذا تأمل العبد في اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ، وما فيه من صفات الكمال؛ إذ هو خالق كل شيء ومالكه، ومدبر أمره، والخاضع له كل شيء الملك والمملوك، والعزيز والذليل، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والكبير والصغير.

إذا تأمل هذا شعر بالعزة به سُبْحَانَهُ؛ فتعلق به وحده، وسقط من قلبه الخوف والهيبة من الخلق والتعلق بهم، فلم يعتز ولم يحتم إلا به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولم يتوكل إلا عليه، قال تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، فكل من عداه مدبَّر، لا يملك حولًا ولا قوة، ومصيره الفناء؛ فكم من بشر اعتز بماله فما لبث أن ضاع ذلك المال فضاع، وكم من بشر اعتز بسلطانه فجاءت النهاية بزوال سلطانه، فما كان منه إلا أن قال: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩][(٢)].

---

(١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص: ٨٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٨٩-٩٠).

الأثر الخامس: محبة الله جل في علاه:

فُطرت القلوب علىٰ محبة من له صفات الكمال والإحسان والتفضل علىٰ الغير، والله جَلَّجَلَالُهُ لا أكمل ولا أعظم ولا أجل من صفات ألوهيته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا أعظم نعمة وفضلًا علىٰ العباد منه، فمن كان هذا حاله فهو أحق من يحب، محبة عظيمة تتقدم علىٰ محبة النفس، والأهل، والولد، والناس أجمعين، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذه المحبة: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «إن (الإله) الحق هو الذي يُحَبُّ لذاته، ويُحْمَدُ لذاته، فكيف إذا انضاف إلىٰ ذلك إحسانه، وإنعامه، وحلمه، وعفوه، وبره، ورحمته، فعلىٰ العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله، فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا محسن علىٰ الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو، فيحبه لإحسانه وإنعامه، ويحمده علىٰ ذلك فيحبه من الوجهين جميعًا»(٢).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم بالتأله القلبي، والروحي، والقولي والفعلي، بحسب مقاماتهم ومراتبهم، فيعرفون من نعوته وأوصافه ما تتسع قواهم لمعرفته، ويحبونه من كل قلوبهم محبةً تتضاءل جميع المحاب لها، فلا يعارض هذه المحبة في قلوبهم محبة الأولاد والوالدين وجميع محبوبات النفوس، بل خواصهم

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ١٨٣).

جعلوا كل محبوبات النفوس الدينية والدنيوية تبعًا لهذه المحبة، فلما تمت محبة الله في قلوبهم أحبوا ما أحبه من أشخاص وأعمال، وأزمنة، وأمكنة، فصارت محبتهم وكراهتهم تبعًا لإلهه‍م وسيدهم ومحبوبهم.

ولما تمت محبة الله في قلوبهم التي هي أصل التأله والتعبد أنابوا إليه فطلبوا قربه ورضوانه، وتوسلوا إلىٰ ذلك وإلىٰ ثوابه بالجد والاجتهاد في فعل ما أمر الله به ورسوله، وفي ترك جميع ما نهىٰ الله عنه ورسوله، وبهذا صاروا محبين محبوبين له، وبذلك تحققت عبوديتهم وألوهيتهم لربهم، وبذلك استحقوا أن يكونوا عباده حقًا، وأن يضيفهم إليه بوصف الرحمة حيث قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣][(١)].

الأثر السادس: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه الأعظم:

إذا آمن العبد بأن اسم (الله) جَلَّجَلَالُهُ هو الاسم الأعظم- كما سبق بيانه- الذي لا يخيب من دعا به ولا يرد، لهج بالدعاء به، ولا سيما بما ورد من الأدعية التي نص فيها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ اشتمالها علىٰ الاسم الأعظم، كالدعاء بـ: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد**»[(٢)]، والدعاء بـ«**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم**»[(٣)].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٣١-٣٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ثم إذا صَاحَب الدعاءَ بالاسم الأعظم حضور قلب وانكسار وذلة لم تكد تُرَد الدعوة، فليحرص العبد علىٰ الإكثار من سؤال الله باسمه الأعظم موقنًا بالإجابة[1].

الأثر السابع: الأذكار مقرونة باسم (الله) سُبْحَانَهُ:

خص الله عَزَّوَجَلَّ اسمه (الله) بأن جعله مقرونًا بعامة الأذكار المأثورة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالتحميد والتسبيح والتهليل والتكبير والحوقلة والاسترجاع والبسملة ونحوها مقرونة به غير منفكة عنه، فإذا كبر المسلم ذكره، وإذا حمد ذكره، وإذا سبح ذكره وهكذا في عامة الأذكار، كما في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ- فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ- حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[2]، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ**»[3]، وقوله: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»[4].

ولم يشرع تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذكره بهذا الاسم مفردًا، كما يعتقد بعض الجهال من المسلمين، فيرددون لفظ الجلالة (الله) مرات عديدة، كألف أو ألفين أو أكثر، وأحيانًا يجتمعون علىٰ ذلك في حلقات وهم جالسون، أو وهم واقفون يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال، ويقفزون بين الحين والآخر، ويصاحب

---

(١) ينظر: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للسعدي (ص: ٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٦٨٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٤).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٣٧).

ذلك دقات الطبول وأصوات المزامير! وتشتد الأصوات حتىٰ لا تسمع إلا (هو هو هو) أو (آه آه آه) أو (حع حع حع)!!، ونحو ذلك مما لم ينزل الله به سلطانًا، ولم تأت به سنة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[1][2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرد هنا بمعنىٰ: المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات»[3].

الأثر الثامن: تسمي العبد بأحب الأسماء إلىٰ الله تعالىٰ:

إذا علم العبد المكانة العظيمة لهذ الاسم الكريم (الله) فليعلم أن أحب الأسماء إليه ما أضيف إلىٰ هذا الاسم، أو أضيف لاسمه الرحمن، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ الله** عَزَّ وَجَلَّ: **عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»[4].

وكشف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ سر ذلك في كلامه حول الأسماء والكنىٰ؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الاسم مقتضيًا لمسماه، ومؤثرًا فيه كان أحب الأسماء إلىٰ الله ما اقتضىٰ أحب الأوصاف إليه، كعبد الله وعبد الرحمن، وكانت إضافة العبودية إلىٰ اسم (الله) واسم الرحمن، أحب إليه من إضافتها إلىٰ غيرهما،

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٩٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٧١٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (ص: ٧٣-٧٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ١٦).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٣٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٨٣٣).

كالقاهر والقادر، فعبدالرحمن أحب إليه من عبدالقادر، وعبدالله أحب إليه من عبدربه؛ وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين ربه إنما هو العبودية المحضة، والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة، فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده، والغاية التي أوجده لأجلها: أن يتأله له وحده محبةً وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وتعظيمًا، فيكون عبدًا لله، وقد عبده لـما في اسم (الله) من معنىٰ الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره، ولـما غلبت رحمتُه غضبَه، وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب؛ كان عبد الرحمن أحب إليه من عبد القاهر»[1].

الأثر التاسع: تحقيق العبودية التامَّة لله تعالىٰ:

إذا علم العبد معنىٰ اسم (الله) ومافيه من صفات الألوهية؛ خضع له سبحانه، إما بالعبودية العامة أو الخاصة.

العبودية العامة: عبودية الملك والقهر والخضوع للأمر الكوني القدري التي بها تعبد أهل السماوات والأرض كلهم؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

وهذه العبودية لا يصير بها العبد مؤمنًا؛ لأنه مجبور مقهور عليها، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٢/ ٣٤٠).

العبودية الخاصة: عبودية الطاعة، والمحبة، واتباع الأوامر، واجتناب النواهي التي بها تعبَّد أهل الإيمان لربهم عَزَّوَجَلَّ، وتتفاوت مراتبهم ودرجاتهم بناء عليها، قال تَعَالَى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢]، **وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣].

وهذه العبودية هي التي يصير بها العبد مؤمنًا، وينال بها رضاه.

فإذا علم العبد هذا، وعلم أن نجاته وفلاحه وسعادته إنما تكون بتحقيق العبودية الخاصة لله عَزَّوَجَلَّ، قاده ذلك لتحقيقها وتكميلها[1].

وفي الملحق الآتي ما يعين - بإذن الله - علىٰ تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ.



(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٥٠-٥٤)، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٥-١٢٦)، وتفسير السعدي (ص: ٨١٣).

«العبودية»



سنتطرق في موضوع العبودية لعدة مسائل، وهي:

أولًا: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة:

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ويقال: طريق معبد، إذا كان مذللًا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليًّا بالقطران»(١).

قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عبد، بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق معبد... والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك»(٢).

العبادة في الاصطلاح:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة»(٣).

وقال القاضي أبو يعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة العبادة: هي الأفعال الواقعة لله عَزَّوَجَلَّ، علىٰ نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع»(٤).

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٣٨).

(٢) الصحاح (٢/ ٥٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٢).

(٤) المعتمد في أصول الدين، للقاضي أبي يعلىٰ (١٠٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[١]:

ومما سبق يتبين أن العبادة تقوم علىٰ أصلين عظيمين، هما:

١-غاية الخضوع والذل والانقياد لله عَزَّوَجَلَّ؛ يقال: طريق معبد، أي: مذلل، فالعابد منقاد لمعبوده خاضع له.

٢-غاية المحبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإذا عظمت محبة الله في قلب العبد قادته إلىٰ الاستقامة علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا هذين الأصلين: «ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تَعَالَىٰ، بل يجب أن يكون الله أحب إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع... فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتىٰ تكون محبًّا خاضعًا»[٣] [٤].

---

(١) العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٤).

(٢) العبودية (ص: ٤٨-٤٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٥- ٩٦).

(٤) ينظر: العبودية مسائل وقواعد ومباحث، لآل عبد اللطيف (ص: ٣٣).

ثانيًا: أهمية العبودية وفضلها:

دعا الله عَزَّوَجَلَّ عباده إلىٰ عبوديته، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]، ورغبهم فيها ببيان أهميتها وما لأهلها من فضل في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

١- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن العبودية هي الغاية من خلق الخلق، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه إنما أنزل الكتب، وأرسل الرسل للدعوة إليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وحكىٰ عن جملة من رسله قولهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣][(١)].

٣- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن عبوديته حاجة فطرية فطرت قلوب الخلق للميل إليها، قال تَعَالَىٰ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[(٢)] [(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ- مقررًا تلك الحاجة-: «اعلم أن حاجة العبد إلىٰ أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا

---

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٤-٤٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٣٥٨)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٥٨).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٤١).

في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود والتقرب- أعظم من حاجة الجسد إلىٰ روحه، والعين إلىٰ نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة القلب روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلـهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره... ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها»[(١)].

وكل من استكبر عن عبادة الله التي دعته فطرته إليها عبد غيره ولا شك؛ إذ النفوس جبلت علىٰ أن تقصد شيئًا وتريده، وتستعين به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها، وتطمئن وتركن إليه، وتنتهي إليه محبتها، وهو إلهها سواء كان ذلك الله أو غيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستقراء يدل علىٰ أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارًا عن عبادة الله، كان أعظم إشراكًا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقرًا وحاجة إلىٰ المراد المحبوب... فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهىٰ حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهىٰ حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب، إما المال وإما الجاه وإما الصور، وإما ما يتخذه إلهًا من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان...»[(٢)][(٣)].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٥٧).

(٢) العبودية، لابن تيمية (ص: ١٠٠-١٠١) بتصرف وتقديم.

(٣) ينظر: جامع الرسائل، لابن تيمية (٢/ ٢٣١)، وتفسير السعدي (ص: ٦٠-٦١)، والعبودية مسائل وقواعد ومباحث، لعبد العزيز آل عبد اللطيف (ص: ٣٧ - ٣٩، ٤٤-٤٥).

٤- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن شرف المخلوق وكماله إنما يكون بتحقيقها، فشرف الملائكة بها ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وشرف الأنبياء بها، فقال سُبۡحَانَهُ عن أيوب وسليمان عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٣٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص:٤٥]، وشرف رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بوصفه بها في أعلىٰ مقامات التكريم، فوصفه بها في مقام إنزال القرآن: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]، وفي مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩]، وفي مقام الإسراء: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء:١][1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تَعَالَىٰ، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»[2].

٥- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن العبودية لازمة للعبد في أحواله كلها، فتلزمه في حياته إلىٰ مماته كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، أي: الموت، وتلزمه بعد الحياة في البرزخ حينما يسأله الملكان، وتلزمه في القيامة حينما يدعو الله الخلق كلهم إلىٰ السجود فيسجد المؤمنون ويبقىٰ الكافرون والمنافقون لا يستطيعون السجود، فإذا وصلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف بالعبادة، وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحًا مقرونًا بأنفاسهم لا يجدون له تعبًا ولا نصبًا[3].

---

(١) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٦-٤٧).

(٢) العبودية، لابن تيمية (ص: ٨٠).

(٣) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

٦- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن العبادة دأب ملائكته، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥- ٢٠٦]، وفي هذا دعوة للاقتداء بهم.

٧- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن إحسان العبودية وتكميلها أعلىٰ مراتب الدين؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1][2].

٨- بيانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثواب أهلها في الدارين، ومن ذلك:

أ- عدم تسلط الشيطان عليهم؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩- ٤٠].

ب- حفظهم من المعاصي والمنكرات، قال تَعَالَىٰ عن نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

ج- اصطفاؤهم لفهم القرآن والعمل به، قال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢].

د- التمكين لهم في الأرض، قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

ر- استثناؤهم من الهلاك الذي يعم قومهم، قال تَعَالَى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣-٧٤].

ع- البشارة لهم في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والبشارة لهم في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرىٰ ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة، قال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧][(١)].

و- نفي الخوف والحزن عنهم يوم القيامة؛ قال سُبۡحَانَهُ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨].

ي- وعدهم بالجنة، قال تَعَالَى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦١-٦٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان:٦]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٢١).

﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٣].

ثالثًا: وسائل تحقيق العبودية:

تحقيق العبودية إنما يكون بالقيام بما يحبه الله ورسوله ويرضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب: هو الاعتقاد الصحيح بما أخبر به سُبْحَانَهُ عن أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، ولقائه علىٰ لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين الباطل و إزهاقه، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، والصبر علىٰ أوامره، وعن نواهيه، وعلىٰ أقداره، والرضىٰ به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرْضها أفرضُ من أعمال الجوارح، ومستحبُّها أحبُّ إلىٰ الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلىٰ الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلىٰ الخلق ونحو ذلك[١].

علىٰ أن تكون هذه العبادة كلها قائمة علىٰ شرطي القبول:

١- الإخلاص، الذي به يتحقق معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ١٢٠).

٢- المتابعة، التي بها يتحقق معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله.

وبهذا يتبين أن العبادة علىٰ الحقيقة والتحقيق هي الدين كله؛ فلما سأل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام المشتمل علىٰ عبادة الظاهر، والإيمان المشتمل علىٰ عبادة الباطن، والإحسان المشتمل علىٰ إحسان العبادة وتكميلها، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**فإنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ**»(١)(٢).

ووصف الله تَعَالَى أهل عبوديته في كتابه بما يشمل الدين كله من الاعتقادات، والعبادات الظاهرة والباطنة، وآداب السلوك والأخلاق، ومن ذلك:

١- قوله تَعَالَى في وصف العبودية الشاملة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٦٩]، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

٢- قوله تَعَالَى في وصف عبودية الاعتقاد: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الله وعدهم إياها وعدًا غائبًا، لم يشاهدوه ولم يروه، فآمنوا بها، وصدقوا غيبها،

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٨).

(٢) ينظر: العبودية، لابن تيمية (ص: ٤٧-٤٨)، ومدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٢٤).

وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها،... ويكون في هذا مدح له بإيمانهم بالغيب»[1].

٣- قوله تَعَالَى في وصف عبودية الباطن: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الصافات:٤٠]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه»[2]، وقوله سُبۡحَانَهُ: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ٦-١٠].

٤- قوله تَعَالَى في وصف عبودية الظاهر: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٧]، وقوله سُبۡحَانَهُ: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٦-٨].

٥- قوله تَعَالَى في وصف عبودية السلوك والأخلاق: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

فاللهمَّ اجعلنا من عبادك الصالحين، مع الذينَ أنعمتَ عليهِم مِنَ النبيينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ وحَسُنَ أولئكَ رَفِيقًا



(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ٧٠٣).

المجيدُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المجد: الكرم، والمجيد: الكريم، وقد مَجُد الرجل بالضم، فهو مجيد وماجد، قال ابن السكيت: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد: له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، وتماجد القوم فيما بينهم، وماجدته فمجدته أمجده، أي: غلبته بالمجد... والتمجيد: أن ينسب الرجل إلىٰ المجد...»(١).

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مجد) الميم والجيم والدال أصل صحيح، يدل علىٰ بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود، منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه...»(٢).

ورود اسم الله المجيد في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المجيد) في القرآن مرتين، وذلك في قوله تعالىٰ:

١- قوله تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣].

(١) الصحاح (٢/ ٥٣٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٢٩٧).

٢- قوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤- ١٥].

ورود اسم الله المجيد في السنة النبوية:

ورد اسم الله المجيد في السنة النبوية، ومن وروده:

حديث كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ قَالَ: **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

معنى اسم الله المجيد في حقه تعالى:

يدور معنىٰ اسم الله المجيد في حق الله علىٰ ثلاثة معان، وهي:

١- كمال الذات والصفات مع سعتها وكثرتها.

٢- كثرة الإحسان للخلق.

٣- المنيع الذي لا يرام.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٣٣٧٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٠٦).

وحول هذه المعاني الثلاثة تدور أقوال العلماء:

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مجيد): ذو مجد ومدح وثناء كريم»(١).

❁ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالماجد في اللغة: الكثير الشرف، والله تَعَالَىٰ ذكره أمجد الأمجدين وأكرم الأكرمين»(٢).

❁ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]: «الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمود ممجد في صفاته وذاته»(٣).

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...المجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها»(٤)، وقال أيضًا: «والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلىٰ بقية أسمائه وصفاته»(٥).

❁ **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:**

وَهُوَ المَجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعْظِـ
يـمٍ فَشَانُ الوَصْفِ أَعْظَمُ شَانِ(٦)

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٢).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

(٥) الحق الواضح المبين (ص: ٣٣).

(٦) نونية ابن القيم (ص: ٢٠٣).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «(مجيد) كثير الإحسان إلىٰ عباده، بما يفيضه عليهم من الخيرات»[(١)].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❊ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...فكأن المجيد المبالغ في الكرم، المتناهي فيه»[(٢)].

❊ قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(المجيد) هو الواسع الكرم...»[(٣)].

❊ قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونوله، فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدًا، وهو الماجد- أيضًا- ولكن أحدهما أدل علىٰ المبالغة، وكأنه يجمع معاني اسم الجليل والوهاب والكريم»[(٤)].

❊ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه»[(٥)].

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الثاني والثالث:

- قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها المجيد: ومعناه المنيع المحمود؛ لأن

---

(١) فتح القدير (٢/ ٥١١).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٥٢).

(٣) شأن الدعاء (٧٤).

(٤) المقصد الأسنىٰ (ص: ١٢٣).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (٢ / ٩٥).

العرب لا تقول لكل محمود: مجيدًا، ولا لكل منيع: مجيدًا، أو قد يكون الواحد منيعًا غير محمود، كالمتآمر الخليع الجائر، أو اللص المتحصن ببعض القلاع، وقد يكون محمودًا غير منيع، كأمير السوقة والصابرين من أهل القبلة، فلما لم يقل لكل واحد منهما: مجيد؛ علمنا أن المجيد من جمع بينهما، فكان منيعًا لا يرام، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال، والباري جل ثناؤه يجل عن أن يرام وأن يوصل إليه، وهو مع ذلك محسن مجمل لا يستطيع العبد أن يحصي نعمته ولو استنفذ فيه مدته، فاستحق اسم المجيد وما هو أعلىٰ منه»(١).

اقتران اسم الله المجيد بأسماء الله تَعَالَى الأخرى في القرآن الكريم:

اقتران اسم الله المجيد باسمه الحميد:

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله المجيد:

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المجيد) من الصفات:

الله تَعَالَى المجيد، الذي له مجد الذات بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، وفعاله المحمودة، وأقواله الكريمة، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٦].

فأما أسماؤه فكلها مجد، كيف لا وقد بلغت من الحسن منتهاه، ومن الكمال أقصاه، ومن الدلالة علىٰ الصفات أعلاها قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا نقص فيها بوجه من الوجوه، بل لا أحسن منها

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٧).

ولا أكمل، فهي أحسن الأسماء، لا يسد غيرها مسدها، ولا يقوم مقامها، ولا يؤدي معناها»[1].

وأما صفاته فصفات مجد، فـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] له من هذه الصفات وغيرها من بقية صفاته التي بلغت من الكثرة ما لا يحصيه إلا الله، له منها أكملها وأتمها وأعمها، فلا عيب ولا نقص ولا قصور في شيء منها، ولا مماثلة لصفات المخاليق، بل هي على وجه يليق بجلال الله ومجده[2]، قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: له كل صفة كمال، حتى قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: «كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى»[3].

فحياته حياة كمال لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء ولا زوال، ولا يعتريها نقص ولا ضعف، ولا يتخللها سنة ولا نوم، وعلمه كمال لم يسبقه جهل، ولا يطرأ عليه، بل لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ولو دق وصغر، وبصره كمال يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٠٢).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص ٩٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٤٠).

الليلة الظلماء، وسمعه كمال يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تفنن الحاجات، ورحمته كمال فلا ضعف معها ولا حد، وسعت كل شيء، وحكمته كمال عمت كل مخلوق فلا عبث ولا لهو، وقدرته كمال في كل حال وآن لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، وقوته كمال لا ضعف معها ولا وهن، وعزته كمال لا غالب لها ولا ممانع، جل عن أن يرام أو أن يوصل إليه، وجماله لا حد ولا منتهىٰ له، لو كشف حجابه لأحرقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، وهكذا في بقية صفاته أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلىٰ[١].

وأما أفعاله فأفعال مجد وحمد، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣] دائرة بين الفضل والرحمة والعدل والحكمة، فما من نعمة عطاء ودفع ظاهرة ولا باطنة، صغيرة ولا كبيرة مما يعرف العباد ومما لا يعرفون إلا بفعله وإحسانه وبره، فالإحسان له ومنه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣][٢]، وما من نقمة وبلية تنزل بالعبد إلا بفعله العدل الحكيم، فليس في أفعاله سُبْحَانَهُ ظلم ولا جور ولا شر ولا سفه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، أي: «علىٰ عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويثنىٰ عليه بها»[٣].

وأما أقواله فأقوال مجد وشرف، وصدق وعدل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٤٦)، والحق الواضح المبين (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٨٤).

تكلم بالقرآن المجيد، قال تَعَالَىٰ: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ [البروج: ٢١] حوىٰ من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، ومن العلوم علم الأولين والآخرين، كثير الوجوه، كثير البركات، جزيل المبرات(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقررًا ما سبق: «تمت كلماته صدقًا وعدلًا، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهًا ومثلًا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئًا من الذوات أصلًا، ووسعت الخليقة أفعاله عدلًا، وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلًا، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد...أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنىٰ، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل»(٢).

وبعد هذا علم أنه لا مجد إلا مجده ولا عظمة إلا عظمته، ولا جلال ولا جمال ولا كبرياء إلا جلاله وجماله وكبرياؤه، كل مجد لغيره فهو منه عطاء وفضل، تفرد بالكمال المطلق الذي لا يمكن للعباد أن يحيطوا بشيء منه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، وقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٣).

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٠٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٤٤).

(٣) سبق تخريجه.

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (المجيد) علىٰ التوحيد:

في اسم الله (المجيد) دلالة علىٰ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بصفات الكمال؛ «فإن من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيدًا بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مجيدًا وهو معطل عن الأوصاف والأفعال، تَعَالَىٰ الله عما يقول المعطلون علوًّا كبيرًا»(١).

بل فيه دلالة علىٰ كثرة هذه الصفات وعظمتها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف نفسه بالمجيد، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها»(٢)، فليست صفاته محصورة بصفة أو صفتين ولا سبع ولا ثمان، بل لا تدخل تحت الحصر، ولا تحد بعدد معين كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدعاء: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»(٣)، وإذا عرف العبد هذا واعتقده؛ حقق شيئًا من توحيد الأسماء والصفات.

ثم إذا تأمل في هذا الاسم وما فيه من الكمال، لا سيما في الصفات والأفعال، علم أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فمن له العلم المحيط بكل الأشياء والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة هو الجدير بالعبادة والذل والخضوع،

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢ / ٩٥).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٩٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث(٤٤٠٤)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث (١٢٤) .

قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الآيات [الحشر: ٢٢].[1]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا»[2].

ومن بيده العطاء ومنه النعماء والبر والإحسان هو المستحق أن يُعبد ويُحَب، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٧-١٨].

وكل مَن دونه ناقص من جميع الوجوه، فلا أوصاف كمال ولا شيء من الإنعام، فكيف يُتعلق به ويسوّىٰ بينه وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها؟![3].

الأثر الثالث: محبة الله المجيد:

إذا نظر العبد في اسم الله (المجيد) نظر المتأمل المتفكر امتلأ قلبه حبًّا لله المجيد؛ إذ النفوس فطرت علىٰ حب من تكاملت صفاته، وتكامل عطاؤه

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٣٨).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨٥٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٣٨).

وإحسانه، والله المجيد كمل في صفاته، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وكمل في عطائه وإحسانه، قال تَعَالَى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وكمل في كل شيء، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]، بل له من ذلك الكمال أكمله وأبلغه وأوسعه، فمن كان كذلك كيف لا تحبه القلوب، وتهيم بذكره النفوس؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان إلىٰ الغير؛ فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم.

والله سُبْحَانَهُ له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يُحَب لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سُبْحَانَهُ»[(١)].

الأثر الرابع: تمجيد ما مجده الله عَزَّوَجَلَّ:

الإيمان باسم الله (المجيد) يدعو العبد إلىٰ تمجيد ما مجده ربه عَزَّوَجَلَّ؛ فقد مجد سُبْحَانَهُ نفسه العلية، ومجد كتابه، ومجد عرشه.

فأما تمجيده لنفسه:

فمجَّد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفسه في كتابه العزيز بما ذكر من أسمائه وصفاته وأفعاله، ومن أعظم آيات القرآن التي حوت ذلك آية الكرسي وسورة الإخلاص والفاتحة.

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ١٨٦-١٨٧).

ففي آية الكرسي- التي هي أعظم آية في القرآن- خمسة من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وفيها من صفات الله ما يزيد علىٰ العشرين صفة.

وسورة الإخلاص- التي تعدل ثلث القرآن- جاءت كلها معرفة بالله؛ إذ قالت قريش للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: انسب لنا ربك؟ فأنزلها الله وبين فيها صفاته.

وقال الصحابي صاحب السرية عنها: «لأنها صفة الرحمن»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[1]، وفي رواية: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[2].

وفي النصف الأول من سورة الفاتحة- التي هي أعظم سورة في القرآن- الثناء علىٰ الله وتمجيده؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**...- وفي رواية: **فَنِصْفُهَا لي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي- فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣]، **قالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فإذا قال:**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٥٤)، ووصله الترمذي، رقم الحديث (٢٩٠١)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١).

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦ – ٧]، **قال: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**[(١)].

وفي تمجيد الله لنفسه وثنائه عليها دعوة للعباد علىٰ أن يمجِّدوا ربهم، **وتمجيده** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يكون بأمور، منها:**

١– تلاوة القرآن المجيد وتدبره؛ فإن القرآن مليء بتمجيد الله وإجلاله، ولا أحد يحصي الثناء علىٰ الله وتمجيده كما أثنىٰ هو علىٰ نفسه، وفي حديث «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصَفَيْنِ...**» أن العبد إذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:٣]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: **أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي.**

وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، قال: **مَجَّدَنِي عَبْدِي**[(٢)]، فدل علىٰ أن تلاوة القرآن تمجيد لله عَزَّوَجَلَّ وثناء عليه.

٢– الثناء علىٰ الله بأسمائه وسؤاله بها؛ لأن كل أسماء الله وصفاته تمجيد له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقولنا: هو الله الواحد الأحد، الصمد، العزيز، الوهاب، الملك الأول، الآخر، الظاهر والباطن، الحميد، السميع، البصير؛ كل هذا من باب التمجيد لله عَزَّوَجَلَّ، وفي حديث «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ...**» جعل الله عَزَّوَجَلَّ قول: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤] تمجيدًا له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من العبد؛ فدل علىٰ أن من تمجيده وصفه والاعتراف له بالملك والقهر، والحكم يوم الدين والحساب، وهكذا في سائر أسمائه وصفاته.

٣– الصلاة؛ فالصلاة كلها قائمة علىٰ الثناء والتعظيم والتمجيد لله عَزَّوَجَلَّ، ففي قول: (الله أكبر) تمجيد، وفي الفاتحة تمجيد– كما سبق–، وفي الركوع

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٣٩٥).

تمجيد، وفي قول العبد بعد الرفع من الركوع: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» تمجيد بليغ، وفي السجود تمجيد، وفي التشهد ثناء ومجد، ويختم بقول: «إنك حميد مجيد».

وفي ختام التشهد باسم الله المجيد معنىٰ لطيف، نبه عليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «لما طلب للرسول حمدًا ومجدًا بالصلاة عليه، وذلك يستلزم الثناء عليه؛ ختم هذا المطلوب بالثناء علىٰ مرسله بالحمد والمجد، فيكون هذا الدعاء متضمنًا لطلب الحمد والمجد للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإخبار عن ثبوته للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[1].

٤- دوام ذكر الله، والثناء عليه بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير؛ فإن ذلك كله من التمجيد له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وجاء في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَه**- أو- **لَا يَزَالُ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[2]، وعن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ**، قال: **فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**، قال: **فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ**،

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ٣٢٠).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٦٥٣)، وأخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٩)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٩).

وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قال: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قال: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟ قال: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قال: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قال: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قال: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قال: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟، قال: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قال: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قال: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قال: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قال: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[١]، فإذا كان جليسهم لا يشقىٰ، فكيف الشأن بهم؟!»[٢].

وأما تمجيده للقرآن:

فقد قال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، قال قتادة-: «أي: قرآن كريم» فالقرآن شريف كريم عظيم، ولا غرابة في ذلك؛ فإنه كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

(٢) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (١/ ٤٣٥).

ومجده راجع إلىٰ عدة أمور، منها:

١- فصاحته وبلاغته، وحسن تراكيبه ونظمه، فألفاظه بلغت المنتهىٰ في الفصاحة، ونظمه في غاية الإحكام، حتىٰ إن العرب علىٰ ما هم عليه من الفصاحة وشدة العداوة للدين ما استطاع أحد منهم أن يعيب القرآن في لفظ من ألفاظه بل قال قائلهم لهم بعد سماعه للقرآن: «فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته»[1].

٢- معانيه الواسعة، وعلومه الغزيرة الشاملة لكل شيء، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتمل علىٰ كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[2].

٣- عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، بل ولا سورة من مثله ولو اجتمعوا وتآزروا، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فأنىٰ لمخلوق ناقص من جميع الوجوه، ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية، لصالح آل الشيخ (ص: ١٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٤).

والسماوات، المطلع علىٰ سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله[1].

٤- حفظه وصيانته من الشياطين وكيد الكفار والمنافقين والحاقدين من أن يغيروا ألفاظه أو يزيدوا فيها أو ينقصوا، أو أن يبدلوا معانيه ويحرفوها، قال تَعالَى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢]. [2]

قال يحيىٰ بن أكثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان للمأمون- وهو أمير إذ ذاك- مجلس نظر، فدخل في مجلسه رجل يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام، قال: فلما أن تقوض المجلس، دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟: قال نعم! قال له: أسلِم حتىٰ أفعل بك، وأصنع، ووعده، فقال: ديني، ودين آبائي، فانصرف، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، قال: فتكلم علىٰ الفقه، فأحسن الكلام.

فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون، فقال له: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلىٰ! قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنا مع ما تراني حسن الخط فعمدت إلىٰ التوراة، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلىٰ الإنجيل، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها، ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلىٰ القرآن فعملت

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٦٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٢٩).

ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلىٰ الوراقين، فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة، والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيىٰ بن أكثم: فحججت في تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الحديث، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله عَزَّوَجَلَّ في التوراة، والإنجيل ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، فجعل حفظه إليهم، فضاع، وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فحفظه الله عَزَّوَجَلَّ علينا فلم يضع»[(١)].

٥- حصر الخيرية فيمن تعلمه وعلمه؛ فعن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(٢)].

٦- رفعة الله لمن عمل به، واتخذه دينًا ومنهجًا، وخفضه وذله لمن تركه وراء ظهره، ورأىٰ أن العمل به رجعية وتخلف وجمود؛ فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ - فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَىٰ قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَىٰ؟ قَالَ: مَوْلًىٰ مِنْ مَوَالِينَا . قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًىٰ، قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[(٣)].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨١٧).

وكذا في الآخرة يرفع صاحبه درجات في الجنة، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَاهِرُ بالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامةِ، فيقولُ: يا ربُّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا رَبِّ ارْضَ عنه فيرضَىٰ عنه، فيقالُ له: اقرأْ وارقَ وتُزَادُ بكلِّ آيةٍ حسنةً**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارقَ، ورتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ في الدنيا؛ فإنَّ منزِلَتَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٣).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن علىٰ قدر درج الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج علىٰ قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفىٰ قراءة جميع القرآن استولىٰ علىٰ أقصىٰ درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج علىٰ قدر ذلك، فيكون منتهىٰ الثواب عند منتهىٰ القراءة»(٤).

٧- إكرام الله لصاحبه؛ فقد جعله من أهله وخاصته، كما جاء عن أنس

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٩١٥)، والحاكم، رقم الحديث: (٢٠٣٦)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩١٥).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٦٩١٧)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٤٦٤)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (١٤٦٤).

(٤) معالم السنن، للخطابي (١/ ٢٨٩).

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[1]، قال المناوي رَحِمَهُٱللَّهُ: «(هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ) أي: المختصون به، بمعنىٰ: أنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله»[2].

وأما تمجيده للعرش:

فالله المجيد، لا يختار لنفسه إلا الأفضل والأكمل والأتم، قال سُبۡحَانَهُ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] بقراءة الجر، أي: العظيم العالي علىٰ جميع الخلائق، والذي من عظمته أنه وسع السماوات والأرض، فهي بالنسبة إلىٰ العرش كحلقة ملقاة في فلاة بالنسبة لسائر الأرض[3].

الأثر الخامس: ثواب من مجد الله:

لما دعا الله (المجيد) عباده لتمجيده رغبهم في ذلك بما أعد لهم من الثواب والجزاء، فجعل لمن مجده الرفعة والذكر الحسن جزاء له من جنس عمله، ويتضح هذا جليًّا في خليل الله إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ الذي مجد ربه، وأجلَّه بالتوحيد والبراءة من الشرك ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨- ٧٩]، فأعلىٰ الله ذكره وجعل له لسان صدق في العالمين،

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٢٤٣٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢١٦٥).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٦٨١).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢)، تفسير السعدي (ص: ٩١٩).

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١١٠]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩- ٥٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا- أيضًا- من الرحمة التي وهبها لهم؛ لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(١).

فكان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مقبولًا معظَّمًا مثنًىٰ عليه، في كل الأوقات، وفي جميع الملل، حتىٰ أن اليهود الذين من عادتهم قتل الأنبياء والكفر بهم أحبوه وادعوا أنه منهم، وكذا النصارىٰ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وكان من أفضل المرسلين، ومن أولي العزم من الرسل، واتخذه الله خليلًا، حتىٰ صار يدعىٰ بذلك، فيقال: خليل الرحمن، وجعل ذكره ركنًا من أركان الصلاة، لا تصح بدونه(٢).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٩٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٩٣).

وليس هذا خاصًّا بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل معه محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، الذي مجد ربه بالتوحيد ونصرة الدين وإعلاء كلمته، فجزاه الله من جنس عمله فرفع ذكره في العالمين، قال تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فجعل ذكر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرونًا بذكره في الشهادة، قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله[1].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله[2].

ورفع ذكره في الصلاة بالدعاء له بالثناء والبركة؛ فعن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «سألنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: **قُولُوا: اللهمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[3].

ورفع ذكره في كل عبادة؛ إذ كل عبادة لا تصح إلا بالإخلاص والمتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن المعلوم أن فاعل العبادة يستحضر أنه متبع فيها

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سبق تخريجه.

لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من رفع ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ورفع ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حينما أخذ الميثاق علىٰ جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].[2]

وكل هذا يدعو العبد ويحثه علىٰ تمجيد ربه وتعظيمه، جعلنا الله ممن يمجده ويعظمه حق تعظيمه.

فاللهم يا مجيد مُنَّ علينا بالتقوىٰ، وألهمنا تسبيحك وتمجيدك!



(١) ينظر: تفسير ابن عثيمين لجزء عم (ص: ٢٤٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠).

المُستعانُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العون: الظهير علىٰ الأمر، والجمع: الأعوان»(١).

❊ **قال الأزهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الليث: كل شيء أعانك فهو عون لك؛ كالصوم عون علىٰ العبادة والجمع: الأعوان، قال: وتقول: أعنته إعانة، واستعنته، واستعنت به، وعاونته، وقد تعاونًا، أي: أعان بعضنا بعضًا»(٢).

ورود اسم الله (المستعان) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (المستعان) مرتين في كتاب الله، ووروده علىٰ ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

(١) الصحاح (٧/ ١٩).

(٢) تهذيب اللغة (٣/ ١٢٨).

ورود اسم الله (المستعانِ) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (المستعان) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عُودٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** فَذَهَبْتُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: **افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**، فَإِذَا عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ أَوْ تَكُونُ** فَذَهَبْتُ، فَإِذَا عُثْمَانُ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ، قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ»[1].

معنى اسم الله (المستعان):

❊ **قال الطبري**: «وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] يقول: والله أستعين علىٰ كفايتي شر ما تصفون من الكذب»[2].

❊ **قال القرطبي**: «فالمستعان معناه: الذي لا يَطلب العون، بل يُطلب منه، وهو مستفعل من العون، وهو وصف ذاتي لله تَعَالَى راجع إلىٰ صفة القوة، وفيه معنىٰ الإضافة الخاصة لمن استعانه من عباده علىٰ طاعته»[3].

فالمستعان هو المعتمد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٦١٦).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠).

(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، القرطبي (١/ ٥٤٥-٥٤٦).

اقتران اسمِ الله (المستعانِ) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يأت اسم الله (المستعان) مقترنًا بغيره من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (المستعانِ):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (المستعان) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الله سُبْحَانَهُ هو المعين لعباده، فلا يُطلب العون ولا القوة المطلقتان إلا منه سُبْحَانَهُ؛ لكمال وعظمة أسمائه وصفاته، فكل من في الأرض والسماء دونه عاجز، يقول تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]، **يقول ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه»[(١)].

وقال سُبْحَانَهُ فيما يستدل به علىٰ انفراده واستحقاقه للاستعانه وحده: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[الإسراء: ١١١].

فحمد الله نفسه المقدسة، بأنه الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، لاشريك له في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، فهو العزيز الذي لايحتاج إلىٰ ولي، أو وزير، بل هو الله الواحد القهار، وكل

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٦).

خلقه بحاجة إلىٰ الاستعانة به، فلا قيام ولا حياة ولا وجود لهم إلا به، وبقدرته وقوته لا شريك له.

وعليه فمن استعان بالخلق وأعرض عن الخالق، فهو المغبون الهالك، فلا هو حفظ كرامته، ولا حصل غايته[1].

وهذا من أعظم الأدلة علىٰ أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، فما يمس العباد من فقر ومرض ونحوه لا يرفعه إلا الله؛ لأن الخلق لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروا أحدًا، لم يقدروا علىٰ شيء من ضرره، إذا لم يرده الله، ولهذا قال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر:٢].

الأثر الثاني: محبة الله المستعان:

الله تَعَالَىٰ هو المستعان، الذي لا يَطلب العون، بل يُطلب منه العون، ويستعين به الخلق كلهم، فلا حول ولا قوة لأحد في السماوات ولا في الأرض إلا بإعانته سُبْحَانَهُ، فهو المتفضل علىٰ العباد بالإعانة والإمداد، كما تفضل عليهم بالخلق والإيجاد، لا يذل من أكثر طلبه، بل يعزه ويعظم قدره، **يقول شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبد كلما كان أذل لله، وأعظم افتقارًا إليه، وخضوعًا له كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره؛ فأسعد الخلق أعظمهم عبوديةً لله،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٣٣).

وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلىٰ من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلىٰ من شئت تكن أميره، ولقد صدق القائل:

بَيْـنَ التَّذَلُّـلِ والتَّدَلُّـلِ نُقْطَـةٌ   فِـي رَفْعِهَـا تَتَحَيَّـرُ الأَفْهَـامُ»[1]

فكيف لمن عرف هذا عن ربه، ألا يحبه، ويستغني به عن عموم خلقه!

الأثر الثالث: إعانة الناس وقضاء حوائجهم:

فكما تكون لعباد الله يكون الله لك، وكما تحب أن يعاملك الله سُبْحَانَهُ فعامل الناس، فارحم الناس ليرحمك الله، واستر الناس ليسترك الله، وأعن الناس علىٰ حوائجهم يعنك الله، وفرج كرب إخوانك المسلمين يفرج الله عنك، فكما تدين تدان، والجزاء من جنس العمل، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٠).

الأثر الرابع: دعاء الله المستعانِ:

فإن من هدي رسولنا وقدوتنا ﷺ كثرة الدعاء وصدق الطلب، **فعن أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال:** «**دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، تَقُولُ: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**»(١)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان النبي ﷺ يدعو: **رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ، اللهمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»(٢).

وفي دعاء الاستخارة منهج دوام الاستعانة بالله، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٢١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٧٩)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الأدب المفرد، رقم الحديث: (٦٧٩).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٢٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٥١٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥١٠).

الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ،...**»[1].

اللهم ارزقنا صدق الاستعانة بك، فلا حول ولا قوة لنا إلا بك.



---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٣٩٠).

«الاستعانة بالله»



في موضوع الاستعانة سنتطرق للمسائل التالية:

أولًا: تعريف الاستعانة:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستعانة: طلب العون من الله، ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور»(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه؛ فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره، مع ثقته به؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلىٰ اعتماده عليه، مع أنه غير واثق به»(٢).

ثانيًا: منزلة الاستعانة:

الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ هي رفيقة المسافر إلىٰ ربه، فبها يهدىٰ السبيل، وبها يبدأ المسير، وبها يكون الثبات، وبها يبلغ الغايات، فهي ضرورة؛ لينال العبد السعادة والغنىٰ عن كل ما سوىٰ الله، ولينال راحة القلب، واطمئنان النفس، فإذا فقدها فقد سعادته، وكان فقره بين عينيه، وذله للخلق مستوليًا عليه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١/ ١٠٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٩٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العبد مجبول علىٰ أن يقصد شيئًا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده»،... إلىٰ أن قال: «والناظر في أحوال الخلق يجد أن النفس لا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها، وهو مستعانها، سواء أكان ذلك هو الله أم غيره، وإذا كان المستعان غير الله فقد يكون عامًّا، وهو الكفر، كمن عبد غير الله مطلقًا أو سأل غير الله مطلقًا، وقد يكون خاصًّا في المسلمين ممن غلب عليهم حب المال أو حب شخص أو حب الرياسة أو غير ذلك، بحيث يعتمد عليها ويستعين بها، وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة! وصلاح العبد في عبادة الله واستعانته به، ومضرته وهلاكه وفساده في عبادة غير الله والاستعانة بما سواه، وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدًّا؛ بل هو قلب الإيمان، وأول الإسلام وآخره، وهذا هو دين الإسلام العام الذي بعث به جميع الرسل، فلا يصرف لغير الله شيء من أنواع العبادة والاستعانة؛ إذ إن أنواع العبادة متعلقة كلها بألوهيته، والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره، لا ملك ولا نبي ولا غيره»[1].

ولو تأمل العبد حاجته إليها لعرف أنها ليست فقط في دنياه، بل حتىٰ عند الموت، وبعده من أهوال البرزخ، ويوم القيامة، ولا يقدر علىٰ الإعانة علىٰ ذلك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا فالمؤمن لا يقدم خطوة في طريق العبودية إلا إن سبقها بخطوة في طريق الاستعانة بالله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبودية محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها علىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٤).

التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها علىٰ عبودية أخرىٰ، وهكذا أبدًا، حتىٰ يقضي العبد نحبه»[1].

وهذا يقود للمسألة التالية، وهي: لم قدمت العبادة علىٰ الاستعانة في الفاتحة؟

ثالثًا: لم قدمت العبادة على الاستعانة:

أشار الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أسباب عدة في تقديم العبادة علىٰ الاستعانة، في آية الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وهي كالتالي:

١) العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها؛ ومن ثم يكون ذلك من قبيل تقديم الغايات علىٰ الوسائل.

٢) ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ متعلق بألوهيته سُبۡحَانَهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ متعلق بربوبيته.

٣) تقديم العبادة علىٰ الاستعانة يتناسب مع تقديم اسم «الله» علىٰ لفظ «الرب» المذكورين في أول السورة؛ حيث إن ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قسم الرب، فكان من الشطر الأول، الذي هو ثناء علىٰ الله تَعَالَىٰ؛ لكونه أولىٰ به، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قسم العبد، فكان من الشطر الذي له، وهو ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] إلىٰ آخر السورة.

٤) العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٨).

عبودية تامة: مستعين، ولا ينعكس الأمر؛ لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به علىٰ شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم؛ ولهذا كانت قسم المولىٰ عَزَّوَجَلَّ.

٥) الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس، فقدم الكل علىٰ الجزء.

٦) الاستعانة طلب منه سُبْحَانَهُ، والعبادة طلب له، فقدم ما هو له علىٰ ما هو منه.

٧) العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص؛ ومن ثم قدم ما هو محض الإخلاص.

٨) العبادة حق الله الذي أوجبه علىٰ العبد، والاستعانة طلب العون علىٰ العبادة؛ وذلك بيان لصدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته، فكان ذلك من باب تقديم الأهم علىٰ المهم.

٩) العبادة شكر لنعمة الله علىٰ العبد، والله يحب أن يشكر، والإعانة فعل الله لعبده وتوفيقه له، فمن التزم عبوديته، ودخل تحت رقها أعانه الله عليها، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة له من الله أعظم؛ ومن ثم فإن في تقديم العبادة تقديمًا للسبب علىٰ المسبب.

١٠) ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] به، والذي له مقدم علىٰ ما به؛ لأن ما له: متعلق بمحبته ورضاه، والذي يكون به: متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته؛ إذ الكون كله متعلق بمشيئته كذلك، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي، والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته،

والمؤمنون أهل محبته؛ ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبدًا، وكل ما فيها فإنه به تَعَالَى وبمشيئته[1].

رابعًا: أقسام الاستعانة:

الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله: وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله تَعَالَى، ودليلها قوله تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ووجه الاختصاص: أن الله تَعَالَى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾، وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وعلىٰ هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تَعَالَى شركًا مخرجًا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق علىٰ أمر يقدر عليه: فهذه علىٰ حسب المستعان عليه كالتالي:

- إن كانت علىٰ بر: فهي جائزة للمستعين، مشروعة للمعين؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

- إن كانت علىٰ إثم: فهي حرام علىٰ المستعين، والمعين؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

- إن كانت علىٰ مباح: فهي جائزة للمستعين، والمعين، لكن المعين قد يثاب علىٰ ذلك ثواب الإحسان إلىٰ الغير؛ ومن ثم تكون في حقه مشروعة؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٧٥-٧٧).

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر: فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف علىٰ حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا، أو بالأحياء علىٰ أمر غائب لا يقدرون علىٰ مباشرته: فهذا شرك؛ لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون.

خامسًا: تقسيم الناس بحسب الاستعانة:

التعبد باسم الله (المستعان) يوجب علىٰ العبد أن يستعين به في كل أحواله، ولكن الناس في الاستعانة بالله تَعَالَىٰ علىٰ أقسام.

ذكر الإمامان ابن تيمية، وابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ طرفًا من هذه الأقسام، فتحدث كل منهما عن جهة للتقسيم، ومن الأولىٰ بنا أن نذكر كلام الإمامين؛ لتتكامل لدينا الصورة، وتتضح معالـمها.

وقد تكلم الإمام ابن القيم عن أقسام الناس في عبادة الله والاستعانة به، وقسمهم إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

أجلُّها وأفضلُها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها؛ ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب عَزَّوَجَلَّ الإعانة علىٰ مرضاته، وهو الذي علمه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لـحِبه معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فعن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: «لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: **يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ . قَالَ: **فَإِنِّي أُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: اللهمَّ أَعِنِّي**

عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[(١)]؛ فأنفع الدعاء طلب العون علىٰ مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها علىٰ هذا، وعلىٰ دفع ما يضاده، وعلىٰ تكميله وتيسير أسبابه، فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه-: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو: سؤال العون علىٰ مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

ومقابل هؤلاء: القسم الثاني، وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة ولا استعانة، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلىٰ حظوظه وشهواته، لا علىٰ مرضاة ربه وحقوقه؛ فإنه سُبْحَانَهُ يسأله من في السماوات والأرض، يسأله أولياؤه وأعداؤه، ويمد هؤلاء وهؤلاء، وأبغض خلقه عدوه إبليس، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها، ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا له علىٰ مرضاته، بل كانت زيادة له في شقوته، وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به علىٰ أمر وسأله إياه، ولم يكن عونًا علىٰ طاعته كان مبعدًا له عن مرضاته، قاطعًا له عنه ولا بد.

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها هلاكه وشقوته، ويكون قضاؤه له من هوانه عليه، وسقوطه من عينه، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له، فيمنعه حماية وصيانة وحفظًا، لا بخلًا، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته، ويعامله بلطفه، فيظن- بجهله- أن الله لا يحبه ولا

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٢٢٥٥٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (١٥٢٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥٢٢).

يكرمه، ويراه يقضي حوائج غيره، فيسيء ظنه بربه، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان علىٰ نفسه بصيرة، وعلامة هذا حمله علىٰ الأقدار، وعتابه الباطن لها، كما قيل:

وَعَاجِـزُ الـرَّأْيِ مِضْيَـاعٌ لِفُرْصَتِـهِ حَتَّىٰ إِذَا فَـاتَ أَمْرٌ عَاتَـبَ القَـدَرَا

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، **وهؤلاء نوعان:**

أحدهما: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له علىٰ الفعل؛ فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق، وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوىٰ بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سُبْحَانَهُ وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر، فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لا استعانة معه، فهم موكولون إلىٰ أنفسهم، مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبُه توحيدَه.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول علىٰ المحرك الأول.

فلم تنفذ قوىٰ بصائرهم من المتحرك إلىٰ المحرك، ومن السبب إلىٰ المسبب، ومن الآلة إلىٰ الفاعل، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم، فقل نصيبهم من: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير، بحسب استعانتهم وتوكلهم، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكل العبد علىٰ الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورًا بإزالته لأزاله.

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه، واستعان به علىٰ حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه، وأنزلها به، فقضيت له، وأسعف بها، سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق، أو أحوالًا من كشف وتأثير وقوة وتمكين، ولكن لا عاقبة له، فإنها من جنس الملك الظاهر، والأموال لا تستلزم الإسلام، فضلًا عن الولاية والقرب من الله، فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر، والمؤمن والكافر، فمن استدل بشيء من ذلك علىٰ محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين، فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة دينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه، ويكرهه ويسخطه، فالحال من الدنيا كالمُلك والمال إن أعان صاحبه علىٰ طاعة الله ومرضاته، وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك العادلين البررة، وإلا فهو وبال علىٰ صاحبه، ومبعد له عن الله، وملحق له بالملوك الظلمة، والأغنياء الفجرة[1].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٩٩- ١٠٤).

سادسًا: كيف تحقق الاستعانة:

من معينات ووسائل تحقيق صدق الاستعانة بالله تَعَالَىٰ ما يلي:

١- صدق العبودية:

فكلما تعلقت القلوب بالله، وعلمت بأنه وحده المستعان، وانقطعت عن الخلق وما في أيديهم؛ كان ذلك دليلًا علىٰ صدق الاستعانة بالله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فإذا التزمت عبوديته أعانك عليها، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله أعظم»[1]، وهذا هو تحقيق معنىٰ قول العبد: (لا حول ولا قوة إلا بالله) والمعنىٰ: أن العبد لا يتحول حاله من حال إلىٰ حال، ولا قوة له علىٰ ذلك إلا بالله عَزَّوَجَلَّ»[2]، **وفي أحوال الأنبياء خير شواهد علىٰ ذلك، ومنها:**

- انقطاع قلب يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الخلق وتعلقه بالمستعان سُبْحَانَهُ، فرغم المصيبة الكبرىٰ التي يخبره أولاده بها يردد: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف:١٨]، فكانت إعانةُ الله له إخراجًا من البدو، ودخولًا علىٰ الابن، وقد اعتلىٰ خزائن مصر في صورة تسر الأب المكلوم، يقول تَعَالَىٰ في وصف ذلك: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص: ١٩٢).

- انفلاق البحر لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإطباقه علىٰ عدو الله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، ولكن موسىٰ الذي تلقىٰ الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون، فكانت النتيجة: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

- حال محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد خرج طريدًا ومعه صاحبه، لكن ثقته بربه واستعانته به جعلت السكينة تتنزل عليه، وجند الله تحميه، تأمل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠]، فالقوم علىٰ إثرهما يتعقبون، والصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يجزع- لا علىٰ نفسه ولكن علىٰ صاحبه- أن يطلعوا عليهما فيخلصوا إلىٰ صاحبه الحبيب، يقول له: لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحت قدميه، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أنزل الله سكينته علىٰ قلبه، يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»(١)، فكان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار، قال: تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التوبة:٤٠]، وظلت كلمة الله في مكانها العالي منتصرة قوية نافذة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٦٥٣) ومسلم، رقم الحديث: (٢٣٨١).

إن بين موسىٰ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرونًا طويلة، لكن الكلمة تتكرر (معي ربي).

٢- التزام الأعمال الصالحة:

لا سيما الصلاة والصبر، فقد أمر الله بالاستعانة بهما في أكثر من موضع، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

٣- الاستعانة بأوقات النشاط واستثمارها في الطاعة:

فالعبادة للمؤمن كالوقود الذي يحركه للإنتاج والعطاء والبذل، وأفضل أوقاتها أول الصباح وآخر الليل؛ بداية اليوم ونهايته، وفي الحديث الذي أخرجه البخاري: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»[١]، فالمقصود بالغداة: ما بين صلاة الفجر إلىٰ طلوع الشمس أول النهار، والدلجة: هي آخر الليل، فهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرة، فكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب مسافرًا إلىٰ مقصد، فنبهه علىٰ أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سار الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرىٰ السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وحُسن هذه الاستعارة: أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلىٰ الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٩).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٩٥).

٤- الدعاء وصدق الطلب:

فسؤال الله الإعانة لا يقتصر علىٰ أمر العبادة فحسب، وإنما يشمل الإعانة علىٰ قضاء جميع الحوائج، وقد كان هذا هدي رسولنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ جمع صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء للصحابة وقرنه بهذا الاسم، ففي الحديث عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «دعا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، فقال: **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[(١)].

وقد كانت هي وصيته لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن أعلن له صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبته له، فاختصر له وصية المحب في بضع كلمات، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أخذ بيدي النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **يَا مُعَاذُ!** قلت: لبيك، قال: **إِنِّي أُحِبُّكَ**، قلت: وأنا والله أحبك، قال: **أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِك؟** قلت: نعم، قال: **قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[(٢)].

كذلك الشأن في الاستخارة، وهي طلب خير الأمرين من الله المستعان، ومما ورد في ذلك عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كالسورة من القرآن: **إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أو قال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أو قال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[1].

وما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديد الحرص علىٰ تعليمهم إياها كما يعلمهم القرآن إلا لعظيم الحاجة إليها، يقول ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث: «ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لشدة حاجتهم إلىٰ الاستخارة في الحالات كلها، كشدة حاجتهم إلىٰ القراءة في كل الصلوات»[2].

٥- مساعدة الناس ومعاونتهم:

فإعانة الناس سبب في إعانة الله، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح صحيح البخارىٰ، لابن بطال (١٠ / ١٢٣).

(٣) سبق تخريجه.

الـمـلِك والمالِك والمليْك جَلَّجَلَالُهُ

المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملكت الشيء أملكه ملكًا... وملكت الشيء تمليكًا، أي: جعله ملكًا له، يقال: مَلّكه المال والمُلك، فهو مُملَّك... والملكوت من الملك، كالرهبوت من الرهبة، يقال: له ملكوت العراق وملكوة العراق أيضًا، مثال الترقوة: وهو الملك والعز، فهو مليك، وملك وملك، مثل فخذ وفخذ، كأن الملك مخفف من ملك، والملك مقصور من مالك أو مليك، والجمع: الملوك والأملاك، والاسم: الملك، والموضع مملكة، وتملكه، أي: ملكه قهرًا»[(١)].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عجينه، قوىٰ عجنه وشده، وملكت الشيء: قويته... ثم قيل: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكًا، والاسم الملك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة، فالملك: ما ملك من مال»[(٢)].

---

(١) الصحاح (٤/ ١٦٠٩).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥١).

وورود اسم الله (الملك - المالك - المليك) في القرآن الكريم:

- وورود اسم الملك في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الملك) خمسَ مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢].

- وورود اسم (المالك) في القرآن الكريم:

ورد اسم المالك مرة واحدة بالإضافة إلى الملك، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، ومرة بالإضافة إلى الدين في قوله تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]

- وورود اسم (المليك) في القرآن الكريم:

وورد اسم (المليك) مرة واحدة في كتاب الله، في قوله تَعَالَى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥].

وورود اسم الله (الملك - المالك - المليك) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الملك) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،**

حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ...»[(١)].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «يَقْبِضُ الله الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»[(٢)].

٣- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]»[(٣)].

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١٢)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١١)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٦).

معنى اسم الله (الملك - المالك -المليك) في حقه سُبْحَانَهُ:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه»[1].

❊ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مالك الملك الله تَعَالَى، يملك الملك، يعطيه من يشاء، وهو مالك الملوك، والملاك يصرفهم تحت أمره ونهيه، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع»[2].

❊ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله عَزَّوَجَلَّ مالك الأشياء كلها، ومصرفها علىٰ إرادته، لا يمتنع عليه منها شيء»[3].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال أصحاب المعاني: الملك: النافذ الأمر في ملكه؛ إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعم من المالك، والله تَعَالَى مالك المالكين كلهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تَعَالَى»[4].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك...وذلك مما يقتضيه الإبداع هو المخترع للشيء من العدم إلىٰ الوجود، فلا يتوهم أن يكون أحد أحق بما أبدع منه، ولا أولىٰ بالتصرف فيه منه»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٦٢).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٤٣).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٣٠).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٤).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الملك) فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنىٰ الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض الرافع، المعز المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الولي، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلىٰ غير ذلك من الأسماء العائدة إلىٰ الملك»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر:٢٣]: «المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة، ولا مدافعة»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملك المالك: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، ومماليك، ومضطرون إليه، فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنىٰ الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنىٰ كالعزيز، الجبار، المتكبر...»[3].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٧٩-٨٠).

الفرق بين الملك، والمالك:

اختلفت أقوال العلماء في الفرق بينهما: فقيل: (ملك): أعم وأبلغ من (مالك)؛ إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكًا، ولأن الـملك نافذ علىٰ المالك في ملكه، حتىٰ لا يتصرف إلا عن تدبير الملك.

وقيل: بل (مالك) أبلغ؛ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفًا وأعظم؛ إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك.

وقيل: المالك أبلغ مدحًا في حق الخالق، والملك أبلغ مدحًا في حق المخلوقين؛ لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تَعَالَىٰ مالكًا كان ملكًا[1].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر علىٰ ما يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلىٰ تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوىٰ من الملك في بعض الأمور، والملك أقوىٰ من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلىٰ الرب سُبْحَانَهُ أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله»[2].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ١٤٠)، وفتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٦).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٦).

اقتران اسم الله (الملك- المالك- المليك) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ فِي القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الملك) بأسمائه الأخرىٰ:

- اقتران اسم الله (الملك) باسم الله (الحق):

تقدم بيانه في اسم الله (الحق).

- اقتران اسم الله (الملك) باسم الله (القدوس):

تقدم بيانه في اسم الله (القدوس).

ثانيًا: اقتران اسم الله (المالك) بأسمائه الأخرىٰ:

لم يقترن اسم الله (المالك) بأي اسم من الأسماء الحسنىٰ.

ثالثًا: اقتران اسم الله (المليك) بأسمائه الأخرىٰ:

تقدم بيانه في أسماء الله (القدير)، و(القادر)، و(المقتدر).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الملك- المالك- المليك):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الملك، والمالك، والمليك) من صفات الله سُبْحَانَهُ:

الله الملك، والمالك والمليك علىٰ الحقيقة، قال تَعَالَى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وذلك أن ملكه راجع إلىٰ ثلاثة أمور:

١ - ثبوت صفات الملك له:

الملك يستلزم عدة صفات، منها: الحياة، والقوة، والقدرة، والغنىٰ، والعزة، والحكم النافذ، والتصرف التام، والقيام بشؤون المملكة وحفظها.

ولله جَلَّجَلَالُهُ من هذه الصفات أتمها وأكملها، فحياته حياة لا عدم معها، وقوته وقدرته لا ضعف ولا عجز معها، قال تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، وقال: سُبْحَانَهُ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١]، وغناه لا فقر ولا حاجة معه، وعزته لا غالب لها، وحكمه عام نافذ في الدنيا والآخرة، تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، وقيامه وحفظه لا غفلة معه ولا نسيان، قال تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومع هذا كله سلم وتقدس من آفات الملوك وملكهم، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣].

فملكه عام للخلائق، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزخرف:٨٥]، وعام للدنيا والآخرة، بل هو في الآخرة أظهر منه في الدنيا، قال تَعَالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣]، وذلك لأن في الدنيا هناك من يدعي الملك بخلاف الآخرة، فلا يدعيه أحد؛ إذ الكل حشر حافيًا عاريًا غُرلًا بُهْمًا، لا يملك شيئًا، كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤]، فلا يرىٰ مَلِكًا ولا مالكًا ولا حاكمًا سواه تَبَارَكَوَتَعَالَى، حتىٰ أنه

جَلَّجَلَالُهُ يقبض الأرض والسموات بيمينه، **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ**(١). **أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**(٢)، وينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦](٣).

وملكه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ دائم لا يزال ولا يزول، ولا ينقص ولا ينفذ بكثرة العطاء والجود، كما جاء في الحديث القدسي: «... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**...» الحديث(٤).

وملكه قائم علىٰ علم محيط بالدقيق والجليل، وحكمة بالغة، ورحمة تامة، وأمان من الظلم والجور والغدر والكيد، قال تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٣](٥).

٢- جميع الخلق مماليك له:

العالم العلوي والسفلي وما فيهما من ملوك وملاك، ورؤساء ومرؤسين، وجبارون ومتكبرون الكل ملك وعبيد لمالك الملك تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ:

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٤١٢)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٨١٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٨٧).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤)، وتفسير السعدي (ص: ٣٩).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٤)، والتحرير والتنوير (٢٨/ ١٢٠-١٢١).

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢].

فالجميع مفتقر إليه مضطر إلىٰ ملكه قيامًا وتدبيرًا وحكمًا، وليس لأحد منهم الخروج عن ملكه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]، ولا الاستغناء عنه طرفة عين.

٣- تصرفه الحق في ملكه:

فلله الملك جَلَّجَلَالُهُ تدبير شؤون مملكته علويها وسفليها، وتصريف أمورها بما يريد، لا يخرج شيء عن تصريفه وتدبيره، ولا يملك أحد منعه أو رده أو تعقبه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورىٰ: ٤٩- ٥٠].

ومن تصرفاته في مملكته ما حكم به من أحكام: قدرية، وشرعية، وجزائية؛ فإن الملك يقتضي عدم ترك ملكه سدىٰ وهملًا، لا قضاء، ولا أمرًا ولا نهيًا، ولا ثوابًا ولا عقابًا.

١- فأحكامه القدرية التي جرت أمور مملكته إيجادًا وإعدادًا، وإحياء وإماتة وغير ذلك علىٰ مقتضىٰ ما قضىٰ وقدر، قال تَعَالَىٰ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ١١٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام، والإهانة والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦- ٢٧]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويكشف غمًّا، وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالمًا، ويفك عانيًا، ويغنىٰ فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفىٰ مريضًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، ويعطىٰ سائلًا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرىٰ، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلىٰ مواقيتها، فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه، وجرىٰ به قلمه، ونفذ فيه حكمه، وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده تصرف مَلِك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، فتصرُّفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك»[1].

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٢٣).

٢- وأحكامه الشرعية التي بها أنزل الكتب، وأرسل الرسل، هادية ومرشدة لما فيه صلاح المملكة وقوامها؛ قال تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٣- وأحكامه الجزائية التي يحكم بها علىٰ مماليكه وعبيده بالثواب والعقاب بحسب ما شهد عليهم من عمل، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٦].

فلله الحمد في ملكه وخلقه وحكمه وفي أفعاله وصفاته كلها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير».

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الملك) علىٰ التوحيد:

إذا تعرف العبد علىٰ اسم الله (الملك) وتيقنه؛ قاده ذلك لتوحيد الملك جَلَّجَلَالُهُ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

فأما ربوبيته: فيتيقن أن الله الملك وحده مالك الكون ومن فيه بلا مشارك ولا معين ولا وزير ولا مشير، بل هو تَعَالَى مالك الأشياء وحده، خالقها ومقدرها ومدبرها، قال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال سُبْحَانَهُ:

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].(١)

وأما ألوهيته: فالله الملِك، وما سواه مملوك لا يملك شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا، حتىٰ ولا القطمير، ولا مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، قال تَعَالَى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] لا علىٰ وجه الاستقلال يملكونها، ولا علىٰ وجه الشركة للملك، بل ولا حتىٰ المعونة والمؤازرة له فيها.

كما أنهم لا يملكون الشفاعة، قال تَعَالَى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، فمن كان هذا حاله لا يستحق أن يُصرف له شيء من العبادة(٢)، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله؛ لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا كان من يدعوه (غير الله)، لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة ضلالًا في العقل، باطلة في الشرع»[1].

وأما أسماؤه وصفاته: فاسم الله الملك جَلَّجَلَالُهُ متضمن لجملة من أسمائه وصفاته، فمن أثبت هذا الاسم الكريم لزمه أن يثبت ما يتضمنه من عزة وجبروت وكبرياء وحكم وخفض ورفع، وإعزاز وإذلال، إلىٰ غير ذلك من الأسماء والصفات العائدة إلىٰ الملك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من أسمائه: (الملِك)، ومعناه: الملْك الحقيقي ثابت لهسُبْحَانَهُ بكل وجه، وهذه الصفات تستلزم سائر صفات الكمال؛ إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهي؛ ولا يثيب ولا يعاقب؛ ولا يعطي ولا يمنع؛ ولا يعز ولا يذل؛ ولا يهين ولا يكرم؛ ولا ينعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يرسل الرسل إلىٰ أقطار مملكته، ولا يتقدم إلىٰ عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟»[2].

الأثر الثالث: تعلق القلب بالملك المالك المليك:

إذا تأمل العبد في اسم الله (الملك، المالك، المليك) جَلَّجَلَالُهُ وما فيه من سعة، وعظمة، وكمال، ثم تأمل ونظر في نفسه وما فيه من فقر وحاجة وضعف وعجز؛ تعلق قلبه بالملك: خوفًا، ورجاء، وتوكلًا.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٧٨).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٢٠).

فاليقين بأن الله الملك نواصي العالمين بيده يتصرف فيهم كيف شاء، ليس لأحد منهم الخروج عن ملكه وسلطانه يبعث في النفوس الشعور بالخوف والمهابة للملك وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فإن كل من دونه مملوك مذلل لا يملك شيئًا من الضر، فالخوف منه وهم باطل؛ لذا لما هدد قوم عاد نبيهم هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال متحديًا لهم، ذاكرًا صفة الملك والقهر لله تَعَالَى، معرِّضًا بأنهم لا يملكون شيئًا من الضر إلا بإذنه: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

واليقين بأن الله الملك الذي بيده خزائن السموات والأرض لا تنفذ ولا تنقص، ولا يعجزه ولا يمنعه شيء عن إيصالها لمملوكيه، قال تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦] يبعث في النفوس الشعور بالرجاء والطمع فيما عند الملك وحده دون ما سواه؛ فإن من دونه لا يملك شيئًا، فرجاؤه باطل، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، مقررًا هذا المعنىٰ وما قبله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ علىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

ثم إن اليقين بقوله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٢٠] مع فقر العبد

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٢٥١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٥١٦).

وحاجته للملك في وجوده، وحركاته، وسكناته؛ يبعث في النفوس الاعتماد والتوكل علىٰ الملك جَلَّجَلَالُهُ في جلب المنافع ودفع المضار.

ثم إذا حصل هذا اليقين فليعلم العبد أن الملك جَلَّجَلَالُهُ يحب أن يلوذ به مملوكه ويفزع إليه يستعيذ ويستغيث به في الشدائد والنوائب، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو ملكهم الحق الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم، فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره، فليس لهم مَلِك غيره يهربون إليه إذا دهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم»(١).

وقال في موضع آخر: «كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها: أن يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون، يحب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم... والمقصود: أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه؛ وأن يعوذوا به، كما أمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه...»(٢).

الأثر الرابع: محبة الله تَعَالَىٰ الملك المالك المليك:

إذا علم العبد أن الله الملك لجميع الأشياء، المتصرف في ملكه بلا ممانعة ولا مدافعة، المنزه عن نقائص الملوك وآفات الملك، اقترن ملكه

---

(١) التفسير القيم (ص: ٦٦٠).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٤٠).

بعلمه، وحكمته، ورحمته، وبره، وإحسانه، وعدله؛ امتلأت القلوب بحبه ووده، خاصة أن النفوس تميل إلىٰ حب صاحب الملك والملكوت والغنىٰ.

الأثر الخامس: التذلل والخضوع لله الملك المالك المليك:

التفكر في اسم الله (الملك- مالك الملك) وما فيه من عزة وجبروت وكبرياء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] يجعل كل من ملك شيئًا في الدنيا صغر أو كبر يذل ويخر صاغرًا لجلال الملك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فماذا عسىٰ أن يملك من كان أمره وناصيته ونفسه بيد سيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه، يقلبه كيف يشاء، وحياته وموته، وسعادته وشقاؤه، وحركاته وسكناته بإذنه ومشيئته، إن وكله إلىٰ نفسه، وكله إلىٰ عجز وضعف وتفريط وذنب وخطيئة، وإن وكله إلىٰ غيره وكله إلىٰ من لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وإن تخلىٰ عنه استولىٰ عليه عدوه وجعله أسيرًا له، فلا غنىٰ له عنه طرفة عين(١).

ثم هذا الذل والصغار واستشعاره يثمر التواضع والخضوع بين يدي الله الملك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما هو الحال في هدي رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد دخل مكة صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتحًا منتصرًا، ومع ذلك لم يصبه الكبر والغرور، وإنما طأطأ رأسه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ كاد شعر لحيته أن يمس وسط الرحل تواضعًا للملك جَلَّ جَلَالُهُ(٢)، وخُيِّر صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أن يكون نبيًّا ملِكًا أو أن يكون عبدًا نبيًّا،

---

(١) ينظر: الفوائد، لابن القيم (ص: ٥٦).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠٥).

فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا؛ من شدة تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الله أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**»(١).

وجاء تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخضوعه لربه متمثلًا في دعائه؛ فجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وصف استسقائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللهمَّ أَنْتَ الله، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ**»(٢).

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستفتاح: «**اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»(٣).

ومن دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١١٧٣)، والطبراني في الدعاء، رقم الحديث: (٢١٧٢)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١١٧٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

الأثر السادس: عدم الاغترار بملك الخلق:

إذا تعرف العبد على اسم الله الملك وما فيه من كمال؛ لم يغتر بملْك ملوك الدنيا مهما ملكوا؛ فإن ملكهم ناقص، من عدة جهات[2]، منها:

١- أن ملكهم بتمليك الله لهم؛ فهو عارية بيدهم سرعان ما ترد لمعيرها، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٧].

٢- أن ملكهم لا عن كمال صفاتهم وذاتهم، بل فيهم من النقائص والمعايب ما فيهم.

٣- أن ملكهم غير مستكمل لحقيقة الملكية؛ فإنهم ملوك من جهة مملوكين من جهات أخرى.

٤- أن ملكهم فيه شركة لغيرهم، وإن لم يكن شركة فمعاونة ومؤازرة ومشورة وحراسة.

٥- أن ملكهم محدود ببعض الأشياء لا كلها، فلو ملكوا الأرض بأسرها ومن فيها ما ملكوا السماء ومن فيها.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١١٢٠)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥١٤)، والتحرير والتنوير (١٨/ ١٣٥).

٦- أن ملكهم محدود ببعض الأوقات، فتجد أحدهم ملِكًا في وقت مملوكًا في أوقات أخرىٰ.

٧- أن مُلكهم مهما عظم وجل مصيره إلىٰ الزوال والنفاد، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ومن تأمل تاريخ ملوك الدنيا وجد هذا ظاهرًا جليًّا، فمهما بلغ ملكهم، وعلا مجدهم فقد ذهب كل ذلك عنهم وعادوا للمَلِك تَعَالَىٰ، تاركين خلف ظهورهم ملكهم وأملاكهم.

فهذا النمرود الذي ملك الأرض كلها، كيف كانت نهايته؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استمر- النمرود- في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغىٰ وبغىٰ وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال علىٰ إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعىٰ لنفسه الربوبية...

قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلىٰ ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبىٰ عليه، ثم دعاه الثانية فأبىٰ عليه، ثم الثالثة فأبىٰ عليه، وقال: اجمع جموعك، وأجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليه ذبابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بادية، ودخلت واحدة منها في منخر الملك، فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذبه الله تَعَالَىٰ بها، فكان يضرب رأسه بالمزارب في هذه المدة كلها، حتىٰ أهلكه الله عَزَّوَجَلَّ بها»[1].

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٤٨-١٤٩).

وهذا فرعون الذي طغىٰ وتجبر وتَعَالَى في قومه قائلًا: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، كيف كانت نهايته؟

قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارةً، وترفعه أخرىٰ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلىٰ جنوده، ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم؛ ليكون أقر لأعين بني إسرائيل، وأشفىٰ لنفوسهم، فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسًا إيمانها»(١).

وبهذا يتبين أن الملك الحق هو الله جَلَّ جَلَالُهُ، قال تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الكمال لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال»(٢).

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥١٤).

الأثر السابع: النهي عن التسمي بملك الملوك ونحوه:

إذا علم العبد أن الله الملك الحق تبارك تَعَالَى، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وكل من دونه ملكه ملك مستعار لا حقيقة له؛ علم أنه لا يستحق أحد أن يُسَمَّىٰ ملك الأملاك، سواه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لذا جاء التحذير الشديد من التسمي بهذا الاسم، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ**[(١)] **اسْمٍ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»، زاد ابن أبي شيبة في روايته: «**لَا مَالِكَ إِلَّا الله** عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)]، وفي رواية: «**أَخْنَىٰ**[(٣)] **الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٤)]، وفي رواية أخرىٰ: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ**»[(٥)]، وفي رواية أيضًا: «**وَاشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ رَجُلٍ تَسَمَّىٰ بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا الله** عَزَّ وَجَلَّ»[(٦)].

قال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل شاهان شاه، أي: ملك الملوك باللغة الفارسية.

فنبه سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن الذم لا ينحصر في اسم ملك الأملاك، بل وكل ما أدىٰ معناه بأي لسان كان[(٧)]؟

---

(١) أخنع، أي: أوضع وأذل. قال ابن بطال رحمه الله: «وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمىٰ به أشد ذلًّا». فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٠٦)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢١٤٣).

(٣) الخنىٰ: الفحش في القول. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٢٠٥).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢١٤٣).

(٦) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٠٥٢٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده، رقم الحديث: (٥٠١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٩٨٨).

(٧) ينظر: فتح الباري (١٠/ ٥٩٠).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستدل بهذا الحديث علىٰ تحريم التسمي بهذا الاسم؛ لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه، مثل: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء»[1].

وعلة النهي كما قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن من تسمىٰ بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاض، وهو الذي له الحكم، ويرجع إليه الأمر كله»[2].

اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربنا ونحن عبيدك، ظلمنا أنفسنا، واعترفنا بذنوبنا، فاغفر لنا ذنوبنا جميعًا؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.



---

(١) المرجع السابق.

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٩).

الغالب الناصر النصير جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: (الغالب):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غلبه غلبة وغَلْبًا، وغَلَبًا أيضًا، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم:٣]،... وتغلب علىٰ بلد كذا: استولىٰ عليه قهرًا...»[١].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(غلب) الغين واللام والباء أصل صحيح يدل علىٰ قوة وقهر وشدة...»[٢].

ثانيًا: (الناصر، والنصير):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نصر: نصره الله علىٰ عدوه ينصره نصرًا، والاسم: النصرة، والنصير: الناصر، والجمع الأنصار، واستنصره علىٰ عدوه، أي: سأله أن ينصره عليه...»[٣].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والصاد والراء أصل صحيح يدل علىٰ إتيان خير وإيتائه، ونَصَرَ اللهُ المسلمين: آتاهم الظفر علىٰ عدوهم، ينصرهم

(١) الصحاح (١/ ٢١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٨).

(٣) الصحاح (٣/ ٣٩٣).

نصرًا، وانتصر: انتقم»[١].

ورود أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الغالب) في كتاب الله مرة واحدة، هي:

قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ثانيًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (الناصر) في كتاب الله مرة واحدة، وذلك بصيغة التفضيل، وهي:

في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

ثالثًا: ورد اسمه سُبْحَانَهُ (النصير) أربع مرات في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٣٥).

ورود أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله (الغالب) في السنة النبوية:

لم يرد اسم الله (الغالب) في السنة النبوية.

ثانيا: ورود اسم الله (الناصر - النصير) في السنة النبوية:

من ورودهما ما يلي:

- جاء في حديث طويل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي**»[1].

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَالَ: **اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[2].

معنى أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير):

أولًا: معنى اسم الله الغالب:

- قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]، قال: فعال»[3].

- قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا، وهذا - أيضًا - إشارة إلىٰ كمال القدرة والحكمة، وأنه لا يُقهر ولا يُخدع»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٧٣١).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٢٦٣٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٤)، وقال الترمذي: حسن غريب، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي اود،رقم الحديث: (٢٦٣٢).

(٣) تفسير الطبري (١٥ / ٢١).

(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١١١).

- قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]-: «أي: إذا أراد شيئًا فلا يرد، ولا يمانع، ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه»(١).

- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أمره تَعَالَىٰ نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب»(٢).

ثانيًا: معنى اسم الله الناصر النصير:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ [آل عمران: ١٥٠]: «وليكم وناصركم علىٰ أعدائه الذين كفروا، وقال في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وحسبكم بالله ناصرًا لكم علىٰ أعدائكم وأعداء دينكم، وعلىٰ من بغاكم الغوائل، وبغىٰ دينكم العوج»(٣).

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وله معان، منها: العون، يقال: نصره الله علىٰ عدوه ينصره نصرًا، فهو ناصر ونصير للمبالغة، والاسم: النصرة، والنصير: الناصر»(٤).

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناصر هو الميسر للغلبة، والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولايخذله»(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٩٥).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٧٥).

(٤) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٣٨).

(٥) المنهاج (١/ ٢٠٥).

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج: ٧٨] يعني: نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء»[1].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: لمن استنصره فدفع عنه المكروه»[2].

ووجه الربط بين أسماء الله (الغالب والناصر والنصير): أنه إذا وثق العبد أن الله تَعَالَىٰ هو الغالب الفعال لما يشاء، الذي لا يستطيع أحد أن يرد قضاءه وقدره، كان العبد علىٰ يقين أنه سينصره علىٰ عدوه.

اقتران اسم الله (الغالب، الناصر، النصير) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الغالب) بغيره من أسماء الله الحسنىٰ:

لم يقترن اسم الله (الغالب) بغيره من أسماء الله.

ثانيًا: اقتران اسم الله (الناصر، النصير) بغيره من أسماء الله الحسنىٰ:

- لم يقترن اسم الله (الناصر) بغيره من أسماء الله.

- وورد اقتران (النصير) باسمه (الهادي)، وذلك في آية واحدة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٧).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٥٤٦).

وجه الاقتران:

هذان الاسمان الكريمان يتناسبان مع سياق الآية التي يبين فيها الله سُبْحَانَهُ أن من سنته أن يقيض لكل نبي عدوًّا من المجرمين، ولكن الله سُبْحَانَهُ يتولىٰ أنبياءه بهدايتهم إلىٰ الحق، ونصرتهم علىٰ أهل الباطل من المجرمين، فهو سُبْحَانَهُ الذي يتولىٰ أنبياءه وأولياءه بالهداية- بكل معانيها- ونصرتهم بجميع أنواع النصرة، بل إن كل من هداه الله نصره، وصاحب الهداية يتولاه الله، فيكون ناصرًا له.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الغالب، الناصر، النصير):

الأثر الأول: إثبات ما تتضمنه أسماء الله (الغالب، الناصر، النصير) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

فالله سُبْحَانَهُ هو الغالب الناصر علىٰ الإطلاق، فكل نصر مطلق هو من عند الله تَعَالَىٰ؛ يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٠]،

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: «إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٠]، فلو اجتمع عليكم من في أقطارها، وما عندهم من العَدد والعُدد؛ لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه، ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ ويكلكم إلىٰ أنفسكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق، وفي ضمن ذلك: الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]، وتقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: علىٰ الله توكلوا لا

علىٰ غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد علىٰ غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار، وفي هذه الآية الأمر بالتوكل علىٰ الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله»[1].

وقد أوضح الله ذلك في آيات كثيرة، منها، قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ومن الخطأ: قصر مفهوم النصر علىٰ الحرب، فهو نصر ومعونة إلهية عامة مطلقة، فما من عبد استنصر بالله، وتولاه، وتوكل عليه، إلا تولاه سُبْحَانَهُ وحفظه وحرسه وصانه، وما من عبد خافه واتقاه، إلا أمنه مما يخاف ويحذر، ويسر له من كل خير وسعة.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]-: «أي: متىٰ اعتصمتم به تولاكم ونصركم علىٰ أنفسكم وعلىٰ الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعدواتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر علىٰ هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة علىٰ العدو بحسب كمال الاعتصام بالله»[2].

وهذا هو الإيمان الذي استقر في قلوب أنبيائه سُبْحَانَهُ، ومن شواهد ذلك:

- قول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين عابوا عليه اتباع الفقراء والضعفاء لدعوته،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٠).

وأمروه بطردهم: ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠].

- قول صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ﴾ [هود: ٦٣].

- قول مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر: ٢٩].

- قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ودعاؤه: «**اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[1].

فعلىٰ المؤمن الثقة بنصر الله لعباده المؤمنين، وفتحه ورحمته وقوته وعزته سُبۡحَانَهُۥ، وعدم الرهبة من الكافرين إذا أخذ بالأسباب، وتوكل علىٰ الله وحده؛ وتوحيده، فالمنصور من نصره الله تَعَالَىٰ، والمخذول من خذله، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وقال سُبۡحَانَهُۥ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

الأثر الثاني: تحقق نصر الله لعباده المؤمنين:

نصر الله لعباده المؤمنين وعد ثابت محقق منه سُبۡحَانَهُۥ، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وهذا النصر متعدد الصور والطرق، ومن أبرز صور النصر ما يلي:

١- التمكين:

فالله تَعَالَىٰ ينصر أولياءه بصورة التمكين، كما ذكر الله سُبۡحَانَهُۥ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ

---

(١) سبق تخريجه.

عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ إلىٰ قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]، فعبر عن التمكين بالنصر.

وهذا ما حصل لنبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وكما أنقذناه من إخوته، ومن الجب، فكذلك مكنا له، أي: عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتىٰ تمكن من الأمر والنهي في البلد الذي الملك مستول عليه»[1].

كذلك تمكين الله له علىٰ خزائن مصر، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦].

٢- التأييد:

من نصر الله: تأييده لعباده، يقول تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤]، يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند هذه الآية: «﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: قويناهم ونصرناهم عليهم، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ عليهم وقاهرين

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٦٠).

(لهم)، فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم علىٰ عدوكم»[1].

٣- الدفاع:

مِن نَصْر الله: دفاعُه عن عباده بحسب قوة إيمانهم، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، بل من عجيب هذا النصر: أن يكون الدفاع حتىٰ من شر النفس! وهذا ماذكره السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية، فقال: «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر- بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف، كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر»[2].

٤- الكيد والمكر بالأعداء:

من صور نصره سُبْحَانَهُ: أن يكيد بمن كاد لأوليائه ويعاديهم، كما في الحديث: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٦١).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٥٣٩).

لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

ومن تأمل في سيرة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمكائد التي تعرض لها، سواء من إخوته حين حاولوا التفريق بينه وبين أبيه، يقول تَعَالَى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥]، أو من امرأة العزيز حين راودته وأودعته السجن، يقول تَعَالَى في ذلك: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]، وكذا كيد النسوة له، يقول تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤].

٥- إجابة الدعاء:

من صور نصر الله: إجابة الدعاء، بل إن المتأمل يعلم أن غاية الداعي تحقيق نصره بإجابة الله لدعوته وتحقيق مطلوبه، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»(٢).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا فَكَانَتْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ، عَلَيْهَا وِشَاحٌ

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٥٨)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨)، وابن ماجه، رقم الحديث: (١٧٥٢)، حكم الألباني: ضعيف، لكن صح الشطر الأول بلفظ: «المُسَافِر» مكان «الإِمَام العَادِل»، وفي رواية: «الوَالِد». صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩٨).

أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْهُ، أَوْ وَقَعَ مِنْهَا، فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهُوَ مُلْقًى فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ: فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ، قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ، حَتَّىٰ فَتَّشُوا قُبُلَهَا، قَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الْحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ، قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ، قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ حِفْشٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي، قَالَتْ: فَلَا تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا، إِلَّا قَالَتْ:

وَيَوْمَ الوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا ... أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي»(١).

الأثر الثالث: كيف يكون نصر الله تَعَالَىٰ لأنبيائه ورسله وأوليائه؟

اقتضت حكمة الله تَعَالَى أن ينصر رسله وأولياءه في الدنيا ويوم القيامة، يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وهذا النصر بحسب الإيمان، كما أشار إلىٰ ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، قال: «فالآية علىٰ عمومها وظاهرها، وإنما المؤمنون يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الإيمان ما يصير به للكافرين عليهم سبيل، بحسب تلك المخالفة، فهم الذين تسببوا إلىٰ جعل السبيل عليهم، كما تسببوا إليه يوم أُحُدٍ بمعصية الرسول ومخالفته، والله سُبْحَانَهُ لم يجعل للشيطان علىٰ العبد سلطانًا حتىٰ جعل له العبد سبيلًا إليه بطاعته والشرك به، فجعل الله حينئذ له

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٣٩).

عليه تسلطًا وقهرًا، فمن وجد خيرًا فليحمد الله تَعَالَىٰ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

وقد علق الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] باستفهام مجاب عليه، فقال: «يقول القائل: وما معنىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثَّلوا به، كشعياء ويحيىٰ بن زكريا وأشباههما، ومنهم من همَّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتىٰ فارقهم ناجيًا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلىٰ الشام من أرضه مفارقًا لقومه، وعيسىٰ الذي رفع إلىٰ السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا علىٰ من نالهم بما نالهم به؟

قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] وجهين، كلاهما صحيح معناه، أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائنا لهم علىٰ من كذبهم وإظفارنا بهم، حتىٰ يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإظهاره علىٰ من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تَعَالَىٰ ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسىٰ وفرعون وقومه؛ إذ أهلكهم غرقًا، ونجىٰ موسىٰ ومن آمن به من بني إسرائيل

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١٠١).

وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا علىٰ قتله من سلطنا حتىٰ انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيىٰ، من تسليطنا بختنصر عليهم حتىٰ انتصرنا به من قتله له، وكانتصارنا لعيسىٰ من مريدي قتله بالروم حتىٰ أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه، وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنىٰ ذلك إلىٰ هذا الوجه»[(١)].

وينقل ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا لابن السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعضد به ما ذهب إليه ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول: «قال السدي: لم يبعث الله رسولًا قط إلىٰ قوم فيقتلونه، أو قومًا من المؤمنين يدعون إلىٰ الحق فيُقتلون، فيذهب ذلك القرن حتىٰ يبعث الله لهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا، قال: فكانت الأنبياء والمؤمنون يُقتلون في الدنيا، وهم منصورون فيها، وهكذا نصر الله سُبْحَانَهُ نبيه محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه علىٰ من خالفه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر علىٰ سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلىٰ المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم منَّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة، فقرت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٠-٤٠١).

ثم قبضه الله تَعَالَى إليه؛ لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلىٰ الله، وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرىٰ والقلوب، حتىٰ انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها.

ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلىٰ قيام الساعة؛ ولهذا قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١] أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل»[١].

ومن تأمل في تطبيقات هذا النصر الإلهي ونماذجه مع الأنبياء؛ تجلي له معنىٰ نصر الله تَعَالَى وتحقيق وعده، ومن هذه النماذج ما يلي:

- نصر الله تَعَالَى لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما صنع السفينة في أرض صحراء قفر لا ساحل فيها، سخر منه قومه، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]، ولما أوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[هود:٣٦] دعا ربه بثلاث كلمات فقط، واستنصر الغالب الناصر سُبْحَانَهُ، ﴿أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر:١٠]، فنصره نصرًا من السماء والأرض، بل كانت العلامة علىٰ بدء هذا النصر مخالفة لما عليه العادة، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حتىٰ التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلًا عن كونه منبعًا للماء؛ لأنه موضع النار، يقول تَعَالَى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٠).

عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر:١١-١٢] وقال: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الصافات:٧٦]»[1].

- نصر الله ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمور عدة، منها:

أنه لقنه الحجة في الحين، يقول تَعَالَى: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[يوسف:٢٦].

اعتراف امرأة العزيز، يقول تَعَالَى: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[يوسف:٥١].

اعتراف زوج المرأة، يقول تَعَالَى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف:٢٩].

اعتراف الشهود، يقول تَعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[يوسف:٢٦].

إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته؛ ذلك أن الله تَعَالَى قال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤]، وقال الله تَعَالَى علىٰ لسان إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وأعظمها: شهادة الله تَعَالَى له، يقول تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ [يوسف:٢٤]، فأتىٰ بلام التأكيد ﴿لِنَصْرِفَ ﴾ ولم يصرف السوء والفحشاء عنه، بل صرفه عن السوء والفحشاء، فأبعده الله عن مواطن السوء ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤].

- نصر الله لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن شواهد ذلك:

لما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر في غار حراء في تلك الحالة

---

(١) تفسير السعدي (ص ٨٢٥).

الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال، بداية بمعية الله معهما، فألهمه الثبات والسكينة والطمأنينة، والتأييد والحراسة من الملائكة، وعلو كلمة المؤمنين، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

حين طُرد من مكة، فدخلها بعد عشر سنوات فاتحًا، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف ذلك: «فصل: لما خرج رسول الله من حصر العدو دخل في حصر النصر: فعبثت أيدي سراياه بالنصر في الأطراف، فطار ذكره في الآفاق، فصار الخلق معه ثلاثة أقسام: مؤمن به، ومسالم له، وخائف منه، ألقىٰ بذر الصبر في مزرعة ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، فإذا أغصان النبات تهتز بخزامىٰ ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة:١٩٤]، فدخل مكة دخولًا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق، والصحابة علىٰ مراتبهم، والملائكة فوق رؤوسهم، وجبريل يتردد بينه وبين ربه، وقد أباح له حرمه الذي لم يحله لأحد سواه.

فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠] فأخرجوه ثاني اثنين، دخل وذقنه تمس قربوس سرجه خضوعًا وذلًّا لمن ألبسه ثوب هذا العز الذي رفعت إليه فيه الخليقة رؤوسها، ومدت إليه الملوك أعناقها، فدخل مكة مالكًا مؤيَّدًا

منصورًا، وعلا كعب بلال فوق الكعبة بعد أن كان يُجَرُّ في الرمضاء علىٰ جمر الفتنة، فنشر بذي طوىٰ عن القوم من يوم قوله: أحد أحد، ورفع صوته بالأذان، فأجابته القبائل من كل ناحية، فأقبلوا يؤمون الصوت، فدخلوا في دين الله أفواجًا وكانوا قبل ذلك يأتون آحادًا.

فلما جلس الرسول علىٰ منبر العز وما نزل عنه قط؛ مدت الملوك أعناقها بالخضوع إليه، فمنهم من سلم إليه مفاتيح البلاد، ومنهم من سأله الموادعة والصلح، ومنهم من أقر بالجزية والصغار، ومنهم من أخذ في الجمع والتأهب للحرب ولم يدر أنه لم يزد علىٰ جمع الغنائم وسوق الأسارىٰ إليه، فلما تكامل نصره وبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة وجاءه منشور ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣] وبعده توقيع ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:١-٢] جاءه رسول ربه يخبره بين المقام في الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء ربه شوقًا إليه، فتزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة»[1].

وما سبق بعض من النماذج، وإلا فالسِّيَر غزيرة عظيمة بمظاهر نصر الله تَعَالَىٰ.

الأثر الرابع: تحقيق أسباب النصر:

نصرة العبد لربه في عبادته والقيام بحقوقه، ورعاية عهوده، واجتناب نهيه، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، يقول القرطبي

(١) الفوائد، لابن القيم (ص: ٦٢).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قيل: كيف قال تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾، والنصر هو العون، والله سُبْحَانَهُ لا يجوز عونه قولًا ولا يتصور فعلًا؟ فالجواب من أوجه:

أحدها: إن تنصروا دين الله بالجهاد عنه ينصركم.

الثاني: إن تنصروا أولياء الله بالدعاء.

الثالث: إن تنصروا نبي الله، وأضاف النصر إلىٰ الله تشريفًا للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوليائه وللدين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [الحديد:١١]، فأضاف القرض إليه تسلية للفقير»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا أمر منه تَعَالَىٰ للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط علىٰ قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم علىٰ ذلك، ويعينهم علىٰ أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره»[(٢)].

والله تَعَالَىٰ قادر كمال القدرة علىٰ نصر دينه، فإنه نصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فهو القوي القادر علىٰ كل شيء، ولكنه ابتلىٰ عباده بذلك ليظهر من ينصر دينه وشرعه ممن يتولىٰ عن نصرته، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍ﴾ [محمد:٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٣٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٥).

وأوجب العزيز الحكيم علىٰ نفسه نصرة المؤمنين تكرمًا منه وتفضلًا، فقال جل ذكره: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، «أي: أوجبنا ذلك علىٰ أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به، فلا بد من وقوعه، فأنتم أيها المكذبون لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن بقيتم علىٰ تكذيبكم حلت بكم العقوبة ونصرناه عليكم»[1].

وللنصر تكاليفه وأعباؤه، حين يتأذن الله به، بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه، **ومن أهم هذه التكاليف التي يستجلب بها نصر الله ويستدام:**

١- المداومة علىٰ الطاعات خاصة الصلاة، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

يقول الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا دليل علىٰ أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر؛ فليس لهم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٤٤).

الله بناء علىٰ أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له»[1].

٢- الصبر:

فكلما كان العبد صابرًا كان النصر منه قريبًا، فقد جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[2]، وهذا موافق لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وأعظم النصر هو أن ينتصر العبد علىٰ هواه، ويرد نفسه عن السوء، ويصبر عن معصية الله، ويصبر علىٰ طاعة الله، حينها يشعر العبد بحلاوة النصر الحقيقي.

٣- العدل:

فالله سُبْحَانَهُ حرم الظلم علىٰ نفسه وعلىٰ عباده، فقد جاء في الحديث: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[3]، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْبًا فَعُوقِبَ بِهِ، فَالله أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ الله عَلَيْهِ، فَالله أَكْرَمُ مِنْ**

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٨٤٩)، والدعاء للطبراني، رقم الحديث: (٤١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: (٦٨٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ»[1]، بل أمر الله بالعدل حتىٰ مع الكافر، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

ومتىٰ أقيم العدل حصل النصر، ولو كان الذي أقامه كافرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة؛ ولهذا يروىٰ: (الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، وإن كانت مؤمنة)»[2]، فالنصر منوط بالعدل، والخذلان منوط بالظلم؛ ولذلك من أراد نصر الله ينبغي له أن يلزم العدل مع نفسه، ومع غيره.

٤- الأخذ علىٰ يد الظالم والمفسد:

فمن حق المسلم أن يأخذ علىٰ يد من ظلمه، بل ويؤخذ علىٰ يده إن ظلم، وكل هذا من نصرته، ويدل علىٰ ذلك حديث: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **تَحْجِزُهُ** - أو **تَمْنَعُهُ** - **مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[3]، كذلك حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: **اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٨٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٦٠٤)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢٦٠٤).

(٢) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية (ص: ٧).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٩٥٢).

أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ- أو لَمَسَّتْكَ النَّارُ»[1].

وعلىٰ العبد المؤمن أن يستشعر أن أعظم النصر هو نصر يوم القيامة، يوم يجتمع الخصوم بين يديه، فيُقتص للمظلوم من الظالم، فيحذر ويبذل أسباب نصره في ذلك اليوم، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»[2].

الأثر الخامس: اليقين بأن تأخر نصر الله تَعَالَىٰ لا يعني: انعدامه:

نصر الله سنة ماضية، ووعد منجز، آت لا محالة، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، فالمؤمن الصادق لا يقنط من نصر الله ولا ييأس، والله سُبْحَانَهُ يقول: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

وعلىٰ هذا المنهج ربىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، ففي حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا قَالَ: **كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ،**

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٩).

حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا الله، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[١].

وتأخر النصر الموعود يعود لأحد سببين، وقد يجتمعان:

السبب الأول: وجود الحكم الربانية.

والسبب الثاني: حصول الموانع له.

وفيما يلي بيان ذلك:

من بحث في الحكم الربانية وجدها متعددة كثيرة، بعضها يفهمه العبد ولو بعد حين، والبعض الآخر استأثر الله بعلمه، ولعل من الحكم المعلومة للعبد ما يلي:

- زيادة صلة العبد بربه، وهو يعاني ويتألم ويبذل، ولا يجد له سندًا إلا الله، ولا ملجأ إلا إليه، فإذا حصل النصر لا يطغىٰ و لا ينحرف.

- أن يجرب العبد كل القوىٰ، فيدرك أن القوىٰ وحدها بدون سند من الله لا تحقق النصر، إنما النصر من عند الله وحده.

- الأخذ بأسباب نصر الله تَعَالَى في الدنيا والآخرة، وذلك بالخضوع لأمره وشريعته ونصرة دينه في نفسه ومع الناس، فالتفريط في الأسباب باب إلىٰ الخذلان والمصائب وتأخر نصر الله تَعَالَى[٢].

- أن تكون النفوس غير متهيئة بعد لاستقبال الحق والخير، وتحتاج لمزيد من الوقت.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٦١٢).

(٢) سيأتي ذكر أسباب الخذلان.

- أن يكون في الشر الذي يقاومه العبد بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منه؛ ليتمحض خالصًا، ويذهب وحده هالكًا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار!

- أن يكون الباطل المقاوم والمحارب لم ينكشف زيفه أمام الناس، فلو حصل النصر في ذلك الوقت لم يجد له أنصارًا من المخدوعين فيه الذين لم يقتنعوا بعد بفساده، وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، فيشاء الله أن يتأخر النصر والفرج؛ حتىٰ ينكشف الباطل أمام الناس بوضوح.

- لوجود مانع من الموانع- سيرد ذكرها لاحقًا-.

الأثر السادس: الحذر من أسباب الخذلان:

الله سُبْحَانَهُ هو الغالب القاهر دومًا، لا يملك أحد أن يرد ما قضىٰ، أو يمنع ما أمضىٰ، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجب علىٰ كل مكلف أن يعلم أن الله هو الغالب علىٰ الإطلاق، فمن تمسك به فهو الغالب، ولو أن جميع من في الأرض طالب، قال تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١]، ومن أعرض عن الله تَعَالَى وتمسك بغيره كان مغلوبًا، وفي حبائل الشيطان مقلوبًا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]» (١).

---

(١) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، للقرطبي (ص: ٣٠٤).

«وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلىٰ نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلىٰ بينك وبين نفسك، فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا، فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له، ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه، فإن وفقه فبفضله ورحمته، وإن خذله فبعدله وحكمته، وهو المحمود علىٰ هذا وهذا، له أتم حمد وأكمله، ولم يمنع العبد شيئًا هو له، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه، وهو أعلم حيث يضعه»(١).

ولذا فعلىٰ العبد المؤمن أن يحذر أسباب الخذلان، والتي من أبرزها ما يلي:

١- الإعراض عن الله تعالىٰ، وعن سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فأعظم الناس خذلانًا: من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت، وبالجملة فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله، ولصاحبه الذم والخذلان، كما قال تَعَالَىٰ ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء:٢٢] مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك»(٢).

٢- العُجْبُ: فالعجب طريق إلىٰ خذلان المرء، بحيث يكل الله العبد إلىٰ نفسه فلا ينصره، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤١٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٥٥).

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥]

٣- **خذلان الناس وقت حاجتهم**، فمن خذل أخاه؛ خذله الله في موقف يحتاج إليه، وفي الحديث: «**مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ**»(١).

وفي الحديث الآخر، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَا**- ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢).

٤- **الظلم**، يقول تعَالَى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾[الشورى:٨]، والظلم ثلاث أنواع، وهي:

- ظلم بين العبد وبين ربه، بأن يساوي الله بغيره، وهو المقصود في قوله تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان: ١٣].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٦٣٠)،و أبو داود، رقم الحديث: (٤٨٨٤)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٤).

- ظلم بين العبد والناس، وهو المقصود في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى:٤٢].

- ظلم بين العبد ونفسه، وهو المقصود في قوله تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢] وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [النمل:٤٤].

٥- **التنازع والاختلاف**: قال تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٥- ٤٦]، فالاختلاف والتنازع مدعاة للفشل، وهو الخيبة والنكول عن إمضاء الأمر، ومن أكبر أسباب الضعف والجبن، ولذلك فسروا قوله تَعَالَى: ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ أي: فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم... ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: تذهب قوتكم ودولتكم، فقد شبهت الدولة في نفاذ أمرها بالريح وهبوبها.

٦- **الغرور والرياء**: والخروج للقتال علىٰ وجه البطر والفخر والرياء، والله تَعَالَى لا يعطي نصره إلا لمن خرج ابتغاء مرضاته ونصرة دينه؛ ولهذا نهىٰ الله تَعَالَى عن مثل هذا الخروج، فقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧]، ومعنىٰ ﴿بَطَرًا﴾ أي: فخرًا وأشرًا، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: خرجوا ليثني عليهم الناس، أي: يمدحونهم بالشجاعة والسماحة، والمقصود: نهي المؤمنين أن يكونوا أمثال أولئك في البطر والرياء، وأمرهم أن يكونوا أهل تقوىٰ وإخلاص.

٧- **الركون إلىٰ الظالمين**، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

الأثر السابع: محبة الغالب الناصر النصير:

إن النفس بطبيعتها تميل إلىٰ حب من يعينها ويمدها بالقوة، تحب من ينصرها ويقهر عدوها، فإذا ماتيقن العبد بأن ربه الذي يأوي إليه غالب، لا يرده أحد عما أراد، ولا يمنع عما يشاء، ولا ينازع فيما يريد، وفوق ذلك هو ناصر لا يخذل من تولاه، ولا يحرم من استنصره، وحين يتيقن العبد بذلك؛ يحب ربه ويتعلق به.

الأثر الثامن: الدعاء باسم الله الغالب، الناصر، النصير:

إن شعور العبد بحاجته لنصرة الله تَعَالَىٰ في جميع أحواله وشؤونه، وأنه لا يستغني عن نصرة ربه له طرفة عين، فهو محتاج إلىٰ نصرة الله له علىٰ هواه ونفسه أولًا، وعلىٰ شيطانه من الإنس والجن، وعلىٰ أعدائه الكافرين، فبالجملة هو محتاج إلىٰ عون الله ونصرته علىٰ فتن الشبهات والشهوات وكيد الأعداء.

ولذا جاءت أدعية كثيرة ثابتة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلب النصرة من الله تَعَالَىٰ علىٰ الشر وأهله، ومن هذه الأدعية قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ**»... الحديث[1].

وكذلك كان من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزواته: أن يدعو الله بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصفه حجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨] **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ**، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ رَأَىٰ الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَىٰ الْمَرْوَةِ، حَتَّىٰ إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَىٰ، حَتَّىٰ إِذَا صَعِدَتَا مَشَىٰ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَىٰ الصَّفَا»(١).

وقد مدح الله عَزَّ وَجَلَّ عباده وأولياءه المجاهدين بأنهم يتبرؤون من الحول والقوة، ويسألونه سُبْحَانَهُ النصر وتثبيت الأقدام، كما جاء ذلك في صفات الربيين، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٧].

اللهم أعنا ولا تُعِن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا و لا تمكر علينا، واهدنا، ويسر الهدىٰ إلينا، وانصرنا علىٰ من بغىٰ علينا.



(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢١٨).

نورُ السماواتِ والأرض جَلَّ جَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النور: الضياء، والجمع: أنوار»[1].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والواو والراء: أصل صحيح يدل على إضاءة، واضطراب، وقلة ثبات، منه: النور، والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة؛ ولأن ذلك يكون مضطربًا سريع الحركة»[2].

ورود اسم الله (نور السماوات والأرض) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

ورود اسم الله (نور السماوات والأرض) في السنة النبوية:

ورد وصف الله بالنور في السنة النبوية كثيرًا، ومن وروده: ما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في قيامه من الليل

(١) الصحاح (٢/ ٤٠٢).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٨).

فيقول: **اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...**»[1].

ثبوت اسم (النور) في حق الله تعالى:

اختلف العلماء في اثبات اسم الله (النور) في حق الله تَعَالَى، علىٰ قولين:

- **القول الأول**: إن النور من أسماء الله تَعَالَى وصفاته، وإليه ذهب ابن تيمية وابن القيم والسعدي وغيرهم[2]، وعلىٰ هذا فلا إشكال عندهم بالتسمي بعبد النور.

- **القول الثاني**: إن النور ليس من أسماء الله تَعَالَى، واستدلوا بأنه لم يرد إلا مضافًا للسماوات والأرض، وإليه ذهب المشايخ: ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصالح الفوزان، وعبدالعزيز آل الشيخ، وعليه فلا يصح التسمي بعبد النور[3].

معنى اسم الله (نور السماوات والأرض):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند قوله تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٣٥]: «أي: هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلىٰ الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون»[4]، ثم نقل أقوال المفسرين في الآية، فمنهم: من قال: إن معناها: «الله مدبر السموات والأرض»[5]،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: النونية، لابن القيم (ص: ٢١٢)، وتفسير أسماء الله الحسنىٰ، للسعدي (ص: ٨٥).

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية، رقم الفتوىٰ: (١٩٣٤٦).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٥).

(٥) المصدر السابق (١٧/ ٢٩٦).

ومنهم: من قال: «ضياء السموات والأرض»[1].

❁ **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونوَّر أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه»[2].

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالنُّـورُ مِـنْ أَسْـمَائِهِ أَيْضًـا وَمِـنْ   أَوْصَافِـهِ سُـبْحَانَ ذِي البُرْهَـانِ
قَالَ ابْـنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَا   هُ الدَّارِمِـيُّ عَنْـهُ بِـلَا نُكْـرَانِ
مَـا عِنْـدَهُ لَيْـلٌ يَكُـونُ وَلَا نَهَـا   رٌ قُلْـتُ تَحْـتَ الفَلْـكِ يُوجَـدُ ذَانِ
نُـورُ السَّـمَواتِ العُلَـىٰ مِـنْ نُـورِهِ   والأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمُ والقَمَرَانِ!
مِـنْ نُـورِ وَجْـهِ الـرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ   وَكَـذَا حَـكَاهُ الحَافِـظُ الطَّبَرَانِـي
فَبِـهِ اسْتَنَارَ العَـرْشُ والكُرْسِـيُّ مَع   سَـبْعِ الطِّبَـاقِ وسَـائِرِ الأَكْـوَانِ
وَكِتَابُـهُ نُـورٌ كَذَلِـكَ شَـرْعُهُ   نُـورٌ كَـذَا المَبْعُـوثُ بِالفُرْقَـانِ
وَكَذَلِـكَ الإِيمـانُ فِي قَلْـبِ الفَتَـىٰ   نُـورٌ عَلَـىٰ نُـورٍ مَـعَ القُـرْآنِ
وَحِجَابُـهُ نُـورٌ فَلَـوْ كَشَـفَ الحِجَا   بَ لَأَحْـرَقَ السُّـبُحَاتُ لِلْأَكْـوَانِ
وَإِذَا أَتَـىٰ لِلْفَصْـلِ يُشْـرِقُ نُـورُهُ   فِـي الأَرْضِ يَـوْمَ قِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ
وَكَـذَاكَ دَارُ الـرَّبِّ جَنَّـاتُ العُلَـىٰ   نُـورٌ تَـلَأْلَأَ لَيْـسَ ذَا بُطْـلَانِ[3]

---

(١) المصدر السابق (١٧/ ٢٩٦).

(٢) تفسير السعدي (٥/ ٣٠٣).

(٣) النونية، لابن القيم (٢/ ٢٣٧).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (نور السماوات والأرض) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (نور السماوات والأرض) بأي اسم آخر في كتاب الله.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (نور السماوات والأرض):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (نور السماوات والأرض) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]: «النور من أوصافه تَعَالَىٰ، وهو علىٰ نوعين:

١- **نور حسي**: وهو ما اتصف به سُبْحَانَهُ من النور العظيم، الذي لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاتُ وجهه، ونورُ جلاله ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنىٰ العظيم، وأنه لا تطيق المخلوقات كلها الثبوت لنور وجهه لو تبدىٰ لها، ولولا أن أهل دار القرار يعطيهم الرب حياة كاملة، ويعينهم علىٰ ذلك لـما تمكنوا من رؤية الرب العظيم، وجميع الأنوار في السموات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض- وسعتها لا يعلمها إلا الله- من نوره، فنور العرش والكرسي والجنات من نوره، فضلًا عن نور الشمس والقمر والكواكب.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٦٩).

٢- نور معنوي: وهو النور الذي نور قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه وملائكته، من أنوار معرفته وأنوار محبته؛ فإن لمعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكل وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم؛ فإن معرفة المولىٰ أعظم المعارف كلها، والعلم به أجل العلوم، والعلم النافع كله أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أفضل العلوم وأجلها وأصلها وأساسها.

وقد كان من دعاء النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال هذا النور، ففي الحديث: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**»[١].

فمن هذا الاسم تنطلق معاني العظمة والكبرياء والجلال والمجد؛ لتملأ القلوب من أنوار الهيبة والتعظيم والإجلال والتكبير، وتظهر **معاني الجمال والبر والإكرام** من أنوار المحبة والود والشوق، **وتظهر معاني الرحمة والرأفة والجود واللطف** من أنوار الحب النامي علىٰ الإحسان، وأنوار الشكر والحمد بأنواعه والثناء، وتبرز **معاني العلم والإحاطة والشهادة والقرب الخاص** من أنوار مراقبته، وتوصلهم إلىٰ مقام الإحسان الذي هو أعلىٰ المقامات كلها؛ «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٢]، فكل معنىٰ ونعت من نعوت الرب يكفي في امتلاء القلب من نوره.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٨).

وقد تحدث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نور الله المعنوي في قلب المؤمن، عند تفسيره لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيْتُونَةٖ لَّا شَرْقِيَّةٖ وَلَا غَرْبِيَّةٖ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٥].

فقال: «لهذا النور فاعل وقابل، ومحل وحامل، ومادة، وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها علىٰ وجه التفصيل:

فالفاعل: هو الله تَعَالَىٰ مفيض الأنوار، الهادي لنوره من يشاء، **والقابل**: العبد المؤمن، والمحل قلبه، **والحامل**: همته وعزيمته وإرادته، **والمادة**: قوله وعمله.

وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته علىٰ عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم.

وفي هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

- أحدهما: **طريقة التشبيه المركب**، وهي أقرب مأخذًا، وأسلم من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلىٰ هذا عامة أمثال القرآن الكريم.

فتأمل صفة مشكاة، وهي كوة لا تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها مصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة، تشبه الكوكب الدري في صفائها

وحسنها، ومادته من أصفىٰ الأدهان، وأتمها وقودًا من زيت شجرة في وسط القراح[1]، لا شرقية، ولا غربية، بحيث تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار، بل هي في وسط القراح محمية بأطرافه، تصيبها الشمس أعدل إصابة، والآفات إلىٰ الأطراف دونها، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تَعَالَى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

- الطريقة الثانية: **طريقة التشبيه المفصل**، فقيل: المشكاة صدر المؤمن والزجاجة قلبه، وشبه قلبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن؛ فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم، ويحسن، ويتحنن، ويشفق علىٰ الخلق برقته، وبصفائه تتجلىٰ فيه صور الحقائق والعلوم علىٰ ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تَعَالَى، ويتصلب في ذات الله تَعَالَى، ويغلظ علىٰ أعداء الله تَعَالَى، ويقوم بالحق لله تَعَالَى، وقد جعل الله تَعَالَى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه، وأحبها إليه أرقها، وأصلبها، وأصفاها»[2].

(١) القراح من الأرض: «التي ليس بها شجر ولم يختلط بها شيء». تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٢٨).

(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (٢/ ٥٠-٥٢).

الأثر الثاني: الإيمان بأن كتب الله ورسله ودينه نور من عنده:

فكل الكتب المنزلة من عنده تَعَالَى - قبل تحريف أقوامها[1]- هي نور يضيء الله به قلوب العباد، في كل زمان ومكان، ومن شواهد ذلك:

قوله تَعَالَى عن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

- **قوله تَعَالَى عن الإنجيل:** ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

- **قوله تَعَالَى عن القرآن:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، وهو أعظم الأنوار المنزلة.

- **قوله تَعَالَى عن محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وفي موضع آخر قال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة، ١٥]، وقد تنوعت أقوال

---

(١) فكل الكتب السماوية تعرضت للتحريف، عدا القرآن الكريم الذي تولىٰ الله حفظه، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

المفسرين في المراد بالنور في هذه الآية على ثلاثة أقوال[1]، وهي:

- القرآن الكريم.

- محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- الإسلام.

ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورًا؛ لاشتراكهم في هداية الناس لنور الله، وإخراجهم من ظلمات الغي والضلالة لأنوار الحق والهداية، فلولا النور الحسي لما أدرك البصر شيئًا من المبصرات، ولولا ما جاء به النبي من القرآن والإسلام لما أدرك ذو البصيرة الحق من الباطل.

الأثر الثالث: محبة الله نور السموات والأرض:

حري بالمسلم أن يحب هذا الإله العظيم الكريم الذي ينير لعباده طريق دنياهم وآخرتهم، ويمن عليهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ويقول -جل في علاه-: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

ولو تأمل العبد في قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] لعرف أن طرق الباطل كثيرة، وهي ظلمات عديدة،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١٤٣)، وتفسير السعدي (ص: ٢٢٦).

وطريق الحق واحدة وهو نور واحد، والله الهادي إلىٰ هذا النور بكرمه؛ فالحمد لله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ومن فيهن.

الأثر الرابع: نور الله (دينه) باقٍ بحفظ الله:

فمهما اجتهد الكفار والمنافقون في أي زمان ومكان، بأن يحرفوا هذا القرآن، ويطعنوا بلغته ودينه، فسيبقىٰ إلىٰ يوم الدين، وهذا من الإعجاز القرآني، فالله حافظ كتابه، وكتابه حافظ لهذه الأمة من الزوال، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وغاية ما يسعهم في محاولة الإطفاء: الكلمة؛ سواء ببث الأكاذيب والدسائس للتشكيك في دين الله، أو بالتحريض علىٰ أهل الإسلام والعلماء، ولذا تكرر ذكر «بأفواههم» في القرآن، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨] إشارة منه سُبْحَانَهُ إلىٰ أن هذا سلاحهم الضعيف في المعركة محسومة النتائج.

ورد الله علىٰ محاولتهم الكلامية الطائشة التي لا يمكنها أن تقاوم نور الله، بأن الله متم نوره رغم كرههم، وأن دين الحق والنور سيبقىٰ ظاهرًا علىٰ كل الأديان وفي كل الأزمان ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، وهذا وعد تطمئن له قلوب المؤمنين، فيصبرون علىٰ الأذىٰ والمشقة؛ لأن النتائج عظيمة لصالحهم، فدين الله سيعلو علىٰ سائر الأديان.

الأثر الخامس: السعي للعمل الصالح الذي ينير للعبد يوم القيامة:

فإن العبد أفقر ما يكون إلىٰ أن يفتح الله له أبواب رحمته، فيشرح صدره للهدىٰ وينور طريقه للصلاح، ويأخذ بيده إلىٰ طريق فلاحه ونجاحه، ولا

يوفق العبد لذلك إلا بمعونة من الله وفضل، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزمر: ٢٢].

والمؤمن متىٰ استسلم لأمر ربه، والتزم بفرائضه، وأدىٰ أوامره، واجتنب نواهيه؛ فإنه بهذا العمل يتقرب إلىٰ الله ويتحبب إليه، فيقذف الله في قلبه نورًا، حتىٰ إذا ما امتلأ القلب بنور الله، استنار به الوجه في الدنيا والآخرة، وانقادت الجوارح بالطاعة راغبة، وهذا النور الذي في القلب هو الذي يمنع العبد من ارتكاب الفواحش، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[١]، فأخبر أن وقوع هذه الكبائر لا يكون ولا يقع مع وجود الإيمان ونوره[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس: إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وغبرة في الوجه، وضعفًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق»[٣].

وهذا أمر محسوس لمن كان له قلب؛ فإن ما في القلب من النور والظلمة، والخير والشر يسري كثيرًا إلىٰ الوجه والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطًا بالقلب؛ ولهذا يروىٰ عن عثمان، أو غيره أنه قال: «ما أسرَّ أحد بسريرة، إلا

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٤٧٥)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٧).

(٢) ينظر: فتح الرحيم العلام، للسعدي (ص٦٢-٦٥).

(٣) الداء والدواء، لابن القيم (ص: ١٣٥).

أبداها الله علىٰ صفحات وجهه، وفلتات لسانه»[1].

ومن صور الأعمال الصالحة المخصوصة التي ورد فيها نصوص تدل علىٰ أنها تنور وجه العبد يوم القيامة، ما يلي:

الصلاة، وخاصة قيام الليل:

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ**- أو **تَمْلَأُ**- **مَا بَيْنَ السَّمَاواتِ والأَرْضِ، والصَّلَاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[2]، ويقول تعالَىٰ: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ**﴾ [الفتح:٢٩].

ويقول بعض السلف في ذلك: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[3].

قراءة القرآن:

فعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: « **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ الله، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ الله، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ...**»، رواه ابن حبان في صحيحه، في حديث طويل[4].

---

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٢٣).

(٣) عزاه السيوطي لشريك، قاله عن ثابت بن موسىٰ الزاهد. ينظر: تدريب الراوي (١/ ٢٨٧).

(٤) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٣٦١)، حكم الألباني: ضعيف جدًّا، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٣٦٢).

تعليم حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فمن بلَّغ الأحاديث رُزق النضارة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ**»(١).

ويقول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ**)(٢)»(٣).

المشي إلىٰ المساجد في الظلمات، خاصة صلاة الفجر وصلاة العشاء:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

إتمام غسل الأعضاء كاملة عند الوضوء:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**»(٥).

قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٤٢٤٠)، وأبو داود، رقم الحديث: (٣٦٦٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٦٥٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢٣٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٣٦٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرف أصحاب الحديث، للخطيب (ص: ١٩).

(٤) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٦١)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٢٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٦١).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٤٦).

نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(١)].

الشيب في الإسلام:

يقول ﷺ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

وفي الحديث الآخر: «الشَّيْبُ نُورٌ فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِ، قِيلَ يَا رَسُولَ الله فَإِنَّهُمْ يَنْتِفُونَ قَال: فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْتِفْ نُورَهُ»[(٣)].

رمي الجمار:

يقول ﷺ: «إِذَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ، كَانَ لَكَ نُورًا يومَ الْقِيَامَةِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٧٢٢)، والحاكم، رقم الحديث: (٢٠٨٠)، الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (١٤٥٥)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٢٦٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (١٦٣٤)، والنسائي، رقم الحديث: (٣١٤٤)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (١٦٣٤).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٤٥٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (٥٩٧١)، وابن عدي في الكامل واللفظ له، رقم الحديث: (٥/ ٢٥٠)، حكم الألباني: حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٢٤٤).

(٤) أخرجه البزار، رقم الحديث: (١١٤٠)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٥٢٦).

رمي سهم في سبيل الله:

يقول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

المحبة في الله ولله:

يقول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ الله مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]»[2].

المقسطون في ولاياتهم:

يقول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[3].

وبالجملة: فالحسنة والطاعة هي التي تنير الوجه، وتضيء القلب، وتشرح الصدر، وليست آية معينة، ولا سورة مخصوصة، بل القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البزار، رقم الحديث: (٩٣١٢)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث:(٢٥٥٥).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٥٨٤)،حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٥٧٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨٢٧).

والعمل الصالح بعمومه، ولا يجوز تخصيص شيء من الدين بفضل خاص، إلا بدليل، وإلا أصاب العبدُ نصيبًا من الابتداع المذموم.

الأثر السادس: دعاء الله باسمه نور السموات والأرض:

فمن دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرزقه الله النور في كل حاسة، وفي كل اتجاه، أخرج البخاري(١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال في قيام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليل: «وكان يقول في دعائه: **اللهمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**، قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ. فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ فَذَكَرَ: **عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي**»(٢).

وثبت أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول هذا الدعاء- أيضًا- في قيام الليل قبل صلاة الفجر؛ لأن الليل مظلم، والعبد في الظلمة يحتاج إلىٰ نور، فناسب ذكر هذا الدعاء، كما ثبت أنه قاله في سجوده(٣)، وهو أقرب ما يكون العبد من ربه، وحري بمن سأل الله في السجود أمرًا أن يستجاب له.

ومن دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا في قيام الليل: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣١٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكر الروايات في موطن هذا الدعاء ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٧٨).

(٤) سبق تخريجه.

وقد ثبت من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أذكار الصباح والمساء قوله: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**»(1)، كأنها إشارة إلىٰ أن الكون لايكون مضيئًا دون أن ينال من نور الله المعنوي نصيب.

اللهم إنا نسألك أن تجعل في قلوبنا نورًا، وفي أبصارنا نورًا، وفي سمعنا نورًا، وعن يميننا نورًا، وعن يسارنا نورًا، وفوقنا نورًا، وتحتنا نورًا، وأمامنا نورًا، وخلفنا نورًا، واجعل لنا نورًا.



(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤)، والطبراني في الكبير (٣٤٥٣)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٨٤).

الواحد الأحد جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحد بمعنىٰ الواحد، وهو أول العدد... واستأحد الرجل: انفرد»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل علىٰ الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله»[2].

ورود اسم الله (الواحد - الأحد) في القرآن الكريم:

أولًا: ورد اسم الله (الواحد):

ورد اسم الله الواحد ثنتين وعشرين مرةً في كتاب الله، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٣-قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٤٤٠).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

ثانيًا: ورد اسم الله (الأحد):

ورد اسم الله (الأحد) مرة واحدة في كتاب الله، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ورود اسم الله (الواحد، الأحد) في السنة النبوية:

أولًا: ورد اسم الله (الواحد الأحد) في السنة النبوية مقترنًا، ومن وروده ما يلي:

حديث محجن بن الأدرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَىٰ صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ يا اللهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ، قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ**، ثلاث مرار»[(١)].

ثانيًا: ورد اسم الله (الواحد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ**؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ، ثُلُثُ القُرْآنِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٩٢٧٨)، وأبو داود، رقم الحديث: (٩٨٥)، والنسائي، رقم الحديث: (١٣٠٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٥).

ثالثًا: ورد اسم الله (الأحد) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال الله: كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ ولم يَكُنْ له ذلك، وشَتَمَنِي ولم يَكُنْ له ذلك، فأمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ فقولُهُ: لن يُعِيدَنِي كما بَدَأني، وليسَ أول الخلقِ بأهونَ عليَّ مِن إعادَتِهِ، وأمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ فقولُهُ: اتَّخَذَ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصمدُ، لم أَلِدْ، ولم أُولَدْ، ولم يكن لي كُفُئًا أحدٌ**»[1].

٢- حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[2].

معنىٰ اسم الله (الواحد، الأحد) في حقه- سُبْحَانَهُ:

- قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٦٣]-: «... معبود واحد ورب واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خلق من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير».

واختلف في معنىٰ وحدانيته- تَعَالَى ذكره-:

فقال بعضهم: معنىٰ وحدانية الله معنىٰ نفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال: فلان واحد الناس، وهو واحد قومه، يعني بذلك: أنه ليس له في الناس

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٩٧٤).

(٢) سبق تخريجه.

مثل، ولا له في قومه شبيه، ولا نظير؛ فكذلك معنىٰ قول الله ﴿وَاحِدٌ﴾ يعني به الله: لا مثل له، ولا نظير...

وقال آخرون: معنىٰ وحدانيته- تَعَالَىٰ ذكره- معنىٰ انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه، قالوا: وإنما كان منفردًا وحده؛ لأنه غير داخل في شيء ولا داخل فيه شيء...»[1].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفرده بصفاته التي لا يشركه فيها أحد، واللهتَعَالَىٰ هو الواحد في الحقيقة، ومن سواه من الخلق آحاد تركبت»[2].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده؛ ولم يكن معه آخر، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ إذ كل شيء سواه يدعىٰ واحدًا، فهو واحد من جهة، غير واحد من جهات، واللهسُبْحَانَهُ الواحد الذي ليس كمثله شيء»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في (الأحد) نفي لكل شريك لذي الجلال»[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]: «يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا ندّ ولا شبيه ولا عديل»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧٤٥).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٦).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٨١).

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٨١).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧).

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفؤ له، ولا مثيل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤلَه ويُعبَد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه»[١].

وقال أيضًا: «الواحد، الأحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب علىٰ العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة»[٢].

الفرق بين الواحد والأحد:

الفرق بينهما راجع إلىٰ كون «الواحد»: المتفرد بذاته فلا يضاهيه أحد، و«الأحد»: المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها أحد[٣]، وقيل: بل هو أعم يشمل تفرد الذات والصفات[٤][٥].

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٧).

(٢) المرجع السابق (ص: ٩٤٥).

(٣) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي (ص:٨٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١٥٩)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٦٥).

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ، للزجاج (ص: ٥٨).

(٥) ذكر ابن رجب فروقًا أخرىٰ، تراجع في المجموع من تفسيره (٢/ ٦٦٥).

اقتـران اسـم الله (الواحـد - الأحـد) بأسمائـه الأخـرى- سُـبْحَانَهُ ـ في القـرآن الكريـم:

أولًا: اقتران اسم الله (الواحد) بأسمائه الأخرى:

- اقتران اسم الله (الواحد) باسم الله (القهار):

تقدم بيانه في اسم الله (القهار).

ثانيًا: اقتران اسم الله (الأحد) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الأحد) بأي من أسماء الله تَعَالَى.

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الواحد، الأحد):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الواحد، الأحد) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الواحد الأحد الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، وباين بأحديته جميع الموجودات، فلا يشاركه مشارك لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل واحد أحد فيها، قال تَعَالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١][١]، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في ذاته:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في ذاته المقدسة، بائن من خلقه، مستو على عرشه، لم يكن له صاحبة، ولم يتخذ ولدًا، ولا شريكًا في الملك، ولا وليًّا من الذل،

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٧-٧٨).

يقول تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١].

٢- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في أسمائه:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في أسمائه الحسنىٰ التي تليق بجلاله وعظمته وكماله، تفرد بحسنها فلا أحسن منها، وتفرد بعددها فلا يشاركه أحد في كثرتها ولا في العلم بجميعها، وتفرد بأسماء منها اختص بها فلا يتسمىٰ بها غيره، كاسمه: الله، والأحد، والصمد، والرحمن، والخالق، والرازق[1].

وواحد أحد في كمالها، فبعض أسمائه وإن تسمىٰ بها غيره إلا أنه واحد أحد في كمالها؛ فهي دالة علىٰ صفات كمال ونعوت جلال، لا أعلام محضة، بخلاف تسمي البشر بها، فربما تسمىٰ الواحد منهم بعزيز، وكريم، وعليم وليس هو كذلك، وربما كان كذلك إلا أن اتصافه بما يدل عليه الاسم ناقص يليق بحاله وعجزه وضعفه؛ ولذا قال تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

٣- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في صفاته:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في صفاته العلية، متفرد بأوليته في الوجود بلا ابتداء كما جاء في الحديث: « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ** »[2]، ومتفرد بآخريته بالديمومة والبقاء بلا انتهاء، قال تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣].[3]

وواحد أحد في كمال صفاته وجلالها؛ فهو الأحد في قهره وغلبته لكل

---

(١) ينظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (ص: ١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٣).

شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وهو الأحد في صمديته وكماله من كل وجه، وقصد سائر العباد له في جميع الحوائج والنوائب والمدلهمات، قال تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

وهو الأحد كذلك في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف فيها بغاية الكمال ونهايته، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

ولما كان كذلك تعذر علىٰ جميع الخلق الإحاطة بشيء منها، أو إدراك شيء من نعوتها، فضلًا عن مماثلة شيء منها، قال تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مكافئ بوجه من الوجوه[١].

٤- وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ في أفعاله:

الله عَزَّوَجَلَّ واحد أحد في **أفعاله وربوبيته** لا شريك له ولا ظهير ولا معين، ولا منازع ولا مغالب[٢]، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤-٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

---

(١) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٠-٦١).

(٢) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي (ص: ٦٠).

واحد «متفرد في ملكوته- في الدنيا- بأنواع التصرفات من الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، والخلق والرزق، والإعزاز والإذلال، والهداية والإضلال، والإسعاد والإشقاء، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والوصل والقطع، والضر والنفع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما علىٰ إماتة من هو محييه، أو إعزاز من هو مُذِلُّه، أو هداية من هو مُضِلُّه، أو إسعاد من هو مُشقيه، أو خفض من هو رافعه، أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه، أو ضر من هو نافعه، أو عكس ذلك؛ لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنىٰ لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه، عدل فيهم قضاؤه، نافذة فيهم مشيئته، لا امتناع لهم عما قضاه، ولا خروج لهم من قبضته، ولا تتحرك ذرة في السماوات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[1].

وواحد متفرد في ملكوته تشريعًا وحكمًا دينيًّا ودنيويًّا، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»[2].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول، للحكمي (١/ ١٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٠٩٥)، والبيهقي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٢٠٤٠٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٩٥).

وواحد متفرد في ملكوته في الآخرة- كما تفرد في ملكوته في الدنيا- بأنواع التصرفات من إفناء الأحياء، وقبض الأرض وطي السماء، والإذن بالنفخ في الصور، وبعث الموتىٰ ونشرهم، وكسوة من شاء من الخلق، وظل من شاء تحت ظل عرشه، والشفاعة والإذن فيها لمن شاء، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، والعرض والحساب، ونصب الصراط وتثبيت الأقدام، والجزاء بالجنة أو النار، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وواحد أحد في كمال الأفعال؛ فكلها حكمة، وعدل، ورحمة، وإحسان ليس فيها فعل بلا مصلحة، ولا فعل عشواء وعبث، كما جاء في الحديث: «**والخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(١).

ثم إنه سُبْحَانَهُ **في جميع ما سبق** من الذات والأسماء والصفات والأفعال واحد أحد متفرد عن كل نقص، وعيب، وسوء؛ لكماله من كل وجه وفي كل حال، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

الأثر الثاني: توحيد الله الواحد الأحد، ودلالة الاسمين الكريمين عليه[1].

إن أعظم أثر وموجب لهذين الاسمين الجليلين الكريمين: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ إذ معناهما- كما سبق- **دال علىٰ تفرده بالأفعال مما يوجب علىٰ العبد أن يوحد ربه بالربوبية،** فيعتقد أنه وحده الرازق ولا رازق غيره، ووحده الضار النافع، ولا ضار ولا نافع غيره، ووحده الشافي ولا شافي غيره، ووحده منزل المطر ومجري السحاب وليس ذلك لأحد سواه، ووحده الذي بيده الشفاعة وليست لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي تقي، بل لله يأذن بها لمن يشاء ويرضىٰ، ونحو ذلك مما يتعلق بأفعال الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٤- ٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

ثم إذا اعتقد العبد هذا لزمه **أن يعتقد وحدانية الله في الألوهية**؛ فإن المتفرد بالربوبية هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما قرر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في جملة من الآيات، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥- ٦٦]،

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٩٠-٩٢).

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون اثنان قهاران متساويين في قهرهما أبدًا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده كما كان قاهرًا وحده»[١].

ومعنىٰ توحيد الألوهية: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع أنواع العبادات، سواء أكانت قلبية كالمحبة والخوف والخشية والرجاء والاستعانة والتوكل، أو قولية كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والنذر، أو فعلية كالصلاة والطواف والحج والذبح، فلا يصرف منها شيء لغير الله ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢][٢].

كما يفرده بالطاعة والتحكيم والتشريع، سواء فيما يتعلق بأمر الدنيا أو الدين، كما قال سُبۡحَانَهُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وإن تحقيق هذا التوحيد يعود علىٰ العباد بثمار طيبة في الدنيا والآخرة، ومنها[٣]:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧١٦).

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول، للحكمي (٢/ ٣٩٣).

(٣) نصينا علىٰ ثمار التوحيد- بخلاف العادة -؛ لأن أعظم أثر لاسم الله الواحد الأحد: التوحيد.

١- الهداية والتوفيق إلىٰ الصراط المستقيم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(١).

٢- الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] بخلاف المشرك فإنه «يخاف المخلوقين ويرجوهم، فيحصل له رعب، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١]»(٢).

٣- تفريج الكربات، كما في قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونداءه بالتوحيد: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فأتاه الفرج: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

حتىٰ إن المشركين ليعلمون أن في التوحيد تفريجًا للكرب، كما قال سُبْحَانَهُ عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (٦٩٣٧)، ومسلم، رقم الحديث: (١٢٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/ ٢٥٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقىٰ في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد»[1].

٤- السعادة بشفاعة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[2].

٥- منع الخلود في النار؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[3]، وفي حديث الشفاعة الطويل: «**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله**»[4].

٦- دخول الجنة؛ فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»[5].

وهذه الثمار تدعو العبد إلىٰ تعلم التوحيد وتحقيقه وتكميله، وتعلم

---

(١) الفوائد (ص: ٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٩٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٤٢٤)، وأبو داود، رقم الحديث: (٤٧٣٩)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٤٣٥)،حكم الألباني: صحيح،صحيح وضعيف أبي داود،رقم الحديث: (٤٧٣٩).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥١٠).

(٥) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٩٣).

ضده- أيضًا- وتوقيه والحذر منه والخوف، كما تدعوه إلىٰ سؤال ربه دومًا أن يرزقه التوحيد، ويثبته عليه إلىٰ الممات، ويقيه من ضده، كما قال خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥- ٣٦].

وعلَّمنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذة من الشرك، لا سيما الخفي، فقال لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**» قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»(١).

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والكُفْرِ والفُسُوقِ، والشِّقَاقِ، والنِّفَاقِ، والسُّمْعَةِ، والرِّيَاءِ**»(٢).

واسم الله الواحد الأحد دال أيضًا- كما سبق- علىٰ **تفرد الله** عَزَّ وَجَلَّ **بالأسماء والصفات**، وهذا يوجب للعبد أمرين:

الأول منهما: إثباتها من غير تعطيل ولا تحريف.

والثاني: نفي المشابه والمماثل له فيها.

وهذه حقيقة توحيد الأسماء والصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٥٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث: (٧١٦).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث (١٠٢٣)،و الحاكم، رقم الحديث (١٩٥٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث (٣٤٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير،رقم الحديث: (١٢٨٥).

الأثر الثالث: محبة الله الواحد الأحد:

إن معرفة اسم الواحد الأحد وما فيه من تفرد بالكمال والجمال في الذات والأسماء والصفات والأفعال، يدعو العبد إلىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بذلك، كما جاء في الحديث: «**إنَّ الله وترٌ يحبُّ الوترَ**»[1]، لا سيما وقد فُطرت القلوب علىٰ محبة من له الكمال، فكيف بمن بلغ المنتهىٰ في الكمال وتفرد به، فلم يشركه فيه أحد؟!

الأثر الرابع: التعلق بالله الواحد الأحد في المطالب، والاطمئنان إليه:

إن يقين العبد باسم الله الواحد الأحد الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها وضروراتها، وهو القادر علىٰ كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، والمتفرد بالنفع والضر؛ يثمر في قلب العبد تعلقًا بالواحد الأحد وتوجهًا إليه وحده لا شريك له، قال تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [فصلت:٦]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١- ٢].

وبالمقابل يثمر قطع التعلق بمن لا يملكون شيئًا، ولا يقدرون علىٰ شيء إلا بما أقدرهم الله عليه، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم.

وهذا يريح القلب من الشتات والإضطراب، ويجعله يسكن إلىٰ واحد في وجهته، وطلبه، وقصده، فيستريح ويطمئن؛ لأنه أسلم وجهه وقلبه لله وحده،

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٧٧).

ولم يتوجه لوجهات متعددة وشركاء متشاكسين يعيش بينهم في حيرة وقلق وصراع مرير، وقد ضرب الله تَعَالَىٰ مثلًا للموحد الذي يعبد إلهًا واحدًا هو الله عَزَّوَجَلَّ، وللمشرك الذي تنازعه آلهة شتىٰ يستعبدونه ويمزقونه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]؛ فالمشرك عبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضًا فيه، وهو بينهم موزع، ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف؛ وهو بينهم حائر لا يستقر علىٰ نهج ولا يستقيم علىٰ طريق، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه، فيعيش معذبًا قلقًا، لا يستقر علىٰ حال، ولا يرضي واحدًا منهم، فضلًا عن أن يرضي الجميع!

والموحد عبد يملكه سيد واحد، يعلم ما يطلبه منه، وما يكلفه به، فهو مستريح مستقر علىٰ منهج واحد صريح، لا يعرف إلا مصدرًا واحدًا للحياة، والقوة، والرزق، ومصدرًا واحدًا للنفع والضر، ومصدرًا واحدا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلىٰ هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته، ويتجه إلىٰ هدف واحد لا يزوغ عنه، ويخدم سيدًا واحدًا يعرف ماذا يرضيه فيفعله، وماذا يغضبه فيتقيه؛ وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين علىٰ الأرض متطلع إلىٰ إله واحد في السماء.

الأثر الخامس: ذكر الله الواحد الأحد بالتوحيد:

إن اسم الله الواحد الأحد وما فيه من الدلالة علىٰ التوحيد، يدعو العبد إلىٰ تجديد توحيده والإكثار من ذكره واللهج به، لا سيما وقد جاء في كثير من أذكار اليوم والليلة والمناسبات الشرعية الحث علىٰ الأذكار التي فيها توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها:

١- كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»؛ فعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»(١)، وقال: «**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قال: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»(٢).

- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»(٣).

٢- دعاء يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير»؛ فعن أُبَي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ،**

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣)، والنسائي في الكبري، رقم الحديث: (١٠٥٩٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٣).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨٨٣١)، والبزار، رقم الحديث: (٢٦٤- كشف الأستار)، حكم الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، رقم الحديث: (٢٦٢٦).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٥).

وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

وقال ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[2].

٣- الذكر في الصباح والمساء، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان نبي الله ﷺ إذا أمسىٰ قال: **أَمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**، قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ**، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: **أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ**»[3].

- وبما جاء عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ**

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٩٣)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٧٠٨٠)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٨٥).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٣).

وَرَسُولُكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ»[(١)].

٤- الذكر بعد الوضوء؛ فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ** -أو **فَيُسْبِغُ**- **الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[(٢)].

٥- الذكر في دعاء الاستفتاح؛ فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ... وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...**» إلخ[(٣)].

٦- الذكر بعد الصلاة؛ فعن وراد مولىٰ المغيرة بن شعبة، قال: كتب المغيرة إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (٨٢)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦٧)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٣٩٢)، حكم الألباني: صحيح، تخريج الكلم الطيب، رقم الحديث (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٨٤٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٥٩٣).

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(١)].

٧- الذكر عند الانتباه من النوم؛ فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[(٢)].

فحري بالعبد أن يحرص علىٰ مثل هذه الأذكار، التي فيها توحيد الواحد الأحد.

الأثر السادس: قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وتدبرها:

ورد اسم الله (الأحد) في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٥٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١١٥٤).

(٣) سبق تخريجه.

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ »، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[1].

وإنما عدلت ثلث القرآن- كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ناقلًا عن أبي العباس بن سريج رَحِمَهُ اللَّهُ ومستحسنًا-؛ لأن القرآن أنزل علىٰ ثلاثة أقسام: ثلث منه أحكام، وثلث منه وعد ووعيد، وثلث منه أسماء وصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات[2].

ولهذه السورة فضائل أخرىٰ، منها[3].

١- أنها صفة الرحمن؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلًا علىٰ سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[4].

٢- أن حبها يوجب محبة الله؛ كما جاء في حديث عائشة آنف الذكر، وفيه: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٠٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٥٤، وما بعدها).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

٣- أنها تمنع صاحبها من الشر وتكفيه؛ فعن عبدالله بن خبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: **قُلْ**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **قُلْ**، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: **قُلْ**، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **قُلْ: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»[1].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ»[2].

٤- أن حبها يوجب دخول الجنة؛ فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[3].

وفي رواية: قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَىٰ أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَىٰ،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٨٢)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٧٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٥٥) معلقًا. وابن حبان رقم الحديث: (٧٩٢)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٧٨٩).

قَالَ مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: **يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»(١).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «أقبلت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَجَبَتْ**، قلت: وما وجبت؟ قال: **الْجَنَّةُ**»(٢).

وهذه الفضائل وغيرها تدعو العبد إلىٰ قراءتها، وتردادها، وتدبر معانيها، ومحبتها.

الأثر السابع: دعاء الله باسمه الواحد الأحد:

إن معرفة العبد لاسم الله الواحد الأحد يدعوه إلىٰ دعاء الله وسؤاله بهما؛ امتثالًا لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] لا سيما وقد جاء ما يدل علىٰ أن اسم الله الأحد هو الاسم الأعظم؛ فقد سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١)، وأبو يعلىٰ، رقم الحديث: (٣٣٣٥)، وابن خزيمة، رقم الحديث: (٥٣٧)، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٨١٢٦)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٨٩٧)، والنسائي، رقم الحديث: (٩٩٣). حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث:(٢٨٩٧).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ الله بِاسْمِهِ الأعظمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[1]، وجاء في فضل الدعاء بهما حديث محجن بن الأدرع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخلَ المسجدَ، إذا رجلٌ قد قَضىٰ صلاتَهُ وَهوَ يتشَهَّدُ، فقالَ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك يا اللهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، قال: فقال نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثلاث مرار»[2].

كما يدعوه إلىٰ سؤال الله بما تضمنه اسمه الواحد الأحد من التوحيد؛ فإن التوحيد لما عظم مقامه عند الله كان التوسل به مظنة للإجابة، وقد جاء في نصوص الوحيين التوسل لله به، ومن ذلك:

١- دعاء ذي النون، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَه»[3].

٢- دعاء يوم عرفة؛ فعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلته أنا والنبيُّون مِنْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٤١٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٠٥).

قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

٣- دعاء سيد الاستغفار؛ فعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قال: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٢).

٤- دعاء الكرب والهم؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»(٣).

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث (٣٥٨٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث (٣٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٣٤٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٠).

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٠٧٥٩)، وأبو داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٤١٢)، حكم الألباني، حسن، صحيح وضعيف أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٠).

٥- دعاء كفارة المجلس؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسلمَ أنه قال: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**»[١].

دعاء ما بعد التشهد الأخير؛ فعن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: **اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[٢].

فعلىٰ العبد أن يدعو الله بهذه الدعوات وبغيرها، متوسلًا بالتوحيد، متيقنًا معناه؛ فإنه أعظم ما يتقرب لله به.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا، إنك أنت الغفور الرحيم.



---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠١٥٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٣٤٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٧٧١).

الوَدودُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وددت الرجل أوده ودًّا، إذا أحببته، والوُد والوَد والوِد: المودة...»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو والدال: كلمة تدل علىٰ محبة، وددته: أحببته، وودت أن ذاك كان: إذا تمنيته...»[2].

ورود اسم الله (الودود) في القرآن الكريم:

ورد اسمه سُبۡحَانَهُ **(الودود) في القرآن مرتين، هما:**

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠].

٢- قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣-١٤].

ورود اسم الله (الودود) في السنة النبوية:

لم يرد اسمه سُبۡحَانَهُ (الودود) في السنة النبوية، إلا في حديث سرد الأسماء عند الترمذي.

---

(١) تاج اللغة (٢/ ٥٤٩).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ٧٥).

معنى اسم الله (الودود):

يدور اسم (الودود) في حقه تَعَالَى حول معنيين:

١- **ودود بمعنىٰ فاعل**، أي: واد، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وعباده الصالحين.

٢- **ودود بمعنىٰ مفعول**، أي: مودود، وهو المحبوب سُبْحَانَهُ، ولا يستحق المحبة الكاملة إلا هو سُبْحَانَهُ.

وحول هذه المعاني الثلاثة تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه»[1].

❊ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المحب لخلقه، والمثني عليهم والمحسن إليهم»[2].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❊ **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «والودود: الحبيب»[3].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الودود بكثرة إحسانه، أي: المستحق لأن يُوَد فيُعبَد ويُحمَد»[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٥٦).

(٢) الأسنىٰ (ص: ٣٨٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٣٣).

(٤) المنهاج (١/ ٢٠٦).

من الأقوال التي تجمع بين المعنىٰ الأول والثاني:

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون فعولًا في محل مفعول،... أي: أنه سُبْحَانَهُ مودود في قلوب أوليائه؛ لما يتعرفونه من إحسانه إليهم وكثرة عوائده عندهم، والوجه الآخر: أن يكون الودود بمعنىٰ: الواد، أي: أنه يود عباده الصالحين، بمعنىٰ: أن يرضىٰ عنهم ويتقبل أعمالهم، وقد يكون معناه أن يوددهم إلىٰ خلقه»[(١)].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الودود ففيه قولان؛ أحدهما: أنه بمعنىٰ فاعل، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين، والثاني: أنه بمعنىٰ: مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يُحب الحب كله، وأن يكون أحب إلىٰ العبد من سمعه، وبصره، وجميع محبوباته»[(٢)].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الودود هو المحب المحبوب، بمعنىٰ: واد ومودود، فهو الذي يحب أنبياءه، ورسله، وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلئت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه»[(٣)].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وهـوَ الـوَدُودُ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبُّـهُ ... أَحْبَابُـهُ والفَضْـلُ لِلْمَنَّـانِ
وَهـوَ الَّـذِي جَعَلَ المَحَبَّةَ فِي قُلُو ... بِــهْم َوجَازَاهُـمْ بِحُـبٍّ ثَـانِ

(١) شأن الدعاء (١/ ٧٤).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٣١٥).

(٣) الحق الواضح المبين (ص: ٦٩ - ٧٠).

هَـذَا هُـوَ الإِحْسَـانُ حَقًّـا لَا مُعَـا   وَضَـةً وَلَا لِتَوَقُّـعِ الشُّـكْرَانِ[1].

اقتران اسم الله (الودود) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الودود) باسمه سُبْحَانَهُ (الرحيم):

تقدم بيانه في اسم الله (الرحيم).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الودود) باسمه سُبْحَانَهُ (الغفور):

تقدم بيانه في اسم الله (الغفور).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الودود):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الودود) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الودود سُبْحَانَهُ هو المتحبب إلىٰ عباده بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، التي إن لامست القلوب رأت ربًّا رحيمًا عظيمًا كريمًا قويًّا قادرًا، له الجلال والكمال والعزة والسلطان، فعند ذلك تفيئ إليه وحده، وتقبل عليه دون سواه، وتتخذه إلهًا معبودًا، وبذلك تخلص لربها، وتوحده وتتخلص من العبودية لغيره؛ فتنال سعادة الدنيا والآخرة.

ومن أبرز مظاهر تودد الله لعباده ما يلي:

- **تعريف عباده بذاته** سُبْحَانَهُ: فهو سُبْحَانَهُ المتودد إلىٰ خلقه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، التي إن عرفها العباد وآمنوا بها تعلقت قلوبهم بربهم،

---

(١) النونية (ص: ٢٠٨).

وصارت محبتهم له هي المحرك لعزائمهم إذا فتروا، والمثير لهممهم إذا قصروا؛ وذلك لأن القلوب والأرواح الصحيحة مجبولة علىٰ محبة الكمال، والله تَعَالَى له الكمال التام المطلق، فكل وصف من صفاته له خاصية في العبودية، وسبب لانجذاب القلوب إليه وحده سُبْحَانَهُ[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف محبة الله تَعَالَى: «وكما أنه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته محبة»[(٢)].

- تعدد أنعامه وأفضاله سُبْحَانَهُ علىٰ عباده في شؤون دينهم ودنياهم:

فبنعمه أوجدهم، وأبقاهم وأحياهم، وأصلحهم، وأتم لهم الأمور، وكمل لهم الضروريات والحاجيات والكماليات، وهداهم للإيمان والإسلام، وهداهم لحقائق الإحسان، ويسر لهم الأمور، وفرج عنهم الكربات، وأزال المشقات، وشرع لهم الشرائع، ويسرها ونفىٰ عنهم الحرج، وبين لهم الصراط المستقيم وأعماله وأقواله، ويسر لهم سلوكه وأعانهم علىٰ ذلك شرعًا وقدرًا، ودفع عنهم المكاره والمضار كما جلب لهم المنافع والمسار، ولطف بهم ألطافًا شاهدوا بعضها وما خفي عليهم منها أعظم.

فجميع ما في الخليقة من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان، الداخلية والخارجية، الظاهرة والباطنة، فإنها من كرمه وجوده، يتودد بها إليهم، فالقلوب مجبولة علىٰ محبة المحسن إليها، وأي إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتعذر إحصاء أجناسه، فضلًا عن أنواعه، فضلًا عن

---

(١) وهذا يتجلىٰ في معاني أسماء الله الحسنىٰ كلها.

(٢) الفوائد (ص: ١٨٣).

أفراده، وكل نعمه منه تطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

- **قربه من أوليائه، وتسديده لهم**: فمن كان الله وليه حفظه في حركاته وسكناته، وجعله مجابًا للدعوة وجيهًا عنده، كما في الحديث القدسي: «**لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[(١)].

- **حلمه علىٰ العصاة وقربه من التائبين من عباده**، فعرفهم بسعة رحمته، وعظيم مغفرته، ودعاهم إلىٰ الفيئة والرجوع إليه، ووعدهم علىٰ ذلك أن يقبل توبتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات، قال سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠][(٢)]، فهو الذي يفرح بتوبة عباده مع غناه عنهم وعن عبادتهم، وإن أصر العبد علىٰ العصيان، وتجرأ علىٰ المحرمات، وقصر في الواجبات ستره الودود، وحلم عليه، وأمده بالنعم، ولم يقطع عنه منها شيئًا، ثم يقيض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب، فيغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم، ويعيد عليه وده وحبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٨٧).

وعليه فحري بمن عرف اسم الله الودود وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، فيسأله وده ورحمته وفضله وهبته.

الأثر الثاني: محبة الودود سُبْحَانَهُ:

إن محبة الله سُبْحَانَهُ من الفطرة التي فُطرت القلوب عليها، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب إنما خُلق لأجل حب الله تَعَالَىٰ، وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»، **ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠][(١)]، فالله سُبْحَانَهُ فطر عباده علىٰ محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفًا بالله، محبًّا له، عابدًا له وحده»[(٢)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله فطر القلوب علىٰ محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا منه، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل»[(٣)].

فأصحاب الفطر السوية، والقلوب النقية، والتأملات في ملكوت الله العلية، أعظم شيء لديهم هو محبة الله، ولذا سعىٰ إليها السائرون، وشمر لها

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٣٥٨). ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٠/ ١٣٤-١٣٥).

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٢٥٠).

العابدون، فعرفوا ربهم، والتفت إليه قلوبهم، وتخلت عن كل ما عداه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذلك**: «وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»(١).

ولمحبة الله الصادقة أربعة شروط، ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي:

الأول: أن يحب الله عَزَّوَجَلَّ حبًّا من جنس حب العبادة المقرون بالذلة والخضوع والإفتقار والطاعة المطلقة، حبًّا لا يشابه أي حب آخر، حبًّا لا يشابه حب الشهوة للنساء، ولا حب البر للآباء، ولا حب الشفقة بالأبناء، ولا حب الندية للأصدقاء بل يحبه حب العابد لربه، والمخلوق لخالقه، والمملوك لمالكه، والمرزوق لرازقه، حبًّا مقرونًا بالخشية، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثاني: ألا يحب شيئًا مثله معه، بل ولا تبقىٰ مثقال ذرة من هذا الحب- أي حب العبادة- إلا صرفها لله وحده، فلا يحب أحدًا غير الله عَزَّوَجَلَّ مثله في النوع، وكذلك في الكمية، فلا يحب أحدًا أكثر من الله، بل لا يحب أحدًا مثل الله أصلًا، حتىٰ وإن كان حبه لهذه الأشياء ليس حب العبادة، فمن فعل ذلك عرض نفسه لعقوبة الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٢).

الثالث: ألا يحب شيئًا غير الله إلا من أجله، وهو الحب في الله.

الرابع: أن يبغض ما يباعده عن الله أشد من بغضه لأبغض الأشياء إليه، وهي النار» **وقد جمع ثلاثةً منها حديثُ النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **الذي قال فيه**: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ- بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ- كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[1].

الأثر الثالث: نيل ثمرات محبة الله للعبد:

لا شك أن أعظم رتبة يبلغها المؤمن أن يكون من الذين يحبهم الله عَزَّوَجَلَّ، فهي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفانىٰ فيها المحبون، هي قوت القلوب، وقرة العيون، والمحبة التي توصل المؤمن إلىٰ مراتب الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن أبرز ثمرات محبة الله لعبده ما يلي:

١- الحصول علىٰ الإيمان:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: **«إِنَّ اللهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ»**[2].

والله يعطي المال للبر والفاجر، والتقي والغني، فيسوق له الدنيا، ولكن لا يعطي الإيمان إلا لمن يحب، فهي الطريق المستقيم ومفتاح الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (١٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٤٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٨٩٩٠)، قال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٩٠).

٢- تحقيق الأمن التام، وقلب المخاوف أمنًا:

فمن تأمل قصة موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في سورة طه، وقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٧-٣٩] رآها حركات كلها عنف، وخشونة، قُذف في التابوت بالطفل، وقذف في اليم بالتابوت، وإلقاء للتابوت علىٰ الساحل، ثم ماذا؟ يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليم الملقىٰ به علىٰ الساحل، فيستلمه ﴿عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ [طه:٣٩].

وفي زحمة هذه المخاوف كلها، وبعد تلك الصدمات كلها، ما الذي حدث للطفل الضعيف المجرد من كل قوة؟ ما الذي جرىٰ للتابوت الصغير المجرد من كل وقاية؟ ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩] جرىٰ أمر الله أن يتربىٰ موسىٰ في بيت فرعون ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨].

٣- الحفظ والحماية من الدنيا:

يقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَهُ الماءَ**»(١).

٤- المعية الإلهية:

يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٤٢٩٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٢٨٢).

يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

قال الحارث المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن علامة محبة الله للعبد أن يتولىٰ الله سياسة همومه، فيكون في جميع أموره هو المختار لها»(٢).

٥- مغفرة الذنوب، والعتق من النار والعذاب:

يقول تعالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١]، وكذلك رَدَّ الله تَعَالَى علىٰ اليهود والنصارىٰ ادعاءهم أنهم أحبابه فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨]، وفي السنة ما رواه أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ صَبِيٌّ عَلَىٰ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ الْقَوْمَ خَشِيَتْ أَنْ يُوطَأَ ابْنُهَا، فَسَعَتْ وَحَمَلَتْهُ، وَقَالَتِ: ابْنِي ابْنِي، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُلْقِيَ ابْنَهَا فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، وَلَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني (١٠/ ٩٩).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٦٧١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٠٩٥).

٦- التوفيق للعمل الصالح والتوبة بعد الذنوب:

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَسَلَهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا عَسَلُهُ؟ **قَالَ: «يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهُ جِيرَانُهُ» أَوْ قَالَ: مَنْ حَوْلَهُ**»[1]، قال الفضيل رَحِمَهُٱللَّهُ: «وإذا أحب الله عبدًا وفقه لعمل صالح، فتقربوا إلىٰ الله بحب المساكين»[2]، وفي الحديث الآخر يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ، مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرِّفْقَ إِلَّا حُرِمُوا**»[3].

٧- إلقاء محبة عبده في قلوب الخلق:

كما قال الله تَعَالَىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي: محبة في قلوب العباد، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ**، قال: **فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**، قال: **ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»[4]،

---

(١) أخرجه الحاكم، رقم الحديث: (١٢٦٢). حكم الألباني: صحيح، صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (٣٣٥٧).

(٢) اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/ ١٤١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٢٢٧٤)، قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وله في الصحيح: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ**». فقط، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٨).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٢٠٩)، ومسلم واللفظ له، رقم الحديث: (٢٦٣٧).

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عاملوا الله عَزَّوَجَلَّ بالصدق في السر، فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبدًا أسكن محبته في قلوب العباد»[1].

الأثر الرابع: السعي لتحصيل الأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد:

إن محبة الله تَعَالَى هي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام[2].

والمؤمنون في درجة محبتهم لربهم متفاوتون، وفي قربهم من الله متفاضلون، وإن كانوا جميعًا يطمحون لزيادة محبتهم لربهم، محبة تحببهم في طاعته سُبْحَانَهُ، والبعد عن معصيته.

ومن الأعمال التي تزيد محبة الله تَعَالَى في قلوب عبيده، وبها يحب الله عباده، ما يلي:

أولًا: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وتفطن مراد الله منه:

ولا عجب أن يكون القُرْب من كتاب الله من أعظم القُرَب الموجبة لمحبة الله، فإذا كان الله تَعَالَى قد شاء بحكمته أن يكون الإيمان به من الإيمان بالغيب؛ فإنه قد شاء- أيضًا- أن يكون خطابه لعباده وحديثه إليهم من أمر الشهادة، فجعل كلامه مسطورًا، يُسمع ويُقرأ، ويتكرر وقعه بلفظه ومعناه على القلوب والأفئدة.

---

(١) الحلية (٨/ ٨٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٨).

ولا شك أن من أكبر الدلائل على محبة القرآن: السعي إلى تفهمه وتدبره والتفكر في معانيه، كما أن من دلائل خفة تلك المحبة أو عدمها: الإعراض عن تدبره وتأمل معانيه، قال تَعَالَى ذامًّا المنافقين على عدم تدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولذا كان السلف يستشعرون هذا المعنى وهم يقرءون القرآن، حتى إنهم كانوا يتلقونه تلقي الغائب الغريب لرسالة جاءت على شوق من الحبيب، قال الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار»(١).

فقراءة القرآن وتدبره تشريف للبشر وكرامة، **يقول ابن الصلاح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة على استماعه من الإنس»(٢)، ولأن القرآن هو الدال على الله وعلى محاب الله، فلا جرم أن كانت محبته هي طريق القلب والعقل لمعرفة الله وما يحبه، ومما يدل على ذلك: أن رجلًا من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، استجلب محبة الله بتلاوة سورة واحدة وتدبرها ومحبتها، وهي سورة الإخلاص التي فيها صفة الرحمن سُبْحَانَهُ فظل يرددها في صلاته، فلما سئل عن ذلك قال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(٣)، وفي الحديث الآخر، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (ص: ٢٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ٢٩١).

(٣) سبق تخريجه.

«من أحب القرآن، فهو يُحِب اللهَ ورسولَه»[1]، وأهل القرآن هم خاصة الله تَعالَى، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ عَزَّوَجَلَّ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ،قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[2].

ثانيًا: التقرب إلىٰ الله تَعالَى بالنوافل بعد الفرائض:

فمؤدي الفرائض كاملة محب لله، ومؤديها وبعدها النوافل محبوب من الله، ويدل علىٰ ذلك الحديث القدسي، وفيه: «... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[3]، فالمحبون هم المتقربون بالفرائض، والمحبوبون هم المتقربون بالنوافل بعد الفرائض، وهم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من الخلق.

يقول ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أولياء الله المقربون قسمان:

أحدهما: من تقرب إلىٰ الله بأداء الفرائض،... وأهل هذا القسم هم المقتصدون الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر:٣٢]، وهم أصحاب اليمين الذين قال فيهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]، فأداء الفرائض أفضل الأعمال؛ كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ).

---

(١) تفسير ابن رجب (٢/ ٢١٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٤٨٦)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٢١٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٥٠٢).

الثاني: من تقرب إلىٰ الله تَعَالَى بعد أداء الفرائض بالنوافل، وهم أهل درجة السابقين المقربين.. لأنهم تقربوا إلىٰ الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع»(١).

ثالثًا: دوام ذكره سُبْحَانَهُ علىٰ كل حال:

فذكر الله تَعَالَى هو شعار المحبين له، المحبوبين منه تَعَالَى، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إذا هو ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»(٢).

فصاحب الذكر مذكور عند الله بالثناء والمحمدة والمحبة، وموعود بالمغفرة والأجور العظيمة، يقول تَعَالَى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٣٥].

ولهذا كان الذكر روح الأعمال، ويظهر ذلك من اقتران أكبر الأعمال الصالحة به في القرآن.

- **الشهادة**، ف،(لا إله إلا الله) أفضل ما يذكر به الذاكرون.
- **الصلاة**، قال تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]
- **الحج**، قال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة:٢٠٠].

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٢)، حكم الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٧٩٢).

- **الجهاد**، قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شأن الذكر**: «وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم مأمورون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا: ازداد المذكور محبة إلىٰ لقائه واشتياقًا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء»[(١)].

رابعًا: إيثار محاب الله علىٰ كل محاب النفس والهوىٰ:

والقرآن والسنة مملوءان بذكر ما يحبه الله سُبۡحَانَهُ من أفعال عباده المؤمنين، وأقوالهم وأخلاقهم، فمن محابه سُبۡحَانَهُ التي وردت في كتابه وسنة نبيه:

- **التقوىٰ**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤]

- **الإحسان**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

- **التوبة والطهارة**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٦).

- **الصلاة علىٰ وقتها**، سئل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»[1].

- **الصبر**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

- **التوكل عليه**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

- **الجهاد**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

- **الذكر**، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»[2].

- **الحلم والأناة**، عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال- لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهَ: الحِلْمُ والأَنَاةُ**»[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «يحتاج المسلم إلىٰ أن يخاف الله، وينهىٰ النفس عن الهوىٰ، ونفس الهوىٰ والشهوة لا يعاقب عليه، بل علىٰ اتباعه، والعمل به، فإذا كانت النفس تهوىٰ وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله، وعملًا صالحًا»[4].

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «إيثار رضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ غيره، وهو يريد أن يفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق، هي درجة الإيثار وأعلاها للرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٦٤٠٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٨).

(٤) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، لمحمد عويضة (٥/ ١٧٨).

عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

خامسًا: مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته ومشاهدتها:

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ**»، باب: «المعرفة فعل القلب»[2]، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، **يقول ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ**» ظاهر في أن العلم بالله درجات، وأن بعض الناس فيه أفضل من بعض، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه في أعلى الدرجات، والعلم بالله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه، وما يتعلق بذلك، فهذا هو الإيمان حقًّا»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته، وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه، وتخافه، وترجوه، وتشتاق إليه، وتلتذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بصفاته»[4]، وفي ذات المعنى **يقول الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عرف ربه أحبه»[5].

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان، (١٣).

(٣) فتح الباري (١/ ٨٩).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٥١).

(٥) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (ص: ٣٣٢).

سادسًا: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة:

فالإنعام والبر واللطف معان تسترق مشاعره، وتستولي علىٰ أحاسيسه، وتدفعه إلىٰ محبة من يسدي إليه النعمة، ويهدي إليه المعروف، والناس مجبولون علىٰ محبة من يحسن إليهم، ولا منعم علىٰ الحقيقة، ولا محسن إلا الله، فلا محبوب في الحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تَعَالَىٰ، ولا مستحق للمحبة كلها سواه، وإنما يُحَب غيره تبعًا لمحبته سُبْحَانَهُ، وصورُ إحسانه ومظاهرها أجلُّ من أن يحيط بها العبد.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أحد أعظم إحسانًا من الله سُبْحَانَهُ؛ فإن إحسانه علىٰ عبده في كل نفس ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله، ولا سبيل له إلىٰ ضبط أجناس هذا الإحسان، فضلًا عن أنواعه، أو عن أفراده، ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النفس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرين ألف نعمة، فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفَس، وكل نفَس نعمة منه سُبْحَانَهُ، فإذا كان أدنىٰ نعمة عليه في كل يوم أربعة وعشرين ألف نعمة، فما الظن بما فوق ذلك وأعظم منه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[النحل: ١٨].

هذا إلىٰ ما يصرف عنه من المضرات، وأنواع الأذىٰ التي تقصده، ولعلها توازن النعم في الكثرة، والعبد لا شعور به بأكثرها أصلًا، والله سُبْحَانَهُ يكلؤه منها بالليل والنهار، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ﴾ [الأنبياء:٤٢]»(١).

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣١٥).

سابعًا: انكسار القلب بكُلِّيَّته بين يدي الله:

والانكسار بمعنىٰ الخشوع، وهو الذل والسكون، يقول تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، والخشوع معنىٰ يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار[١].

وعليه فإن الخشوع معنىٰ أعم من أن ينحصر في الصلاة؛ لأن التعظيم والمحبة والانكسار لله، مطلوب من المؤمن في كل حال، وإن كانت الصلاة موضعًا لظهور أثر الخشوع؛ لأنها أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربه.

وقد كان السلف يحذرون من التكلف أو التصنع في الخشوع، ومن شواهد ذلك:

- قال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترىٰ الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع»[٢].

- رأىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إن الخشوع في القلوب»[٣].

ثامنًا: الخلوة به تَعَالَى وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه:

فأصحاب الليل هم- بلا شك- من أهل المحبة، بل هم من أشرف أهل المحبة؛ لأن قيامهم في الليل بين يدي الله تَعَالَى يجمع لهم جل أسباب المحبة

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٥١٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥١٧) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٥١٧) .

التي سبق ذكرها، وفي الحديث يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**واعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**»[1]، ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل، فقيل له: ما بال المجتهدين من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره»[2].

ولمنزلة أهل القيام عند ربهم قال الله تَعَالَى عنهم: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦]،

وتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتين الآيتين لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معرض جوابه عن سؤاله: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار»، وقد جاء في هذا الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**، ثم تلا: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ **حَتَّىٰ بَلَغَ**: «**يَعْمَلُونَ**»»[3].

ولفظ الآية عام في كل عبادة ودعاء في الليل، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خص قيام الرجل في جوف الليل؛ لأن صلاة الليل هي أفضل نوافل الصلاة، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث: (١٠٠٥٨)، حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٧٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة (ص: ٦٧).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٢٢٠١٦)، والترمذي، رقم الحديث (٢٦١٦) والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث (١١٣٣٠)، ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٧٣)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٧٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١١٦٣).

تاسعًا: مجالسة المحبين والصادقين:

إن محبة المسلم لأخيه المسلم في الله، ثمرة لصدق الإيمان وحسن الخلق، وهي سياج واق يحفظ الله بها قلب العبد، ويشد فيها الإيمان حتىٰ لا يتفلت أو يضعف، وورد في ذلك شواهد كثيرة، منها:

- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وِالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وِالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»[1].

- روىٰ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ؟ قالَ: لَا؛ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[2].

- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ»[3].

---

(١) اخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٥٧٥)، حكم الألباني: صحيح، التعليقات الحسان، رقم الحديث: (٥٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٥٦٧) (المدرجة) بفتح الميم والراء: هي الطريق، وقوله: (تَرُبُّهَا): أي: تقوم بها وتسعىٰ في صلاحها.

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢١).

عاشرًا: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ:

فالقلب إذا فسد لن يجد المرء فائدة فيما يصلحه من شئون دنياه، ولن يجد نفعًا أو كسبًا في أخراه، قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، ومن دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**»[١].

والقلب السليم هو السليم مما سوىٰ الله، أو مما سوىٰ عبادة الله، أو مما سوىٰ إرادة الله، أو مما سوىٰ محبة الله، وجماع سلامة القلب بالتزام الطاعات واجتناب النواهي، يقول تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم -أي: امتحنهم- بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[٢].

الأثر الخامس: الحذر مما لا يحب الله تعالىٰ:

علىٰ العبد أن يحذر ويجتنب كل مايبغضه ربه ويكرهه؛ فإن الله إذا أبغض عبدًا أبغضه الكون كله طوعًا لله تَعَالَى، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ**، قال: **فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ**

---

(١) أخرجه النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٣)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

يُنَادِي- فِي أَهْلِ السَّمَاءِ- إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قال: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ»[1].

وجماع مايبغضه الله تَعَالَى: هو ماتعوذ منه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، والأَعْمَالِ، والأَهْوَاءِ»[2].

والأمور المبغضة عند الله تَعَالَى كثيرة، وردت في القرآن والسنة، ومنها ما يلي:

- **الكفر**، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

- **الظلم**، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وأكبره: الشرك، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

- **الاعتداء**، يقول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

- **الإفساد**، يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

- **الخيانة**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]

- **الخيلاء**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

- **الاستكبار**، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، رقم الحديث: (٣٥٩١)، والحاكم، رقم الحديث: (١٩٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٩١).

- **الإسراف**، يقول تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

- **الإسبال**، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يَا سُفْيَانُ بْن سَهْلٍ؛ لَا تُسْبِلْ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ**»[(١)].

وفي كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ العديد من الأعمال والأقوال التي يبغضها الله سُبۡحَانَهُ، فعلىٰ العبد المؤمن أن يبغضها ويجتنبها.

الأثر السادس: دعاء الله باسمه تَعَالَىٰ (الودود):

محبة الله هي روح الأعمال، وأصل العبودية الظاهرة، والباطنة، فمحبة العبد لربه ليست بحول من العبد ولا قوة، وإنما هي فضل من الله وإحسان، فهو تَعَالَىٰ الذي أحب عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض علىٰ الحقيقة؛ إذ منه السبب، ومنه المسبب؛ ولأن محبة الله تَعَالَىٰ من أعظم العطاء الذي يعطيها الله لعبده، كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كثير السؤال لها، ففي الحديث عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبحِ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَبِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ؟...ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: قُلْتُ: فَعَلِّمْنِي، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٨٤٧٣)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٣٥٧٤)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٥٧٤).

تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِنْ أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»[1].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ حُبِّكَ»[2].

فاللهم يا ودود، ارزقنا حبك، وحب من يحبك،

وحب عمل يقربنا إلىٰ حبك.



(١) أخرجه البزار في البحر الزخار، رقم الحديث: (٤١٧٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار من طريق أبي يحيىٰ، عن أبي أسماء الرحبي، وأبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، رقم الحديث:(١١٧٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٢٣٥).

الوكيل والكفيل والكافي جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

أولًا: (الوكيل):

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكَل بالتحريك، وَوُكَلَة أيضًا مثل هُمَزَة، وتُكَلَة، يقال: فلان وكلَة تُكلَة، أي: عاجز يكل أمره إلىٰ غيره، ويتكل عليه... والوكيل معروف، يقال: وكلته بأمر كذا توكيلًا، والاسم: الوِكالة والوَكالة. والتوكل: إظهار العجز والاعتماد علىٰ غيرك، والاسم: التكلان، واتكلت علىٰ فلان في أمري، إذا اعتمدته...ووكله إلىٰ نفسه وكلًا كولًا، وهذا الأمر موكول إلىٰ رأيك... وواكلت فلانًا مواكلة، إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(وكل) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل علىٰ اعتماد غيرك في أمرك، من ذلك الوُكَلَة، والوَكَل: الرجل الضعيف، يقولون: وُكَلَة تُكَلَة، والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد علىٰ غيرك، وواكل فلان، إذا ضيع أمره متكلًا علىٰ غيره، وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر...»[2].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦).

ثانيًا: (الكفيل):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكِفْل: الضعف، قال تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]، ويقال: إنه النصيب، وذو الكفل: اسم نبيٍ من الانبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهو من الكفالة... والكفيل: الضامن، يقال: كفلت به كفالة، وكفلت عنه بالمال لغريمه... وكفلته إياه فكفل هو به كفلًا وكفولًا، والتكفيل مثله، وتكفل بدينه تكفلًا، والكافل: الذي يكفل إنسانًا يعوله، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وذكر الأخفش أنه قرئ أيضًا: (وكفلها) بكسر الفاء»[١].

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كفل) الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدل علىٰ تضمن الشيء للشيء... ومن الباب- وهو يصحح القياس الذي ذكرناه- الكفيل، وهو الضامن، تقول: كفل به يكفل كفالة، والكافل: الذي يكفل إنسانًا يعوله، قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأكفلته المال: ضمنته إياه...»[٢].

ثالثًا: (الكافي):

❁ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(كفىٰ) كفاه مؤنته كفاية...وكفاك الشيء يكفيك، واكتفيت به.

واستكفيته الشيء فكفانيه، وكافيته من المكافأة، ورجوت مكافأتك، أي: كفايتك...وكفيك بتسكين الفاء، أي: حسبك»[٣].

(١) الصحاح (٥/ ١٨١٠).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٧).

(٣) الصحاح (٦/ ٢٤٧٥).

❁ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحسب الذي لا مستزاد فيه، يقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية، إذا قام بالأمر، والكفية: القوت الكافي، والجمع: كفى، ويقال: حسبك زيد من رجل، وكافيك»[(١)].

ورود اسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الوكيل:

ورد اسم الله الوكيل معرفًا بالألف واللام مرة واحدة في كتاب الله، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وورد بغير الألف واللام في ثلاثة عشر موضعًا، ومن وروده ما يلي:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

٢- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٣- قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

ثانيًا: ورود اسم الله الكفيل:

ورد اسم الله (الكفيل) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٨).

ثالثًا: ورود اسم الله الكافي:

ورد اسم الله (الكافي) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٣٦].

ورود أسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في السنة النبوية:

أولًا: ورود اسم الله الوكيل:

ورد اسم الله (الوكيل) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ، مَتَىٰ يُؤْمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: **قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»(١).

٢- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: اللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: **هَاتُوا**، قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ؟ قَالَ: **تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ**، قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ قَالَ: **يَلْتَقِي المَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجِلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ،**

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٣٠٦٦)، والترمذي واللفظ له، رقم الحديث (٢٤٣١)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٣١).

قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ؟ قَالَ: **كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا** - قَالَ أَبِي: قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي: الْإِبِلَ - **فَحَرَّمَ لُحُومَهَا**، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ ؟ قَالَ: **مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ** - أو **فِي يَدِهِ** - **مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ**، قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ ؟ قَالَ: **صَوْتُهُ**، قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: **جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ [البقرة: ٩٧]»(١).

ثانيًا: ورود اسم الله الكفيل:

ورد اسم الله (الكفيل) في السنة النبوية، ومن وروده

ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ...»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث (٢٥٢٢)، والترمذي، رقم الحديث: (٣١١٧)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث (٩٠٢٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات، (٨/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٢٩٠).

ثالثًا: ورود اسم الله الكافي:

لم يرد اسم الله (الكافي) في السنة النبوية.

معنى أسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) في حقه سُبْحَانَهُ:

أولًا: (الوكيل):

يدور معنىٰ «الوكيل» في حق الله تَعَالَىٰ علىٰ معنيين:

١- الكفيل الذي تكفل بالأرزاق، وتدبير الشؤون، وحفظ الخلائق.

٢- الكافي خلقه ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم، فيتوكلون عليه ويفوضون حاجتهم إليه.

- وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢] والله علىٰ كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميع خلقه وأقواتهم وسياستهم وتدبيرهم»[(١)]، وقال في تفسير قول الله تَعَالَىٰ: «﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]: وحسب ما في السموات وما في الأرض بالله قيمًا ومدبرًا ورازقًا، من الحاجة معه إلىٰ غيره»[(٢)].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوكيل: الكفيل أيضًا، كذلك قالوا في قوله عَزَّوَجَلَّ في سورة يوسف: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:٢٨] أي:

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٣).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٤٢٤).

كفيل، ويقال: رجل وكلة تكلة، إذا كان يكل أمره إلىٰ غيره»[1].

۞ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال معناه: أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه، ومن هذا قول المسلمين: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها»[2].

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المستقل بجميع ما يحتاج إليه جميع الخلق من الكفاية والوقاية، والغياث والنصرة، والرزق والإقامة، والحفظ والرعاية، إلىٰ ذلك من معاني التدبير»[3].

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

۞ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] -: «يعني بقوله: حسبنا الله: كفانا الله، يعني: يكفينا الله، ونعم الوكيل يقول: ونعم المولىٰ لـمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تَعَالَىٰ نفسه بذلك؛ لأن (الوكيل) في كلام العرب هو: المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلىٰ الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تَعَالَىٰ لهم»[4].

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١٣٦).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٧٧).

(٣) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٠٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٥).

۞ **قال الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوكيل فعيل بمعنىٰ مفعول، من قولك: وكلت أمري إلىٰ فلان إذا سلمته إليه، والله تَعَالَى موكول إلىٰ تطوله الأمور، كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]»(١).

۞ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوكيل: وهو الموكل والمفوض إليه، علمًا بأن الخلق والأمر، لا يملك أحد من دونه شيئًا»(٢).

۞ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوكيل: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، والذي تولىٰ أولياءه فيسرهم لليسرىٰ وجنبهم العسرىٰ وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلًا كفاه، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»(٣).

ثانيًا: (الكفيل):

يدور اسم الله الكفيل علىٰ معنيين:

١- الوكيل الذي ضمن للخلق رزقهم، وكفايتهم. ٢- الشهيد.

وحول هذين المعنيين تدور أقوال العلماء.

من الأقوال في المعنىٰ الأول:

۞ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]: «وكيلًا»(٤).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٥٤).

(٢) المنهاج (١/ ٢٠٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٧).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨٣).

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه علىٰ أنفسكم راعيًا يرعىٰ الموفىٰ منكم، بعهد الله، الذي عاهد علىٰ الوفاء به والناقض»(١).

❁ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو علىٰ معنىٰ أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة، وقدر له البقاء الذي لا يكون إلا مع إزالة العلة، وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علق بقاؤه به إليه، وإدراره في الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا- جل ثناؤه-؛ إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما الله- جل ثناؤه- يرزق الجماعة من الناس والدواب، والأجنة في بطون أمهاتها، والطير التي تغدو خماصًا وتروح بطانًا، والهوام والحشرات، والسباع في الفلوات»(٢).

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقال منه: كفل يكفل وتكفل يتكفل: إذا ضمن والتزم»(٣).

❁ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهـوَ الكَفِيـلُ بِـكُلِّ مَـا يَدْعُونَـهُ ... لَا يَعْتَـرِي جَـدْوَاهُ مِـنْ نُقْصَـانِ(٤)

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨١).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤).

(٣) الأسنىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٠٩).

(٤) النونية (ص: ٣٠١).

من الأقوال في المعنىٰ الثاني:

❁ **قال الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «شهيدًا بالوفاء»[(١)].

❁ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]: «يعني: شهيدًا»[(٢)].

ثالثًا: (الكافي):

❁ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلف القراء في قراءة: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦] فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: (أليس الله بكاف عباده) علىٰ الجمع، بمعنىٰ: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: (بكاف عبده) علىٰ التوحيد، بمعنىٰ: أليس الله بكاف عبده محمدًا»[(٣)].

❁ **قال الزجاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي اسم الفاعل من كفىٰ يكف فهو كاف، فالله عَزَّوَجَلَّ كافي عباده؛ لأنه رازقهم وحافظهم ومصلح شؤونهم، فقد كفاهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]»[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٩٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٩٣).

(٤) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ٨٢).

❁ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم؛ وهو الذي يكتفي بمعونته عن غيره، ويستغنىٰ به عمن سواه»[1].

❁ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]: «يعني أنه تَعَالَى يكفي مَن عَبَدَهُ وتوكَّل عليه»[2].

❁ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه»[3]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكافي عباده كلما إليه يحتاجون، الدافع عنهم كلما يكرهون»[4].

اقتران اسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) بأسمائه الأخرى سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

لم يقترن اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) بأي اسم من أسماء الله تَعَالَى.

(١) شأن الدعاء (ص: ١٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٩٤٩).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (١ / ٤٦).

الآثار المسلكية للإيمان باسماء الله (الوكيل، والكفيل، والكافي):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي) من صفاته سُبْحَانَهُ:

الله عَزَّوَجَلَّ الوكيل الكفيل الكافي الذي تولىٰ أمر خلقه بالكفالة والكفاية، فجاءت وكالته وكفالته وكفايته علىٰ نوعين:

١- الوكالة والكفالة والكفاية العامة.

٢- الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة.

أولًا: الوكالة والكفالة والكفاية العامة:

فوكالته وكفالته وكفايته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عامة شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، إنسهم وجنهم وبهائمهم بل حتىٰ جامدهم، الصغير منهم والكبير، والحقير والجليل، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالوكيل تَعَالَىٰ خلق الخلائق ولم يتركهم هملًا، بل تكفل بأمرهم، وكفاهم إياه من جميع الوجوه خلقًا، وإعدادًا، وتدبيرًا، وحفظًا، ورزقًا، وقوتًا ووقاية، وتعليمًا، وهداية، إلىٰ غير ذلك من ألطافه وإحسانه، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام: ١٠٢][1]، يقول الطبري

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٦٣).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «والله علىٰ كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته»[1].

ومن صور الوكالة والكفالة والكفاية العامة:

- **الرزق**: فتكفل الوكيل الكفيل برزق الخلائق، وكفاهم الكافي مؤونته؛ فهيء لهم من جميع الأسباب ما يغنيهم، ويقنيهم، ويطعمهم، ويسقيهم حتىٰ أنه يسوق الرزق لضعيفهم الذي لا يقوىٰ علىٰ جمعه وتحصيله، وييسر عليه تحصيله، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، والأجنة في بطون الأمهات[2]، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وكان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، يقول: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي**»[3].

- **الحفظ**: فتكفل الوكيل الكفيل بحفظ الخلائق عما يضرهم، وحفظ عليهم أقوالهم وأفعالهم ومعاملتهم فيما بينهم، وكفاهم الكافي بشهادته عليهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٣).

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧١٥).

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: **ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدهُمْ، فَقَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ: كَفَىٰ بِاللهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ...**»[1].

وأما الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة:

فوكالته وكفالته وكفايته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعباده المتقين المتوكلين عليه، قال تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣]، فتولىٰ الوكيل أمرهم وكفاهم كفاية لا تقييد ولا تخصيص معها، بل تعم أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم، قال تَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦].

ومن صور الوكالة والكفالة والكفاية الخاصة:

- رد السوء والأذىٰ عنهم في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا:

فتكفل الوكيل بكفاية رسله وأوليائه من كل من أرادهم بسوء وأذىٰ، قال تَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، وقرأ حمزة والكسائي «عباده» أي: يكفي من عبده وتوكل عليه من الأنبياء والمؤمنين[2]، ومن شواهد ذلك:

كفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مما توعده قومه من الرجم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦ - ١٢١].

وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ إبراهيم الخليل شر النار مع عظمها،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٢٢٩٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٧)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

فأتت كفايته تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما يخالف السنن الكونية لتتعطل النار عن الإحراق، قال تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] فكانت عليه بردًا وسلامًا، لم ينله فيها أذىً، ولا أحس بمكروه ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠][1].

وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كيد النسوة، فصرف عنه كيدهن، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٢ - ٣٤].

وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بطش فرعون وجنده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٦ - ٢٨]، «فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه»[2].

وكفى الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ الرجل المؤمن الناصح عقوبات ما مكر فرعون وآله من إرادة إهلاكه وإتلافه، بل قلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]، فأغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم[3].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥١)، وتفسير السعدي (١ / ٥٢٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٣٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٧٣٩).

وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مكر الكفار من إرادة قتله وإطفاء نوره، بل جازاهم علىٰ مكرهم مكرًا خيرًا منه، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٤-٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩][1].

وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ أصحاب الكهف فتنة قومهم لهم عن دينهم، كما كفاهم قتلهم، قال سُبْحَانَهُ حكاية عن قولهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٩-٢٠]، فكفاهم ذلك كله، وجعلهم آية وعبرة لقومهم ومن جاء بعدهم، فأظهر أمرهم، ورفع قدرهم[2].

وكفىٰ الوكيل الكافي سُبْحَانَهُ نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه شر الكفار والمنافقين، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ١٣٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٧٣).

- فكفاهم شر قريش في بدر مع كثرة محاربيهم، وما معهم من العدة الكاملة، والسلاح العام، والخيل الكثيرة، فكفاهم بما أمدهم به من الملائكة، فانقلبوا منتصرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَىٰ ثَنَايَاهُ النَّقْعُ»[(١)(٢)].

- وكفاهم شر أبي سفيان ومن معه من المشركين في أحد، إذ هموا بالرجوع إلىٰ المدينة، واستئصال من بقي من المسلمين، فألقىٰ الكافي سُبْحَانَهُ في قلوبهم الرعب، فاستمروا راجعين إلىٰ مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤][(٣)].

- وكفاهم شر الأحزاب وعددهم وعدّتهم، فلم يحتاجوا إلىٰ منازلتهم ومبارزتهم، بل كفاهم بما أرسل علىٰ عدوهم من ريح الصبا التي زعزعت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وبما قذف في

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ١٩٦) ،والبيهقي في الدلائل (٣/ ٨١)، حكم الألباني: حسن، فقه السيرة للغزالي: (ص٢٣٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ١٧٣)، تفسير السعدي (ص: ١٤٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٩)، تفسير السعدي (ص: ١٥٧).

قلوبهم من الرعب، فانصرفوا خائبين، لم يصيبوا خيرًا في الدنيا من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعادة دينه، فكفىٰ الله وحده المؤمنين، ونصرهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ**»[(١)]،[(٢)].

- وكفاهم بعد الأحزاب قتال قريش وغزوهم، فوُضعت الحرب بينهم وبين قريش، فلم تغز قريش بعد ذلك، بل كان المسلمون هم من يغزونهم حتىٰ فتحوا مكة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الأحزاب: «**لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ**»[(٣)]، وقال أيضًا: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا**»[(٤)][(٥)].

- وكفاه شر اليهود والنصارىٰ الذين قالوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، فقتل منهم بني قريظة وسبىٰ ذراريهم وقسم أموالهم، وأجلىٰ منهم بني قينقاع، وبني النضير وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا- بنو النضير- أنها مانعتهم من بأس الله، فلم تغن عنهم من الله شيئًا[(٦)]، وأذل بعضهم وأخزاهم بالجزية والصغار، فتبارك

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث (٤١١٤)، ومسلم، رقم الحديث :(٢٧٢٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤٢)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦)، تفسير السعدي (ص: ٦٦٢).

(٣) السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤١١٠).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩٦).

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٧).

القائل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧](١).

- وكفاه شر المستهزئين به والساخرين في قديم الزمان وحديثه؛ «فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قِتْلَة»(٢)، قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥](٣).

- وكفاه من دبر وبيت معصيته، ومن أراد خداعه والمكر به، قال تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١](٤)، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَالِحْهُمْ وتوكل علىٰ الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك وحده»(٥)، (٦).

- وكفاهم الشياطين وشرهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلىٰ اللهِ،**

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ١١٦)، وتفسير السعدي (ص: ٦٨).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٥٣)، وتفسير السعدي (ص: ٤٣٥).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١٨٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ٤٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٢٥).

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قال: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّىٰ لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»[1].

- وأما في الآخرة:

فتكفل الوكيل بكفاية رسله وأوليائه في الآخرة من كل ما يؤذيهم، ومن ذلك:

كفايته لهم إذا حضرهم الموت الحزن علىٰ ما مضىٰ، والخوف علىٰ ما يستقبلهم بما ينزل عليهم من الملائكة المبشرين، قال تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢][2].

كفايته لهم شر فتنة القبر بالتثبيت عند السؤال، والتوفيق لحسن الجواب، قال تعالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِه، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، رقم الحديث :(٥٠٩٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٤٢٦)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (٩٨٣٧)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٩٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٨).

رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**»[1].

كفايته لهم ضيق القبر بما يوسع لهم فيه، وظلمته بما يجعل لهم من النور، وعذابه بما يفتح لهم من أبواب الجنة، ووحشته بما يجعل لهم من الأنيس، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البراء: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»، قال: **فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**، قال: **وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ! فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ؛ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي**»[2].

كفايته لهم شدة القيامة وهوله بورود الحوض، وبما يمن علىٰ من شاء منهم بالظل، وبالنور علىٰ الصراط، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، وقال جل في علاه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «علىٰ قدر أعمالهم يمرون علىٰ الصراط، منهم من نوره مثل الجبل،

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث :(٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرك، رقم الحديث: (١٠٨)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٤٧٥٣).

(٢) تقدم قبله.

ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا: مَن نوره في إبهامه، يتقد مرة ويطفأ مرة»[1].

كفايته لهم عذاب النار «فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبًا منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتىٰ لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٢]»[2].

- **ثم إن هذه الوكالة والكفالة والكفاية العامة والخاصة** في منتهىٰ الكمال والتمام ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]، وكيف لا تكون كذلك، وهو الوكيل الحي الذي لا يموت، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وهو الوكيل الملك الذي ملك المشرق والمغرب وما بينهما، قال تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

وهو الوكيل الغني، الذي مهما كفل وأعطىٰ خلقه ما سألوه واحتاجوه لم ينقص ما عنده، بل يمينه سُبْحَانَهُ ملأىٰ لا تغيضها نفقة، ولو أن عباده كلهم قاموا في صعيد واحد، فسألوه فأعطىٰ كل واحد مسألته ما نقص ذلك مِن ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٣١).

وهو الوكيل العليم الذي أحاط علمه بما وكل إليه، قال تعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

وهو الوكيل العزيز الرحيم، قال تعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧] «بعزته يقدر علىٰ إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك»(١).

وهو الوكيل الحكيم الذي يحكم بحكمه، ولا يضيع من وثق بحسن تدبيره، قال تعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

وهو الوكيل الهادي الذي يهدي العبد إلىٰ سواء السبيل، قال تعَالَى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وهو الوكيل الحسيب الكافي الذي يكفي عبده كل ما أهمه، قال تعَالَى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهو الوكيل الذي يرجع الأمر كله إليه، قال تعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]، فَسُبْحَانَهُ ما أعظمه وأجله، يقول تعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٩٩).

الأثر الثاني: دلالة اسم الله (الوكيل، الكفيل، الكافي) علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسم الله جَلَّجَلَالُهُ (الوكيل، والكفيل، والكافي) قاده ذلك لتوحيد ربه عَزَّوَجَلَّ في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

فأما الربوبية: فلما تدل عليه هذه الأسماء من قيام بشؤون الخلق كلهم علىٰ وجه التفرد تدبيرًا، وتصريفًا، ورزقًا، وهداية، وحفظًا، ونفعًا وضرًّا إلىٰ غير ذلك من أفراد الربوبية، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢] فـ«لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، وهو القيم بجميعه، والحافظ لذلك كله، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره»[(١)]، وبهذا علم أنه الرب الحق تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأما الألوهية: فلما تدل عليه هذه الأسماء من استحقاق الله للعبودية وحده لا شريك له؛ فإن الوكيل الذي تولىٰ أمر العباد فتكفل بما يحتاجون إليه من الرزق، والتدبير، والرعاية، والحفظ، والوكيل الذي كفاهم همهم وغمهم وكل ما يضرهم هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، قال تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

واستحقاقه علىٰ وجه الخصوص الإفراد بالتوكل وتفويض الأمور إليه، قال تَعَالَىٰ آمرًا عباده بذلك: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]،

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٧).

وقال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ ناهيًا عباده عن اتخاذ وكيل غيره: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

ويعلم من هذا أن صرف التوكل لغير الله شرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

«لكن التوكل علىٰ غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون علىٰ الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذىٰ ونحو ذلك، فهذا نوع شرك خفي.

والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه، ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٨-٤٢٩).

وأما في الأسماء والصفات: فلما تدل عليه هذه الأسماء من أسماء أخرىٰ له تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كالحي، والقيوم، والعليم، والحكيم، والقدير، والقوي، ونحو ذلك؛ وذلك لأنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له من الصفات أكملها وأرفعها، فلما كان وكيلًا، كفيلًا، كافيًا فإن تمام ذلك كله وكماله إنما يكون بعلم تام بما تولاه، وقوة وقدرة علىٰ التنفيذ، وحكمة في التدبير والتصريف، ولا يكون ذلك إلا من الحي القيوم»[1].

الأثر الثالث: الثقة في الوكيل الكفيل الكافي:

إذا تأمل العبد اسم الله (الوكيل، والكفيل، والكافي)، واستشعر ما فيه من عموم الوكالة التي وسعت جميع الخلائق مع اختلافهم وتعدد حاجتهم، فلم تضق عن أحد منهم دون أحد، ولا عن حاجة دون حاجة بل شملت الجميع؛ أورثه ذلك اليقين بأن وكالته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا تضيق عن حاجته التي أهمته، ولا عن حزنه الذي أحاط به، ولا عن مصابه الذي ألم به و لا عن رزقه الذي أشغله، ولا عن عدوه الذي نزل به ولو كان في غاية القوة، قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

ثم إذا تيقن العبد هذا أورثه ذلك الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ والتعلق به وإنزال حاجته وفاقته به وعدم استكثارها، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالْغِنَىٰ، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ**»[2].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٣٩٤٦)، وأبو داود واللفظ له، رقم الحديث :(١٦٤٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٢٣٢٦)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث :(١٦٤٥).

ثم هذا يعود علىٰ قلبه بالطمأنينة والسكون أمام ما يوجهه من المصائب والأهوال، ويعود عليه بالرجاء بنصر الله علىٰ أعدائه، وحسن الظن بكفايته لهم ويذهب عنه اليأس والخوف من المخلوق والإحباط والتشاؤم، ويعود عليه- أيضًا- بعدم الشعور بالقلق والهلع علىٰ الرزق والمطالب، بل يتوكل علىٰ الوكيل الكفيل الكافي فيها، ويأخذ بالأسباب المشروعة، ثم يرضىٰ بما قسم له منها، ويعلم أن ما فاته ليس له نصيب فيه، ولو أن له مثقال ذرة فيه لما فات الكفيل إيصاله إليه، فلا تذهب نفسه عليه حسرات.

الأثر الرابع: محبة الله (الوكيل، الكفيل، والكافي) وشكره:

إن العبد حين يعرف ربه بأسمائه (الوكيل، الكفيل، والكافي) ويوقن أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تولاه بالكفالة إيجادًا، وإعدادًا، وتدبيرًا، وحفظًا، ورزقًا، فحصل بها وجوده ودوامه وكماله، وتولاه بكفايته عما يحتاجه ويضره في أمر دينه ودنياه، ولم يكله إلىٰ أحد من خلقه، حتمًا سيثمر ذلك في قلبه محبة وتعلقًا، وإقبالًا، وودًّا للوكيل جل في علاه.

الأثر الخامس: الدعاء باسم الله (الوكيل، الكفيل، الكافي):

فالعبد لا غنىٰ له عن ربه طرفة عين، فيحتاج إلىٰ كفالة وكفاية وركن يأوي إليه، ويفوض أمره إليه، ويطلب منه عونه، ويعلق عليه رجاءه محسنًا ظنه به، ولذا فإن من أثر يقين القلب باسم الله الوكيل الكفيل الكافي دعاؤه سُبْحَانَهُ بها وما فيها من صفات، والتوسل إليه بالتعبد بها.

ومما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، ما يلي:

١- دعاء الخروج من المنزل، كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ**... قال: **فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**»[(١)].

٢- دعاء الاستفتاح، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[(٢)].

٣- دعاء قضاء الدين في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وتقدم قريبًا-، وفيه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**»[(٣)].

٤- دعاء الاستخارة؛ فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٣٣٥)، والترمذي، رقم الحديث :(٣٥٦٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث :(٣٥٦٣).

فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ- ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ- خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أو قال: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»**[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: أن الاستخارة توكل علىٰ الله وتفويض إليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضىٰ به ربًّا، الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك، وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة السعادة»[2].



(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٠٦).

الوكيل الكفيل الكافي يحب المتوكلين



أولًا: تعريف التوكل:

- المقصود بالتوكل:

❊ **قال الجرجاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس»[1].

❊ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صدق الاعتماد علىٰ الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وفعل الأسباب التي جعلها الله تَعَالَىٰ أسبابًا»[2].

فتبين مما سبق أن التوكل يقوم علىٰ أمرين:

١-علم القلب وعمله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

وأما عمله: فسكونه إلىٰ وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه»[3].

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص: ٧٤).

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٥٧٥).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥٧).

٢- عمل الجوارح، بالأخذ بالأسباب المشروعة:

فمن كان أكثرُ اعتماده علىٰ الأسباب؛ نقص توكله علىٰ الله، وقدح في كفايته، وكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه.

وبالمقابل: من جعل اعتماده علىٰ الله ملغيًا للأسباب، لم يحقق التوكل بل وطعن في حكمة الله؛ لأن الله جعل لكل شيء سببًا، وربط الأسباب بمسبباتها(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب علىٰ الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت علىٰ الله، مع اعتماده علىٰ غيره وركونه إليه وثقته به»(٢).

ومما يدل علىٰ أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، ما يلي:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالأخذ بالأسباب كما أمر بالتوكل، فقال سُبْحَانَهُ لأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤] مع أن ضرب الرجل في الأرض لا ينبع ماء، ولكن لنعلم أنه لا بد من اتخاذ الأسباب ولو كانت ضعيفة، فالأمر أمره والكون كونه، وقال لمريم مع ضعفها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥]، ومع قدرته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أن ينزل لها الرطب جنيًّا، بل مائدة عليها

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (٢/ ٨٨).

(٢) الفوائد (ص: ٨٧).

أشهىٰ المأكولات من غير هز ولا غيره، إلا أنه سُبْحَانَهُ علمنا بهذا أن نأخذ بالأسباب مع الأمل و الثقة به.

٢- أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته من أكمل الناس توكلًا، ومع ذلك أخذوا بالأسباب، فأخذوا الزاد في الأسفار، وتاجروا في الأسواق، واتقو البرد والحر، ولبسوا الدروع والمغافر في الحروب، وأخذ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه أبو بكر في طريق الهجرة دليلًا يدلهم علىٰ الطريق، وخرجا في وقت يغفل الناس فيه، ومن طريق غير متوقع، كل هذا أخذًا بالأسباب، مع أن الله تَعَالَىٰ قال لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

٣- أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكىٰ لنا كمال توكل الطيور مع أخذها بالأسباب، قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**[١]»[٢]، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشار بذلك إلىٰ أن التوكل ليس التبطل والتعطل، بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب؛ لأن الطير ترزق بالسعي والطلب، ولهذا قال أحمد: ليس في الحديث ما يدل علىٰ ترك الكسب، بل فيه ما يدل علىٰ طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا علىٰ الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير

---

(١) (تغدو) أي: تذهب أول النهار (خماصًا) بكسر الخاء جمع خميص، أي: جياعًا (وتروح) أي: ترجع آخر النهار (بطانًا) بكسر الباء جمع بطين، وهو: عظيم البطن، والمراد: شباعًا. ينظر: تحفة الأحوذي (٧/ ٧).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث :(٢١٠)، والترمذي، رقم الحديث :(٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٦٤)[حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث (٢٣٤٤).

بيده، لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير لكن اعتمدوا علىٰ قوتهم وكسبهم، وذلك ينافي التوكل»[1].

ومن هنا يعلم الفرق بين التوكل والتواكل، فالتوكل فيه أخذ للأسباب المشروعة، أما التواكل فهو ترك الأسباب، وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «يرفع أحدكم يديه إلىٰ السماء يقول: يارب... يارب... وهو يعلم أن السماء لاتمطر ذهبًا ولا فضة»[2].

ثانيًا: منزلة التوكل وفضله:

التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مقام جليل عظيم، بل ومن أعظم مقامات الدين، وأفضل الأعمال والعبادات المقربة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومما يدل علىٰ عظيم منزلته في الدين: أمور عدة، منها:

١- أن التوكل نصف الدين؛ فالدين توكل وعبادة، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والتوكل شامل للاستعانة؛ إذ الاستعانة تكون علىٰ الأعمال خاصة، والتوكل أعم من ذلك، فيكون التوكل لذلك ولجلب منفعة، ودفع مضرة[3].

٢- أن التوكل مطلوب في كل أحوال العبد، سواء كانت دينية أو دنيوية مباحة، ويدل علىٰ ذلك: عموم الأدلة الآمرة بالتوكل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٣٠٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٦٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ١٧٧).

٣- أن التوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته، بل جعله الله عَزَّوَجَلَّ شرطًا في الإيمان، قال تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وقال سُبۡحَانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٤- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أمر الله بالتوكل في غير آية، أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة»[1]، فأمر الله بالتوكل جاء مطلقًا عامًّا في جميع شؤون الحياة، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]، وجاء مقرونًا بمقامات معينة، تحتاج إلى مزيد توكل، منها:

أ- مقام العبادة، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

ب- مقام الدعوة، قال تَعَالَى عن نبيه نوح الذي مكث في الدعوة والإنذار زمنًا طويلًا: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: ٧١]، وقال سُبۡحَانَهُ لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والأمة من بعده: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨- ١٢٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦).

ج- مقام الحكم والقضاء، قال تَعَالَى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ: ١٠].

د- مقام الجهاد والقتال وطلب النصر، قال تَعَالَى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال تَعَالَى في مقام السلم وانتهاء الحرب: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] دال علىٰ بقاء التوكل والارتباط حتىٰ بعد المعركة.

ر- مقام الشورىٰ، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ش- مقام طلب الرزق، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]،

ص- مقام العهود والمواثيق وإبرام العقود، قال تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

ن- مقام الهجرة في سبيل الله، قال تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ

مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

و- مقام المصائب والابتلاء، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ي- الاستعاذة من الشيطان، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

ثالثًا: ثمرات التوكل:

ثمرات التوكل ونتائجه علىٰ أهله كثيرة، ومنها:

١- تحقيق الإيمان؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ جعل التوكل من شرط الإيمان، قال تعالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وجعله من صفات المؤمنين، قال تعالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨- ٥٩].

٢- تحصيل محبة الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالَى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكفىٰ بهذا فضلًا وشرفًا.

٣- التوفيق والهداية والوقاية من كل شر، قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَالَ- يعني: إذا خرج من بيته-: **بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ وَوُقِيتَ وَكُفِيتَ**»[1].

ومن ذلك: الوقاية من تسلط الشياطين وشرهم؛ قال تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[النحل: ٩٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

٤- جلب الرزق من حيث لا يحتسب المرء؛ فعن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[2].

حصول النصر والتمكين، قال تعالَى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

٥- الشعور براحة القلب وطمأنينته؛ لثقته بالله وحسن ظنه به، كما يؤدي للثبات أمام الشدائد وزوال الخوف من الخلق، قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٦- الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي وعدهم الله به، قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورىٰ: ٣٦][1].

٧- دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب؛ فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ،** فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال: **هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[2].

قال ابن قاسم رَحِمَهُٱللَّهُ: «فتركوا الشرك رأسًا، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم علىٰ ذلك: قوة توكلهم علىٰ الله، وتفويض أمورهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وصدق الالتجاء إليه، وإنزال حوائجهم به تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والاعتماد بالقلب

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٧٥٢)، ومسلم، رقم الحديث: (٢١٨).

الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، وهو الأصل الجامع الذي تفرعت عنه تلك الأفعال والخصال»[1].

٨- تحصيل كفايته للأمر الذي توكل فيه العبد عليه؛ فإن العبد إذا توكل علىٰ ربه حق التوكل، بأن اعتمد بقلبه علىٰ ربه اعتمادًا قويًّا كاملًا في تحصيل مصالحه ودفع مضاره، وقويت ثقته وحسن ظنه بربه حصلت له الكفاية التامة، وأتم الله له أحواله وسدده في أقواله وأفعاله، وكفاه همه، وجلا عنه غمه، قال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه كل أموره الدنيوية والدينية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيح العلاقة بين التوكل والكفاية: «والتوكل من أقوىٰ الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذىٰ الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوىٰ الأسباب في ذلك؛ فإن الله حسبه: أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذًىٰ لا بد منه؛ كالحر والبرد، والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء له- وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه- وبين الضرر الذي يتشفىٰ به منه.

قال بعض السلف: جعل الله تَعَالَى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: «ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه»، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سُبْحَانَهُ كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ الله تَعَالَى حق

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٤٦).

توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لـجعل له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره»[1].

وقال أيضًا: «ولو توكل العبد علىٰ الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه- وكان مأمورًا بإزالته- لأزاله»[2].

رابعًا: الأسباب المعينة على تحقيق عبادة التوكل:

من رحمة الله بعباده وحكمته أن جعل لكل عمل من أعمال القلوب والجوارح بواعث تدفع النفوس إليه، وتحض عليه، ومما يبعث النفوس علىٰ التوكل ويعين عليه جملة من الأمور، منها:

١- معرفة الله بأسمائه الحسنىٰ؛ فمن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك الحي، القيوم، العليم، الحكيم، الرحيم، اللطيف، العزيز، القادر القدير، الفعال لما يريد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ وجد نفسه مدفوعًا إلىٰ الاستناد إليه، والتوكل عليه.

ومن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك أنه الكفيل الرزاق ذو القوة المتين، الذي تكفل بالأرزاق لخلقه وضمن لهم وصولها إليهم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣] فلا يفوت أحد رزقه، ولا يستطيع أحد أن يأخذه دونه- مُلئ قلبه بالتوكل عليه، ومن عرف ربه الوكيل وضم إلىٰ ذلك أنه الناصر القهار الذي ينصر

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

أوليائه الذين آمنوا علىٰ عدوهم، ويؤيدهم بمعونته، ويملي للظالمين، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ويمهل، ولا يهمل- توكل عليه وأحسن الظن به.

ومن هنا نجد أن الله عَزَّوَجَلَّ في عدد من الآيات يربط بين التوكل وبين أسمائه الحسنىٰ، ومن ذلك:

- قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

- وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

- وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

٢- تأمُّل الإنسان في ضعفه؛ فإن العبد إذا تأمل في نفسه وكيف أنه لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم خُلِقَ من ماء مهين، ثم خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، ثم علَّمه الله بما أعطاه من أدوات السمع والبصر والفؤاد؛ ليتعلم ما لم يكن يعلم، ومنحه من الإرادة والقدرة ما يمكنه من أداء رسالته في الأرض، إلا أن ذلك كله محدود بما يناسب ضعف البشر وعجزهم، ثم بعدُ يموت ويفنىٰ.

ثم إذا تأمل أن وجوده، وحياته، وبقاءه، وعلمه، وإرادته، كلها ليست بذاته ولا من ذاته، بل بالله عَزَّوَجَلَّ؛ علم حقَّ العلم وتيقَّن أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، الذي خلقه فسواه، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فقاده ذلك العلم واليقين إلىٰ التوكل عليه والتعلق به تعلق العاجز بالقدير، والضعيف بالقوي، والفقير بالغني، والجهول بالعليم، والمحدَث بالأول، والذليل بالعزيز، والفاني بالباقي.

٣- تحقيق التوحيد؛ فإن العبد إذا حقق التوحيد كان نصيبه من التوكل أعظم، قال تَعَالَى: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩].

٤- الاشتغال بالآخرة ورضا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا- هَمَّ المَعَادِ- كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ**»[(١)]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»[(٢)].

وقال عون بن عبد الله بن عتبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أهل الخير إذا التقوا يوصي بعضهم بعضًا بثلاث، وإذا غابوا كتب بعضهم إلىٰ بعض: من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح فيما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته»[(٣)].

٥- الصلاة علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٤١٠٦)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (١٧٤٤)، والبزار، رقم الحديث :(١٦٣٨-البحر الزخار)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف ابن ماجه، رقم الحديث) :٤١٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٦٥)، والبيهقي في الشعب، رقم الحديث: (٩٨٥٥)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الترمذي، رقم الحديث) :٢٤٦٥).

(٣) الزهد، لهناد بن السري (١/ ٣٠٠) .

النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيه. قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي[1]؟ فقال: **مَا شِئْتَ**، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، **قال: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: **إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[2].

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هاتين الخصلتين- أي: كفاية الهم، ومغفرة الذنب- جماع خير الدنيا والآخرة، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها؛ لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا بذنوبه»[3].

٦- متابعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتفاء أثره، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر ٣٦]: «والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سُبْحَانَهُ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدىٰ والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) أي: كم أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟ ينظر: تحفة الأحوذي (٧/ ١٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٥٧)، والحاكم، رقم الحديث: (٣٥٩٩)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٤٥٧).

(٣) مشكاة المصابيح، مع شرحه مرعاة المفاتيح (٣/ ٥٤٦).

(٤) ينظر: زاد المعاد (١/ ٣٦).

٧- صلاة الضحىٰ؛ فعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، اكْفِنِي أَوَّلَ النَّهَارِ بِأَرْبَعِ رَكعَاتٍ أَكْفِكَ مِنْ آخِرِ يَوْمِكَ**»[(١)]، قال العيني رَحِمَهُٱللَّهُ: «أكفك آخر النهار من كل شيء، من الهموم والبلايا ونحوهما»[(٢)].

٨- الدعاء وسؤال الله الكفاية كما هو هدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فقد دعا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ عامر، فقال: «**اللَّهُمَّ اكفْنِي عَامِرًا**»، فَكَفَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ نَزَلَ بِفِنَائِهِ، فَرَمَاهُ اللهُ بَالذَّبْحَةِ فِي حَلْقِهِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ سَلُولٍ[(٣)].

وعلَّم أصحابه والأمة من بعدهم سؤال الكفاية؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ**- يعني: إذا خرج من بيته-: **بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّىٰ عَنْه الشَّيْطَانُ**»[(٤)].

فاللهم ارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا الله.



---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١ / ١٩٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، رقم الحديث (٥٧٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه عبد المهيمن بن عباس وهو ضعيف، رقم الحديث: (١٠١٢٦).

(٤) سبق تخريجه.

الوليُّ المولى جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

- **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولىٰ، و(**كُلْ مِمَّا يَلِيكَ**)[1]، أي: مما يقاربك... والوَلِيٰ: ضد العدو، يقال منه: تولاه...»[2].

- **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل علىٰ قرب، من ذلك الوَلْي: القرب، يقال: تباعد بعد ولي، أي: قرب، وجلس مما يليني، أي: يقاربني...»[3].

ورود اسم الله (الولي، المولى) في القرآن الكريم:

أولًا: ورود اسم الله الولي في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الولي) في كتاب الله في مواضع كثيرة، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٣٧٦)، ومسلم، رقم الحديث: (٢٠٢٢).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٤١).

٣- قوله تَعَالَى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ثانيًا: ورود اسم الله المولى في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (المولىٰ) في كتاب الله في اثني عشر موضعًا، ومن وروده ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

٣- قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

ورود اسم الله (الولي، المولى) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الولي، المولىٰ) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١- عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ: **إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذا، حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَومَ وأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**، فَهَزَمُوهُمْ،...ثُمَّ أَخَذَ أبو سفيان يَرْتَجِزُ: أَعْلُ هُبَلْ، أَعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلَا تُجيبوا لَهُ؟** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **قُولُوا: اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ**. قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، **فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟** قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَقُولُ؟ **قَالَ: قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٣٠٣٩).

٢- عن زيد بن الأرقم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(١).

معنى اسم الله (الولي، المولى) في حقه سُبْحَانَهُ:

يرجع معنىٰ اسم الله (الولي، والمولىٰ) إلىٰ معنىٰ الولاية العامة، والولاية الخاصة.

فالولاية العامة: تولي الله الخلق بالملك، والتدبير، والتقدير.

والولاية الخاصة: تولي الله المؤمنين بالمحبة، والتوفيق، والنصر، والتأييد، ونحو ذلك.

وعلىٰ هذا تدور أقوال أهل العلم:

❊ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]: «نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه»(٢).

وقال في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]: «وليكم وناصركم علىٰ أعدائكم الذين كفروا»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٢٤).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٢٧٨).

۞ قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: الناصر، وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو تَعَالَىٰ وليهم بأن يتولىٰ نصرهم وإرشادهم، كما يتولىٰ ذلك من الصبي وليه، وهو يتولىٰ يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم»[(١)].

۞ قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اسم الله الولي: «فالله عَزَّوَجَلَّ ولي المؤمنين، أي: ناصرهم ومصلح شؤونهم والمثنىٰ عليهم... ويقال: «فلان ولي فلان» أي: ولي نعمته، أي: قد أولاه نعمته وأنعم عليه، وأسداها إليه، فلم يحل بينه وبينها، فالله عَزَّوَجَلَّ ولي المؤمنين بإنعامه عليهم وإحسانه إليهم»[(٢)].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: المتولي للأمر والقائم به، كـ(ولي اليتيم)، و(ولي المرأة في عقد النكاح)، وأصله من (الوَلْي) وهو القرب، فتكون ولاية خاصة»[(٣)]، وقال: «المولىٰ: الناصر والمعين»[(٤)].

۞ قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع فيه ذلك لم يطلق عليه الولي فتكون ولايةً عامةً»[(٥)].

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم»[(٦)].

---

(١) تفسير الأسماء الحسنىٰ (ص: ٥٥).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنىٰ (ص: ١١٣).

(٣) شأن الدعاء (ص: ٧٨).

(٤) المرجع السابق (ص: ١٠١).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢٧).

(٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٢٩).

❁ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]: «الذي يتولىٰ عباده بأنواع التدبير، ويتولىٰ القيام بمصالح دينهم ودنياهم»(١).

❁ وقال في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]: «والله تَعَالَىٰ وليهم وناصرهم ومؤيدهم»(٢).

اقتران اسم الله (الولي، المولى) بأسمائه الأخرى- سُبْحَانَهُ في القرآن الكريم:

أولًا: اقتران اسم الله (الولي) بالأسماء الأخرىٰ:

أولًا: اقترن اسم الله تَعَالَىٰ (الولي) باسمه تَعَالَىٰ (الحميد).

تقدم بيانه في اسم الله (الحميد).

ثانيًا: اقتران اسم الله (المولىٰ) بالأسماء الأخرىٰ:

اقترن اسمه تَعَالَىٰ (المولىٰ) باسمه تَعَالَىٰ (الحق):

تقدم بيانه في اسم الله (الحق).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ١٣٤).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الولي، المولى):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الولي – المولىٰ) من الصفات:

الله عَزَّوَجَلَّ الولي المولىٰ الذي خلق الخلق، فلم يتركهم هملًا، بل تولاهم، قال تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وولايته جَلَّجَلَالُهُ لخلقه علىٰ نوعين:

١-ولاية عامة.

٢-ولاية خاصة.

فالنوع الأول: الولاية العامة:

الله جَلَّجَلَالُهُ الولي المولىٰ، الذي عمت ولايته جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، العاقل منهم وغير العاقل، قال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

فتولىٰ السماوات السبع وما فيهن من الملائكة والأجرام شمسًا، وقمرًا، ونجمًا، وما يتبعها من الليل والنهار، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وتولىٰ الأراضين السبع ومن فيهن، من الجن والإنس، يقول تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٤ – ١٦].

وتولىٰ الأنبياء الذي هم أتقىٰ الخلق، كما تولىٰ الطغاة الكفرة الذين هم أفجر الخلق، وتولىٰ الشاب القوي القادر كما تولىٰ الرضيع العاجز الذي لا

يملك حولًا ولا قوة، وتولىٰ الصحيح المعافىٰ كما تولىٰ المريض الطريح، وتولىٰ الغني الفرح كما تولىٰ الفقير الكسير، قال تعالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وتولىٰ - أيضًا- البهائم العجماء، فتولىٰ الأسد علىٰ عظم قوته وقدرته علىٰ فريسته، كما تولىٰ النمل، والعنكبوت، والبعوض، وسائر الحشر علىٰ ضعفها وحقارتها، وتولىٰ الصقر القوي كما تولىٰ العصفور الصغير الذي يخرج خماصًا فيعود بطانًا، قال تعالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وتولىٰ السفن في البحر، كما تولىٰ الطائرات في السماء، والمراكب في الأرض، قال تعالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وتولىٰ الريح وتصريفها، كما تولىٰ المطر وقطره، قال تعالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وهذا التولي يقتضي توليه لهم بحكمه القدري، والشرعي، والجزائي:

فالكل تولاه الولي المولىٰ بحكمه القدري، فنفذ فيه ما شاء من أنواع التدبير، وما قضىٰ من التصريف، وما أراد من التقدير خيرًا وشرًّا، ونفعًا وضرًّا، وحياة وموتًا، قال تعالَىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩].

وتولاهم بما قدر لهم من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصىٰ، وأقام لهم مصالحهم وحاجاتهم؛ ابتدأ بالخلق، ثم الرزق، والتعليم، والحفظ، والشفاء، وكشف الضر، وإجابة الدعاء، وإنزال المطر ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٢- ٣][1].

فالكل تحت ولايته ورعايته، وطوع تقديره وحكمه، لا خروج لأحد عنه طرفة عين، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والكل من الثقلين تولاه الولي المولىٰ بحكمه الشرعي، فأنزل الشرائع التي فيها تحقيق مصالحهم وطيب حياتهم في الدنيا والآخرة، فما من أمة إلا وبعث فيها رسولًا مؤيَّدًا بالبراهين والحجج، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] حتىٰ ختمهم بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أرسله هدىٰ ونورًا للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وجمع له الجن مستمعين، فانطلقوا إلىٰ قومهم منذرين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٩)، والنهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٤٨).

دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

كل ذلك توليًا من الله لخلقه، ورحمة منه بهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ – ٢].

وبعد هذا **يُرد الكل لله الولي المولىٰ**، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠] **فيتولاهم بحكمه الجزائي**، فيثيبهم علىٰ ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علىٰ ما عملوا من الشرور والسيئات، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢][(١)].

النوع الثاني: الولاية الخاصة:

فالله جَلَّجَلَالُهُ الولي المولىٰ الذي اختص عباده المؤمنين، وحزبه المطيعين، وأولياءه المتقين بمزيد من الولاية والرعاية، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

فتولاهم الولي المولىٰ بالهداية للحق، وإخراجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلىٰ نور الإيمان والطاعة والعلم، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧][(٢)].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٥٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١١١).

تولىٰ محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، فأخرجهم من الجاهلية إلىٰ النور، ومن التفرق إلىٰ الاجتماع، ومن الذل إلىٰ العز، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال أيضًا: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا يزال جَلَّ جَلَالُهُ يتولىٰ من شاء من خلقه، فيخرجهم من الكفر إلىٰ الإسلام، ويخرج من شاء من العصيان والتقصير والتفريط إلىٰ الطاعة والاستقامة، قال تَعَالَى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

وتولاهم الولي المولىٰ بالتوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والآثام، كما جاء في حديث الولي: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

تولىٰ يوسف، فحفظه من الوقوع في الفعل القبيح، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

وتولىٰ بني سليم وبني حارثة، فحفظهم من الفشل والفرار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص: ١١١).

وتولاهم الولي المولىٰ بالرعاية والحفظ وحسن التدبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

تولىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طفلًا ضعيفًا، فصرف إخوته عما هموا به من القتل، وتولاه في البئر وحيدًا، فحفظه من مخاطره ومخاوفه، بل وبشره بيوم يجتمع فيه بأهله وإخوته وينبئهم بفعلهم[1]، وتولاه غلامًا مبيعًا، فاشتراه عزيز مصر وأكرمه، وتولاه شابًّا فآتاه الحكمة والعلم، وصرف عنه كيد النسوة، وتولاه سجينًا فأخرجه منه عزيزًا ممكنًا له في الأرض، وتولىٰ كيده لأخذ أخاه فأخذه، وتولىٰ أهله فأتىٰ بهم إليه من البدو، ويتولاه في الآخرة كما تولاه في الدنيا، قال تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وتولىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طفلًا رضيعًا، فحفظه في اليم، وحفظه من قتل فرعون وقومه، ثم أعاده لأمه وأهله، وتولاه شابًّا فحفظه من تآمر القوم علىٰ قتله، وتولاه في مدين فرزقه عملًا، ومالًا، وزوجًا، ثم تولاه بأعظم صور الولاية، فرزقه النبوة والرسالة، وتولاه بالنصر علىٰ فرعون وجنده.

وكذا تولىٰ بني إسرائيل، فأنجاهم من آل فرعون وتعذيبهم، وأغرق فرعون وجنده بمرأىٰ منهم ومسمع، وأورثهم أرض مصر ومكنهم فيها، وأنزل عليهم التوراة هدىٰ ونورًا، وعفا عنهم عبادتهم العجل، وطلبهم النظر إليه، فبعثهم بعد صعقهم، وأنزل عليهم المن والسلوىٰ في التيه، وفجر لهم

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩٥).

الحجر بالماء، وظللهم بالغمام، قال تَعَالَىٰ علىٰ لسان موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وتولىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتولاه طفلًا رضيعًا، فسخر حليمة السعدية لأخذه ورضاعه، وتولاه يتيمًا، فرعاه جده وعمه، وأكرماه أيما إكرام، وتولاه شابًّا، فحفظه من سفه الشباب وسوء فعالهم، فعُرف بحسن السيرة ومكارم الأخلاق، وتولاه بالزواج من خديجة خير النساء، وتولاه في الأربعين، فأكرمه بالوحي والرسالة وأيده بالقرآن العظيم، وتولاه فحفظه من كيد قومه وإرادتهم قتله، وتولاه بالهجرة إلىٰ المدينة ومناصرة الأنصار، وتولاه بالنصر في بدر، والخندق، وخيبر، وحنين، وتبوك وغيرها، وتولاه فجمع له المال بعد الفقر والفاقة، وتولاه ففتح له مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وتولاه فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويكرمه في الآخرة بالوسيلة والمقام المحمود، قال تعالىٰ: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ١ - ٩].

وتولاهم الولي المولىٰ بالتأييد والنصر علىٰ الأعداء، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوهُ**. قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: **قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»(١).

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٤٠٤٣).

تولىٰ أنبياءه ورسله، فنصرهم علىٰ أقوامهم، علىٰ الرغم من قلة الرجال، وضعف العدة والعتاد، وكثرة العدو وقوتهم وشدة بطشهم، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وتولىٰ أتباعهم، فنصر صحابة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبلهم نصر طالوت، وداود، ومؤمن آل فرعون، قال تَعَالَى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وهذه الولاية الخاصة هي الولاية التي نفاها الله عن الكافرين دون الولاية العامة، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]؛ فالولاية المنفية هنا هي ولاية المحبة والتوفيق والنصر والتأييد، وهي خاصة بالمؤمنين، أما الكفار فوليهم الشيطان، ومولاهم النار، قال تَعَالَى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]

الأثر الثاني: دلالة اسم الله الولي المولىٰ علىٰ التوحيد:

إذا تأمل العبد في اسم الله الولي المولىٰ؛ قاده ذلك إلىٰ توحيد الله في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

دلالة اسم الله الولي المولىٰ علىٰ توحيد الربوبية: اسم الله (الولي، المولىٰ) يتضمن الولاية لجميع الخلق بأفراد الربوبية خلقًا، ورزقًا، وتدبيرًا، وحفظًا، وإجابةً للدعاء، ونفعًا، وضرًّا، وإحياءً وإماتة ونحو ذلك، قال تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

وهذا دال على فقر المخلوقات عن جلب هذه الأفراد لنفسها أو غيرها، وبالتالي وحدانية الله جَلَّجَلَالُهُ وتفرده بالربوبية، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

دلالة اسم الله (الولي، المولىٰ) علىٰ توحيد الألوهية: اسم الله الولي المولىٰ يدل علىٰ أن العالم العلوي والسفلي ومن فيه من المخلوقات، كله تحت ولايته وتصريفه وتدبيره، وبالتالي جميع هذه المخلوقات فقيرة ضعيفة عاجزة، فلا خلق بيدها ولا نفع ولا ضر ولا رزق، بل ولا حتىٰ الشفاعة، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ومن كان كذلك فهل يصح في عقل أو نقل أن يُتخذ وليًّا من دون الله يعبد؟! أو يتخذ شريكًا وندًّا للولي المولىٰ؟! قال تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال تَعَالَى مبينًا أنه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩][1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٣)، وتفسير السعدي (ص: ٢٥١) و (ص: ٧٥٣).

دلالة اسم الله (الولي، المولىٰ) علىٰ توحيد الأسماء الصفات:

اسم الله عَزَّوَجَلَّ (الولي، المولىٰ) يقتضي أن يكون سُبْحَانَهُ حيًّا، مالكًا، قادرًا، قويًّا، عليمًا، سميعًا، بصيرًا، خالقًا، رازقًا، حفيظًا، قيومًا، نصيرًا ونحو ذلك؛ إذ لا يتصور في المخلوقات- فضلًا عن الخالق- ولي ميت، عاجز، أعمىٰ، أصم، أبكم، جاهل، لا يملك حولًا ولا قوة.

ويدل علىٰ هذا: ما جاء من آيات اقترن فيها هذا الاسم الكريم بأسمائه الأخرىٰ أو صفاته، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٩]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

فإذا علم العبد هذا أقر بهذه الأسماء الكريمة والصفات العلية التي يقتضيها اسم الله الولي المولىٰ، علىٰ وجه لا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل معه؛ امتثالًا لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

الأثر الثالث: الثقة بنصر الله (الولي، المولىٰ) لأوليائه، والتوكل عليه، وحسن الظن به:

إن اسم الله الولي المولىٰ، وما فيه من ولاية الله لأهل الإيمان بالنصر والتمكين والغلبة علىٰ الأعداء؛ يثمر في قلب المؤمن الثقة بنصره والاطمئنان لوعده، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ويثمر هذا- أيضًا- اليقين بذهاب أعداء الله وإن ظهروا في وقت ما لحكمة، فنهايتهم إلىٰ ذهاب؛ لأنهم مقطوعو الصلة بالله الولي المولىٰ، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للصحابة: «**أَجِيبُوهُ**، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قُولُوا: **اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[(١)].

الأثر الرابع: محبة الله الولي المولىٰ سُبْحَانَهُ:

إن اسم الولي المولىٰ يدفع العبد المستشعر لمعناه إلىٰ محبة الله جل في علاه؛ وبيان ذلك: أن الإنسان إذا تولاه أحد من البشر فكفاه حاجته، وأحسن إليه بالطعام والسقاء والإواء، وحماه من أعدائه؛ أحبه وشعر بفضله عليه، مع أن هذا البشر إنما تولاه لحاجة ومطلب في نفسه دنيوي أو خروي، وولايته لا تنفك عن النقص والخلل.

فإذا كان هذا هو الحال، فكيف لا يحب من هو ولي أمورنا كلها المتكفل بها جميعها، وكيف لا يُحَبُّ من هو ولي النعم كلها، وولي إحسان الخلق كافة، فما أحسن مخلوق لمخلوق ولا تولىٰ مخلوق مخلوق إلا بتولي الله وتسخيره له؟!

وكل ذلك مع تمام غناه عنا، فلا هو محتاج إلينا فيتولىٰ، ولا مفتقر إلينا فينعم، وإنما هو محض فضل منه سُبْحَانَهُ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

---

(١) سبق تخريجه.

ثم إذا تأمل العبد في ولايته جَلَّجَلَالُهُ؛ وجدها في غاية الكمال والجمال، مبنية علىٰ علم تام، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة، وعدل لا ظلم معه، أفلا يكون جَلَّجَلَالُهُ أحق بالمحبة وأولىٰ؟!

الأثر الخامس: نيل ولاية الله الولي المولىٰ:

لا شك أن معرفة اسم الولي المولىٰ، وما فيه من الولاية الخاصة؛ تثمر لأهلها ثمارًا طيبة في الدنيا والآخرة، منها:

١- نيل محبة الولي المولىٰ، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وجاء في حديث الولي: «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ...**»[1].

٢- تولي الولي المولىٰ لشؤونهم الدينية والدنيوية بالإصلاح وحسن التدبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

٣- هداية الولي المولىٰ لهم وتوفيقهم للخيرات، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وجاء في حديث الولي: «**إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ**

---

(١) سبق تخريجه.

عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1][2].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ الحديث: «والمعنىٰ: توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها؛ بأن يحفظ عليه جوارحه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلىٰ اللهو بسمعه، ومن النظر إلىٰ ما نهىٰ الله عنه ببصره، ومن البطش في ما لا يحل له بيده، ومن السعي إلىٰ الباطل برجله»[3].

٤- نصر الولي المولىٰ لهم علىٰ أعدائهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥]، ولما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للصحابة: «**أَجِيبُوهُ**، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: **قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[4].

٥- مغفرة الولي المولىٰ لذنوبهم ورحمته بهم، قال سُبۡحَانَهُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

٦- إجابة الولي المولىٰ لدعائهم، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ١١١).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٤٤).

(٤) سبق تخريجه.

قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: «**قَدْ فَعَلْتُ**»[1]، وجاء في حديث الولي: «**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[2].

٧- تثبيت الولي المولىٰ لهم عند المصائب والمخاوف، لا سيما عند الموت، قال تعَالَىٰ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢][3].

٨- إكرام الولي المولىٰ لهم بدخول الجنة والنجاة من النار، قال تعَالَىٰ: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

كلها تدفع العبد إلىٰ السعي في تحصيلها، والدخول في جملة أهلها وحزبها، قال تعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٢٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٧٤٨).

وقد جعل الله لنيلها أسبابًا، ولأهلها أوصافًا، والتي منها:

١- الإيمان به جَلَّجَلَالُهُ، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١][1].

٢- التقوىٰ التي تصدِّق الإيمان، وذلك: بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من كان مؤمنًا تقيًّا؛ كان لله وليًّا»[2].

وقال: «وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تَعَالَىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوىٰ، كان أكمل ولايةً لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عَزَّوَجَلَّ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقال تَعَالَىٰ:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٦٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٢/ ٢٢٤).

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى في المنافقين-: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، فبين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الشخص الواحد، قد يكون فيه قسط من ولاية الله، بحسب إيمانه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله، بحسب كفره ونفاقه»[1].

٣- محبة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة ما يحب الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبغض ما يبغض الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالولاية أصلها الحب، فلا موالاة إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والله ولي الذين آمنوا، وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له.

ولهذا أنكر سُبْحَانَهُ علىٰ من اتخذ من دونه أولياء، بخلاف من والىٰ أولياءه، فإنه لم يتخذهم من دونه، بل موالاته لهم من تمام موالاته»[2].

٤- «اتباع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية (ص: ٢٨).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٢٢٩).

أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن»[1]، قال تعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبة الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله... ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول...وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية»[2].

وبحسب المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون الولاية؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود: أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سُبْحَانَهُ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدىٰ والأمن والفلاح، والعزة والكفاية والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش، في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[3].

٥- الصلاح، والقيام بالأعمال الصالحة من الفرائض، قال تعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، قال

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

(٣) زاد المعاد (١/ ٣٧).

السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم»[1].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وجاء في حديث الولي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»[2]، وجاء- أيضًا- في الحديث عن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في حجة الوداع: «**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الْمُصَلُّونَ، مَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، يَرَىٰ أَنَّهُ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَيُعْطِي زَكَاةَ مَالِهِ يَحْتَسِبُهَا، وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا**»[3].

٦- القيام بالأعمال الصالحة من النوافل، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وجاء في حديث الولي: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»[4].

٧- التقرب بعبادات السر؛ فقد جاء: أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خرج إلى المسجد يومًا، فوجد معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَىٰ للهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل، رقم الحديث: (٨٩٨)، والطبراني في الكبير رقم الحديث: (١٠١)، والحاكم رقم الحديث: (١٩٧)، حكم الألباني: حسن، الإرواء، رقم الحديث: (٦٩٠).

(٤) سبق تخريجه.

غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[1].

٨- تعلم العلم الشرعي وتعليمه؛ فعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾الآية [فصلت:٣٣]، فقال: «هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله»[2].

ويروىٰ عن الخليل بن أحمد أنه قال: «إن لم تكن هذه الطائفة- يعني: أهل العلم- أولياء الله، فليس لله ولي»[3].

فبهذا تنال ولاية الله، لا بمجرد الدعاوىٰ والأماني؛ فهؤلاء اليهود والنصارىٰ ادعوا أنهم أولياء الله وأحباؤه، فرد الله عليهم بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨]، وادعاها مشركو العرب؛ لسكنهم مكة، فقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

فليس كل من ادعىٰ الولاية وتظاهر بها يعد وليًّا لله، بل قد يعد وليًّا للشيطان كما هو الحال في أهل الزيغ والضلال الذين تركوا الفرائض، وقارفوا المحرمات،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم الحديث: (٣٩٨٩)، والطحاوي في المشكل رقم الحديث: (١٧٩٨)، والطبراني في الكبير رقم الحديث: (٣٢١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٠).

(٣) تهذيب الكمال، للمزي (٨/ ٣٣١).

وزعموا أن التكاليف سقطت عنهم؛ لولايتهم، فهؤلاء في الحقيقة أولياء للشيطان، وليسوا من أهل ولاية الله في شيء، قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].[١]

الأثر السادس: موالاة أولياء الله والحذر من معادتهم:

إذا علم العبد اسم الله الولي المولىٰ وما يقتضيه من اتخاذ الله جَلَّجَلَالُهُ أولياء، يحبهم وينصرهم، ويعادي من عادهم، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لي وليًّا، فَقَدْ آذنتُهُ بالحَرْبِ**»[٢].

قاده ذلك إلىٰ مولاة من وال الله ومحبتهم ونصرتهم، والتبرؤ من أعداء الله وبغضهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تَعَالَىٰ في الموقف من أعدائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ

---

(١) ينظر: النهج الأسمىٰ، للنجدي (٢/ ٥٢-٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

﴿أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأداة الحصر في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة:٥٥] تدل علىٰ أنه يجب قصر الولاية علىٰ المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم»[١]، وهذا من مقتضيات عقيدة التوحيد، القائمة علىٰ الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[المائدة:٥٥ - ٥٦]»[٢].

كما يقوده إلىٰ الحذر الشديد من معادة أولياء الله، لا سيما وأن الله جَلَّ جَلَالُهُ قال في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذنتُهُ بِالحَرْبِ**»[٣]، ومعناه: أعلمته أني محارب له، حيث كان محاربًا لي بمعاداة أوليائي؛ ولهذا جاء في حديث عائشة: «**فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي**»[٤]، وخرج ابن ماجه بسند ضعيف عن معاذ بن جبل، سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَإِنَّ مَنْ عَادَىٰ للهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ**

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٣٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢٦٨٣٤)، والبزار، رقم الحديث: (٩٩- البحر الزخار)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس بن عروة، وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدىٰ الروايتين وضعفه وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

اللهَ بالمُحَارَبَةِ»[1]، وغاية هذه المحاربة: الهلاك[2].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن هبيرة: ويستفاد من هذا الحديث: تقديم الإعذار علىٰ الإنذار، قلت: ووجهه: أنه لما قدم معاداة من هو بهذه الصفة من الولاية لله، فكأنه أعذر إلىٰ كل سامع أن من هذا شأنه لا ينبغي أن يعادىٰ، بل علىٰ كل من عرف أن هذه صفته، أن يواليه ويحبه، فإذا لم يفعل فقد أعذر الله إليه، ونبهه علىٰ أن من عادىٰ يستحق العقوبة البالغة علىٰ عداوته، فقال- منذرًا له-: فقد آذنته بالحرب علىٰ ما صنع مع ولي»[3].

الأثر السابع: دعاء الله باسمه (الولي، المولىٰ):

إن اسم الولي المولىٰ يدعو العبد إلىٰ دعاء ربه والتوسل إليه بهذا الاسم الكريم، لا سيما وأن الأنبياء الذين هم قدوة الخلق ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] دعوا ربهم به؛ فهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو ربه قائلًا: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصالحو قومه يدعون: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، رقم الحديث: (٣٩٨٩)، والطحاوي في المشكل، رقم الحديث: (١٧٩٨)، والطبراني في الكبير، رقم الحديث: (٣٢١)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٩٨٩).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/ ٣٣٤).

(٣) ولاية الله والطريق إليها، للشوكاني (ص: ٣٤٤).

وهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو قائلًا: «**يا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسِّكْنِي بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ**»(١).

وهذا دعاء المؤمنين الذي أخبر الله عنه: ﴿**وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كما يدعو العبد- أيضًا- إلىٰ سؤال الله ولايته ومقتضياتها من الهداية والثبات، والنصر والرحمة والمغفرة، وإصلاح الأمر الديني والدنيوي كله، من غير أن يكل العبد إلىٰ نفسه طرفة عين.

فاللهمَّ يا ولي الإسلام وأهله، مسِّكنا به حتىٰ نلقاك، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٦٦١)، والبيهقي في الدعوات الكبير، رقم الحديث: (٢٥٤)، حسن، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٤٧٦).

الوهّابُ جَلَّجَلَالُهُ



المعنى اللغوي:

❊ **قال الجوهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهب، وهبت له شيئًا وهبًا، ووهَبًا بالتحريك، وهِبَة، والاسم: الموهب والموهبة، بكسر الهاء فيهما، والاتهاب: قبول الهبة، والاستيهاب: سؤال الهبة»[1].

❊ **قال ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها علىٰ بعض، تقول: وهبت الشيء أهبه هبة وموهبًا، واتهبت الهبة: قبلتها...»[2].

وروود اسم الله (الوهاب) في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (الوهاب) في ثلاثة مواضع من كتاب الله، وهي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

٢- قوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾.

٣- قوله تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص:٣٥].

---

(١) الصحاح (١/ ٢٥٧).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٤٧).

ورود اسم الله (الوهاب) في السنة النبوية:

ورد اسم الله (الوهاب) في السنة النبوية، ومن وروده ما يلي:

١ – عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعِيدَيْنِ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِيشَةً تَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ، اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا فَجْأَةً، وَلَا تَأْخُذْنَا بَغْتَةً، وَلَا تُعْجِلْنَا عَنْ حَقٍّ وَلَا وَصِيَّةٍ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ، وَالتُّقَىٰ، وَالْهُدَىٰ، وَحُسْنَ عَاقِبَةِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّكِّ وَالشِّقَاقِ، وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ فِي دِينِكَ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[١].

٢- «كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللهمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[٢].

٣- عن سلمة بن الأكوع قال: «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءً إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بـ: **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ الْعَلِيِّ الْوَهَّابِ**»[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٧٥٧٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه نهشل بن سعيد وهو متروك، رقم الحديث: (٣٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (٥٠٦١)، والنسائي في الكبرىٰ، رقم الحديث: (١٠٦٣٥)، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (٥٠٦١).

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٦٨١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف، رقم الحديث: (٢٩٩٦١)،قال الهيثمي: فيه عمر بن راشد اليمامي، وثقه غير واحد، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٥٦).

معنى اسم (الوهاب):

❊ **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء، من ملك وسلطان ونبوة» [1].

❊ **قال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد، من غير استثابة»[2].

❊ **قال الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب هو المتفضل بالعطايا، المنعم بها، لا عن استحقاق عليه»[3].

❊ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوهاب: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان، الذي عم جودك جميع البريات»[4].

❊ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

وَكَذَلِكَ الوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ
فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأَزْمَانِ
أَهْلُ السَّمَواتِ العُلَىٰ والأَرْضِ عَنْ
تِلْكَ المَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ[5]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٦).

(٢) شأن الدعاء (ص: ٥٣).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦).

(٤) تفسير السعدي (ص: ١٢٣).

(٥) النونية (ص: ٢١٠).

اقتران اسمه سُبْحَانَهُ (الوهاب) بأسمائه الأخرى في القرآن الكريم:

اقتران اسمه (الوهاب) باسمه (العزيز) سُبْحَانَهُ:

- تقدم بيانه في اسم الله (العزيز).

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله (الوهاب):

الأثر الأول: إثبات ما يتضمنه اسم الله (الوهاب) من صفاته سُبْحَانَهُ، وتحقيق التوحيد له:

الوهاب سُبْحَانَهُ تتابعت نعمه، وفاض كرمه، وزاد بره، وكثر خيره.

«يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويشفي سقيمًا ويخصب عقيمًا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيًا، ويكسو عاريًا، ويسلي صابرًا، ويزيد شاكرًا، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، ويعطي محرومًا، وينصر مظلومًا، ويقصم ظالمًا، ويرحم مسكينًا، ويغيث ملهوفًا»[1].

وكل إحسان للعباد ينطلق من أسمائه تَعَالَى وصفاته إنما هو من هبات الوهاب سُبْحَانَهُ، يعطيها عباده من غير عوض، ولا ثواب، فحري بمن هذه هباته أن يبذل له الحب كله، وأن يعبد وحده لا شريك له؛ إذ لا يستطيع المخلوق، بل الخلائق جميعها، أن تهب شيئًا من الهبات استقلالًا، كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٣/ ٣٢٥).

مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وكل ذلك في غير استحقاق من عباده ولا حق لهم عليه.

وعليه فحري بمن عرف اسم الله الوهاب وآمن به أن يوحده سُبْحَانَهُ بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويستغني به عن خلقه، ويسأله هبته وفضله وإحسانه.

الأثر الثاني: استشعار عظم هبات الله تَعَالَىٰ وشموليتها.

الوهاب هو كثير الهبات، ومتنوعها، فهي تشمل الدين، والدنيا، ويمكن تقسيمها كما يلي:

* أولًا: هبات دينية:

ومن أبرزها والتي ورد فيها نص، ما يلي:

هبة النبوة:

وهي من الهبات التي اختصها الله بمن شاء من عباده، وختمها بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله عن إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، وقد أنكر كفار قريش نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدًا، فرد الله عليهم بأنها هبة من خزائن رحمته، يقول في كتابه: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٨-٩]، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير ذلك: «أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلىٰ محمد خزائن رحمة ربك، يعنىٰ: مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن

يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما منَّ الله به عليك من الكرامة، وفضَّلك به من الرسالة»[1].

هبة الهداية:

وهي نوعان:

١- هداية الدلالة والإرشاد:

وهي من أعظم هبات الوهاب، فهي مصدر التكليف ومناطه، وبها تقوم حجة الله علىٰ عباده؛ فإن الله تَعَالَى لا يُدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يبينون للناس طريق الرشاد من الغي، يقول تَعالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

٢- هداية التوفيق:

وهي الهداية الخاصة للأولياء، يقول تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فمن رزقه الله الهداية رُزِق سعادة الدنيا والآخرة، وإذا دخلت الهدايةُ قلبًا وجد السعادة التي طالما بحث عنها، وفي الدعاء المشهور: «**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»[2]، أي: مع من هديت، والمراد بهم: الأنبياء والصالحون، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يمكن أن تستفتح ركعة، بل لا تصح

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٦).

(٢) أخرجه ابن حبان، رقم الحديث: (٧٢٢)، حكم الألباني: صحيح، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، رقم الحديث: (٤٢٩).

أي صلاة حتىٰ تطلب الهداية، وهي هداية الثبات علىٰ الإسلام، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

ولعظم هذه الهداية كان الدعاء باستدامة هذا الثبات ورسوخه من منهج الأنبياء والراسخين في العلم، فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ، فَقُلْتُ:** يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: **نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[1]، ويقول الله تَعالَىٰ علىٰ لسان الراسخين في العلم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨] [2].

هبة الأخ الصالح والصديق الناصح:

وهم الذين يعينون العبد علىٰ الخير، وفي الحديث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ**»[3]، «والبطانة بالكسر: الصاحب الوليجة، وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به، شُبِّه ببطانة الثوب»[4].

---

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (١٢٢٩٠)، والترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠)، حكم الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢١٤٠).

(٢) للاستزادة من مطالعة الهداية الخاصة والعامة يرجع لاسم الله (الهادي).

(٣) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧١٩٨).

(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٧/ ٣٢)

ولذا طلب نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ربه- عندما أرسله- أن يرسل معه أخاه هارون، فاستجاب الله دعاءه، وامتن عليه بذلك، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣]، ووهب له أخًا صالحًا يعينه، وكانت أعظم شفاعة في التاريخ شفاعة موسىٰ لأخيه، أن سأل له النبوة.

* ثانيًا: هبات دنيوية:

الهبات الدنيوية متتالية متداخلة تشمل الخلائق كلها، ولا تنفك عنهم في أي طَرفة ولحظة، ومنها:

هبة الحياة:

فالله عَزَّوَجَلَّ هو واهب الحياة من غير طلب، يقول تَعَالَىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

هبة العافية:

تنوعت هبات الوهاب للعبد في بدنه، لحفظ عافيته، ففي جسد الإنسان عدد كبير من الخلايا، وليس معنىٰ ذلك: أنه يملك من النعم في جسده بعدد هذه الخلايا! بل داخل كل خلية العديد من النعم، وكل خلية عرضة لما لا يمكن إحصاؤه من الآفات، والعلل التي من المحتمل أن تصيبها، والله- بقدرته ورحمته- يحفظها في جسد الإنسان من هذه العوارض، ولذا فكثير من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو في سؤال العفو العافية، فعن أبي بكر الصديق أنه قال: «قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَىٰ الْمِنبَرِ، ثُمَّ بَكَىٰ، فَقَالَ: **اسْأَلُوا اللهَ**

العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ»(١)، وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: **تَسْأَلُ رَبَّكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَهُمَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أُعْطِيتَهُمَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ»**(٢).

وهكذا الإنسان لو ذهب يعدد نعم الله تَعَالَىٰ المثبتة عليه في بدنه، لوجد أنه غير قادر علىٰ عدها، ولو استطاع ذلك فكيف له أن يعد نعم الله التي هي عبارة عن نقم دفعها الله عنه، أو ابتلاه بها ثم رفعها عنه! فكشف البلاء هبة من الوهاب.

هبة الأزواج والذرية:

وهم الذين تقرُّ بهم الأعين في الدنيا والآخرة، ومن تتبع لفظ (وهبنا) في القرآن وجد قبلها دعوةً أُجيبَتْ، ومن ذلك: ما جاء في ذكر دعاء عباد الرحمن في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، ويقول أيضًا: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٩- ٥٠]، يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية: «فيها الإخبار عن سعة ملكه تَعَالَىٰ، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب، حكم الألباني: حسن صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٤٨٥)، والترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٢)، وقال: حسن غريب، إنما نعرفه من حديث سلمة بن وردان، حكم الألباني: ضعيف، صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٥١٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٦٢).

وقد امتن الله علىٰ رسله وأنبيائه بما وهبهم إياه من الذرية الصالحة؛ فمنهم:

١ - إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وهب له بعد كبر السن ووهن العظم إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وجعل في ذريته الكتاب والنبوة، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقال تَعَالَى علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

٢- داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وهب له سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

٣- زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وهب له يحيىٰ بعد أن طعن في العمر، وشاخ، وكانت امرأته عاقرًا أيضًا، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هبة كشف البلاء:

فكشف البلاء ورفعه عن العباد هبة عظيمة من الله تَعَالَى، ومن شواهد ذلك: قصة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ابتلاه الله في جسده، فذهب ماله، وفقد ولده، ثم رفع عنه البلاء، ووهبه مثلي ما أخذ منه من الأهل والولد، قال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣].

هبة الملك والسلطان لمن يشاء الله من عباده:

يقول تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، وقد سأل سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الوهاب سُبْحَانَهُ الملك، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]،

فاستجاب الوهاب له: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٩].

ومن تأمل فيما تقدم، كان عليه شكر الوهاب علىٰ كثير هباته، وحمده سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى علىٰ لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «فإن النعم نوعان: مستمرة، ومتجددة، فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر؛ شكرًا لله عليها، وخضوعًا له وذلًّا»(١).

الأثر الثالث: محبة الوهاب جَلَّ وَعَلَا:

يورث اسم الله (الوهاب) في نفس المؤمن محبة عظيمة لله سُبْحَانَهُ فهو الذي تتجدد هباته في أمور خلقه كلها بالليل والنهار، بل ومع كل نفس من أنفاسهم، فبيده خزائن كل شيء، وملك كل شيء.

ولا شك أن المسلم إذا تدبر في ذلك وتفكر فيه؛ فسيزداد تعلقًا بالله ورحمته، وكرمه وجوده.

الأثر الرابع: شكر الوهاب علىٰ هباته:

تحفظ مواهب الوهاب سُبْحَانَهُ وتزيد بالشكر، الذي هو: «هو ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة، والشكر مبني علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٩٦).

للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتىٰ عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة»[1].

وقد أمر الله تَعَالَىٰ عباده الذاكرين أن يكثروا من ذكره، ويداوموا علىٰ شكره، فقال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾، أي: علىٰ ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم:٧]»[2].

الأثر الخامس: المحافظة علىٰ هبات الوهاب من الفقد:

إن السلب بعد العطاء، والنقصان بعد الزيادة شيء ثقيل علىٰ النفس، وهو الحور الذي استعاذ منه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ**»[3]، والحور هو: النقصان، والكور هو: الزيادة، وكان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الدعاء أن يقول- أيضًا-: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»[4]، أي: يا الله

---

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية (١/ ٢٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٤).

(٣) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٧٣٩).

ألتجئ إليك من ذهاب جميع نعمك الظاهرة والباطنة، الدنيوية والأخروية ما علمتها، وما لم أعلمها؛ لأن نعمك لا تحصىٰ، ولا تعد، ثم يستعيذ من تحول العافية وتبدلـها.

ومن أعظم أسباب زوال الهبات والنعم ما يلي:

- الذنوب والمعاصي:

وقد حذر الله عباده من الذنوب والمعاصي، وبين أنها سبب الهلاك والعقاب، يقول تَعَالَى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩]، وقال تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف:١٠٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة، وقد قال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال: ٥٣]، فأخبر الله تَعَالَى أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها علىٰ أحد حتىٰ يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غير غير عليه، جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

فإن بدل العبد المعصية بالطاعة، بدل الله له العقوبة بالعافية، والذل بالعز، يقول تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ

---

(١) الجواب الكافي (ص٧٤).

﴿بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١].

- كفر النعم، وعدم شكرها:

وقد مضت سنة الله في خلقه أن من كفر نعمة الله، ولم يشكر الله عليها يسلبها منه، ويذيقه ضدها، يقول تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص:٥٨].

ومن شواهد ذلك القرآنية: قصة سبأ، يقول تَعَالَى عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ:١٥-١٦].

ويقول سُبْحَانَهُ في موضع آخر: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢].

الأثر السادس: الصبر عند سلب النعم ورفع الهبات:

فقد يكون المنع هو عين العطاء، والوهاب ما حرم عبده إلا ليعطيه، وما منعه إلا ليقربه، فلكل فعل من أفعاله تَعَالَى حكمة وهدف، ومن سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يحمد الله علىٰ كل حال، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّ قَالَ: **الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ قَالَ: **الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**»[(١)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٣٨٠٣).

ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

ومن أعظم الأمور التي تُسلي العبد المؤمن، وتصبره علىٰ المصائب ما يلي:

١- استشعار محبة الله للصابرين، قال تَعَالَى: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقرب الله أجمل من كل قريب، وحب الله أحلىٰ من حب كل حبيب.

ولله در القائل:

لِـكُلِّ شَـيْءٍ إِذَا فَارَقْتَـهُ عِـوَضٌ   وَلَيْـسَ للهِ إِنْ فَارَقْـتَ مِـنْ عِـوَضِ

٢- إرجاع الأمر لصاحبه سُبْحَانَهُ، يقول تَعَالَى: ﴿**ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ**﴾ [البقرة:١٥٦]، وتسليمه الملك لمالكه، وعلمه ألا حق له في النعم، ولله أن يعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، وأمره كله خير؛ لا يسأل عما يفعل سُبْحَانَهُ، وعن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أرسلت ابنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه أن ابنًا لي قُبض، فَأْتِنَا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: **إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، رقم الحديث: (١٢٨٤)، ومسلم، رقم الحديث: (٩٢٣).

٣- الثقة بأن الله يجزي الصابر علىٰ مصيبته والمحتسب، بخير مما فقد منه في الدنيا والآخرة، كما قال تَعَالَى في الحديث القدسي: «**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»، يريد: عينيه[1].

٤- أن الله وإن ابتلىٰ عبدًا بمصيبة فإنما يبتليه بشيء من المصائب، ولكنه يعافيه في كثير من النعم، وينزل عليه- أيضًا- كثيرًا من الرزق، فإذا تذكر العبد ما أنعم الله به عليه هان عليه ما أصابه من البلاء، وأعانه ذلك علىٰ الصبر، والرضا بما قدره له الله.

وتأمل في تعليل الخضر لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين قتل الغلام في سورة الكهف ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠-٨١].

فكان ظاهر المصيبة فقد الولد، وباطنها الحفاظ علىٰ دين الوالدين، وهو أجلُّ النعم وأعظمها، مع إبدالهما خيرًا من الولد الذي قتل، فهو منعٌ حقيقته عظيم العطاء.

الأثر السابع: السعي للبذل والهبة لمن يستحق ذلك:

التعبد باسم الله (الوهاب) يستلزم أن يكون للعبد حظ من هذا الاسم المقدس، والوهاب من العباد هو الذي يعطي خلق الله ما يحتاجون إليه؛ طمعًا في ثواب الله، وخوفًا من عقابه، ورغبة في الجزاء المقيم في جنة رب العالمين، يقول تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٥٦٥٣).

بل إن من أسباب دوام الهبات والنعم: بذل حقها وزكاتها، بنفع الآخرين، فمن كان ذو موهبة من علم أو صنعة أو مال، عليه ألا يبخل ببذله لمن احتاجه، وإلا نُزعت هذه النعمة، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ للهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ**»(١).

ويقول تَعَالَىٰ في النهي عن البخل **لمن كان ذا صنعة**، في آية الدَّيْن: ﴿**وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٨٢]، وفي **إنفاق المال** يقول تَعَالَىٰ: ﴿**ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الحديد:٧]، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ . قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ**»(٢).

وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتنافسون في البذل والصدقة والهبة لمن يحتاج، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** فَقُلْتُ: مِثْلَهُ قَالَ: وَأَتَىٰ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَىٰ شَيْءٍ أَبَدًا»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث: (٥١٦٢) حكم الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث: (٢١٦٤).

(٢) أخرجه مسلم، رقم الحديث: (١٧٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم الحديث: (١٦٧٨)، والترمذي رقم الحديث: (٣٦٧٥)، حكم الألباني: حسن، صحيح وضعيف سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٦٧٨).

وهذا مصداق لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءِ النَّهَارِ**»(١).

وفي حديث جامع عظيم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يرشد لبذل الخير وإن دق، عند الإمام أحمد من حديث أبي ذر: «**.... وَتَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ والعَظْمَ والحَجَرَ، وتَهْدِي الأَعْمَىٰ، وتُسْمِعُ الأَصَمَّ والأَبْكَمَ حَتَّىٰ يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَىٰ حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَىٰ بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَىٰ اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٢).

الأثر الثامن: دعاء الله تَعَالَىٰ باسمه (الوهاب):

الدعاء نعمة كبرىٰ، ومنحة عظمىٰ، جاد بها المولىٰ الوهاب، وامتن بها علىٰ عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة، فما استُجلبت النعم بمثله، ولا استدُفعت النقم بمثله؛ وقد دعا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه الوهاب بدعوة أجيبت له، وخص بها: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودلت صيغة المبالغة في (الوهاب) علىٰ أنه تَعَالَىٰ يهب الكثير والعظيم؛ لأن المبالغة تفيد شدة الكمية أو شدة الكيفية أو كلتيهما بقرينة مقام الدعاء، فمغفرة الذنب من

---

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث: (٧٥٢٩)، ومسلم، رقم الحديث: (٨١٥).

(٢) أخرجه أحمد، رقم الحديث: (٢١٨٨٤)، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (٥٧٥).

المواهب العظيمة؛ لما يرتب عليه من درجات الآخرة»[1].

كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» فلما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ**»[2]، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استيقظ من الليل قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، اللهمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**»[3].

فكان دعاء المغفرة وسؤال الثبات من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه باسمه الوهاب، وكذلك سأل الراسخون في العلم ربهم الوهاب أن يثبتهم علىٰ الهداية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

فمهما كانت أمانيك ومطالبك في الدنيا والآخرة، سلها كثيرَ العطايا والهبات، وثق بأن الوهاب كريم لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾

[آل عمران:٨].



---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه الحاكم، رقم الحديث (١٨٥٥)، وقال: إسناد صحيح إن كان أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود سمع من أبيه، ولم يخرجاه.

(٣) سبق تخريجه.

الفهرس





